

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

د/ عبد الرقيب عبده خالد عبد الله ،

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، اليمن، إب

N٧١٢٨٤٩٥٠٥@gmail com



استهلال

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ
صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا
السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ
كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا
إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾

[فصلت: ٣٣ - ٣٥]

الإهداء

إلى الدعاة والخطباء، في كل مكان وزمان، الذين حملوا هم اعداد الخطب وإلقائها، وهدفهم في ذلك تبليغ رسالات ربهم وخالقهم، العازمين على معالجة مشاكل أمتهم وأدوائها، وأسوتهم في ذلك محمد صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق وأبلغها، اهدي هذه السلسلة من الخطب.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

فهذا هو الجزء الثاني من سلسلة الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة، كنت قد ألقيت معظمها في الجامع الذي أخطب فيه بين عامي ١٤٤١ و ١٤٤٢ الموافق ٢٠٢٠ و ٢٠٢١ وقد نشرتها صوتاً وصورة في بعض وسائل التواصل الاجتماعي كاليوتيوب، والفيس بوك والواتس آب، وبفضل الله تعالى فقد لقيت هذه الخطب حظاً لا بأس به من القبول والاستحسان عند الكثير من المتابعين لها عبر هذه الوسائل.

وقد تواصل البعض معي واقترح علي جمع مادة هذه الخطب في كتاب ونشره؛ لتعم بها الفائدة ويدوم الأجر والثواب، فاستحسننت هذه الفكرة، وبدأت بالعودة إلى المصادر التي استقيت منها مادة هذه الخطب، وقمت بجمع محتوى كل خطبة على انفراد، وأوجهتني في ذلك بعض الصعوبات؛ حيث أن معظم الخطب كنت أحضرها تحضراً ذهنياً وألقيها ارتجالاً، ولم يكن محتوى الخطب مكتوباً عندي في أوراق خاصة إلا رؤوس أقلام، ثم أقوم بإلقائها

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

ارتجالاً أما جمهور المصلين في المسجد؛ وذلك أن إلقاء الخطب أمام جمهور المصلين ارتجالاً له عندي مذاق خاص؛ حيث تشترك فيه وسائل التأثير المتعددة كالصوت ونبراته، والا اتصال البصري ونظراته، والحركات الجسدية وانفعالاتها، وهو ما تفتقده الخطب أثناء إلقائها قراءة من الأوراق .

ومن الصعوبات التي واجهتني أثناء جمع مادة هذه الخطب أن معظم هذه الخطب كنت اكتب مادتها من مراجع متعددة، ومصادر متنوعة، وأثناء جمع مادتها كخطب مكتوبة، فقدت بعض المراجع التي كنت اعتمد عليها، وبعض الخطب كنت أحضرها على عجل في ليلة الجمعة وصبيحتها، ولم تكن لها مراجع محددة، مما وضع أمامي تحدي في البحث عن مراجع استقي منها مادة تحضير هذه الخطب، ومن الصعوبات التي واجهتها قيامي بتحويل بعض الخطب من مادته مسموعة إلى مادة مكتوبة، ولا يخفى عليكم أن تحويل المادة المسموعة إلى مادة مكتوبة فيه نوع من المشقة؛ من حيث الانشغال بتفريغ المادة الصوتية إلى مادة مكتوبة؛ ثم إعادة كتابتها وإخراجها بصور لائقة بذلك.

ومن تلك الصعوبات أن ملقي الخطبة ارتجالاً قد يلقي كلاماً بلغة تقترب من اللغة التي يفهما جمهور الحاضرين في خطبة الجمعة فتحتاج هذه العبارات إلى إعادة صياغتها بطريقة مناسبة، وأحياناً قد تتداخل على الخطيب عناصر الموضوع الواحد، فيقدم ماحقه التأخير، ويؤخر ما حقه التقديم، وأثناء إعداد

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

الخطب مكتوبة راعيت ضرورة تسلسل الأفكار والحرص على الوحدة الموضوعية لكل موضوع، وكل هذه الصعوبات بفضل الله تعالى وكرمه تجاوزتها.

أما الأحاديث التي استشهدت بها في هذه الخطب فقد حرصت على تخريجها وعزوها لمصادره ومظانها في كتب ودواوين السنة المعتمدة، ومما تجدر الإشارة إليه أنني حرصت على أن لا استشهد إلا بماصح من سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن في ذلك غنية عما سواها، ولم أورد الأحاديث الضعيفة إلا في مواطن محدودة جدا وخاصة في باب فضائل الأعمال، بشرط أن تكون هذه الأحاديث مندرجة تحت أصل كلي وأن لا ينبي عليها أحكاما، كما هو معمول به عند جماهير هذا الفن ونقادة، وقد أشرت إلى الأحاديث التي ذكرتها في خطبي وبينت درجتها من حيث الصحة والضعف.

وفي مسألة تصحيح الأحاديث وتضعيفها اعتمدت بدرجة رئيسية على تخريجات العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى، فله جهود مشكورة في هذا الباب، واستفدت كذلك في هذا الجانب من جهود الشيخ الأرناؤوط وخاصة في تعليقه على أحاديث مسند الإمام أحمد، وقد حرصت على بيان درجة الحديث في صلب الخطبة ولم أجعلها في الهامش؛ حتى

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

يسهل على الداعية والخطيب المرور عليها ومعرفة درجة الحديث، وثانياً حتى لا يتضخم حجم الكتاب بالهوامش والحواشي.

ومما تجدر إليه الإشارة أنني في كل شهر في الغالب كنت أتناول موضوعاً محدداً وأظل أتناوله - في الغالب - طوال الشهر - ؛ لأنني ومن خلال التجربة وجدت أنني قد أتناول موضوعاً في خطبة واحدة، وتبقى له تفريعات وجوانب جديرة بالتناول والحديث عنها فاضطر لاستكمال جزئيات الموضوع في خطب تالية؛ لأنني وجدت أن الخطيب قد يتناول موضوعاً ويستحسنه الجمهور لكن تبقى بعض التساؤلات عالقة في ذهن المستمع تحتاج إلى إجابات وبيان - وخاصة من كان يخطب في جامع ثابت وله جمهوراً محدداً فجاءت خطب كل شهر - في الغالب - تتحدث حول موضوعاً واحداً أو موضوع قريب منه ومتمما له؛ وقد جعلت خطب كل شهر كأنها مجموعة مستقلة عن خطب الشهر الذي قبله أو الشهر الذي يليه، وقد استغرقت خطب هذا الجزء الستة الأشهر من السنة الهجرية، من بداية شهر محرم إلى نهاية شهر جمادى الثاني، على أمل أن يفرد الجزء الثالث بجزء خاص من الخطب، ويشتمل على خطب من بداية شهر رجب إلى نهاية شهر ذي القعدة

وقد تفاوتت خطب هذا الكتاب بين الطول والقصر، فبعض الخطب طويلة نوعاً ما ويمكن للخطيب تناولها في خطبتين مع إضافة ما يراه مناسباً إليها

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

مما يناسب جمهوره وواقعه، وفي الغالب معظم الخطب لا يتجاوز عدد صفحاتها العشر صفحات، ولبعض منها تجاوز ذلك لأ سباب تتعلق بذلك بطبيعة الموضوع، وكثرة تفريعاته التي تحتاج إلى بيان وإيضاح.

وقد حاولت أن أتناول في هذا الجزء والذي يليه معظم الأمور التي يحتاجها المسلم في دنياه وأخراه، فقد حوى هذا الجزء على خطب تتحدث بعض أركان الإسلام والإيمان، وخطب تتحدث عن اليوم الآخر والجنة والنار، وخطب أخرى عن بعض الكبائر التي قد يتساهل بها بعض المسلمين، وتناولت فيه خطبا تتحدث عن بعض العبادات التي وقد يتساهل بها البعض كصلاة الفجر ويوم الجمعة، وتناولت مواضيع اجتماعية مهمة كقضايا الزواج والعلاقات الزوجية وحذرت من خطورة الطلاق وعواقبه، وتناولت في خطب تفسير سور من القرآن الكريم كان النبي صلى الله عليه وسلم يتناولها في خطبة الجمعة، فأفردت خطبة عن سورة (ق)، وأردفتها بخطبة عن أدلة البعث والنشور؛ باعتبار أن ذلك هو محور السورة وهدفها، وتبعا لذلك أفردت خطبة عن سورة الفاتحة باعتبارها أعظم سورة في القرآن الكريم كما أشار إلى ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكان للسنة النبوية نصيباً في خطبنا، فقد تناولنا بعض الأحاديث النبوية في خطب الجمعة كحديث " إنما الأعمال بالنيات" باعتبار أن النبات هي أساس صلاح كل الأعمال وقبولها، أما السنة النبوية فقد جاء حظها وافرا في خطب هذا الكتاب ، فلا تكاد تخلوا خطبة من

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

خطبة من قول للنبي صلى الله عليه وسلم أو موقف من سيرته صلى الله عليه وسلم باعتبار أنه صلى الله عليه وسلم هو التطبيق العملي لهذا لدين، وغيرها من الموضوعات التي ستجدها في ثانيا هذا الكتاب. وليس شرطاً أن يلتزم الخطيب بالترتيب الوارد في تسلسل الخطب الواردة في هذا لكتاب ، فقد يقدم يؤخر بحسب ما يراه مناسباً لبيئته وجمهوره .

وحسبي في هذا الكتاب أنني بذلت وسعي وجهدي في ترتيبه وجمع مادته، ولا أدعي الكمال فيما أعددت، وحسبي أنني اجتهدت في ذلك، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله من العمل الصالح الذي ينفعني الله به بعد الموت، ورجائي لمن وقف على هذا الكتاب واستفاد منه أن يخصني ووالدي بدعوة خالصة في ظهر الغيب، ومن وجد فيه خلل يحتاج إلى بيان وتصحيح فلينبهني لذلك مشكورا، على هذه العناوين

عبد الرقيب عبده خالد عبد الله، اليمن، إب، -

N712849505@gmail com.

للتواصل تلفون/ واتس ٧١٢٨٤٩٥٠٥

١٧ رجب ١٤٤٢ الموافق ٢٠٢١ . ٣ . ٢

المجموعة الأولى

خطب شهر محرم،

وتشتمل على الخطب الآتية:

١- الهجرة النبوية ألم وأمل

٢- دروس من الهجرة النبوية

٣- يوم الجمعة

٤- في ظلال السبع المثاني

الهجرة النبوية الم وأمل

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

فقد ظل النبي صلى الله عليه وسلم في مكة داعية إلى الله تعالى، وطاف رسول الله بمجتمعات القبائل وقصد الرؤساء وتوجه بالدعوة إلى الوجهاء وسار إلى الطائف، فعل ذلك كله وهو يرجو أن يجد عند أصحاب الجاه والمنعة نصرة وتأييدا، كان يقول لهم في كل موسم: "من يؤويني؟ من ينصرني؟ حتى أبلغ رسالة ربي"، ومع كل هذا لم يجد من يؤويه ولا من ينصره، بل لقد كان الرجل من أهل اليمن أو من مضر يخرج إلى مكة فيأتيه قومه فيقولون له: احذر غلام قريش لا يفتنك! ولقي في سبيل دعوته العنت والصدود من معظم أهل مكة ومن غيرهم من قبائل العرب المجاورة لمكة، وتحمل هو وأصحابه صنوفاً من الألم ألوناً من العذاب، وما إن أذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة حتى جاءت بشرى الآمال تحف الرسول صلى الله عليه وسلم في كل محطات هجرته من مكة إلى المدينة، وهو ما سنتناوله في هذه الخطبة بإذن الله تعالى.

عباد الله: ونحن في عام هجري جديد يقبل محملاً بما فيه، وعلى أعقاب عام هجري مضى مودع بما استودعناه، نقف متذكرين هجرة المصطفى، إنها ذكرى للاعتبار والاتعاظ، إنها وقفة نستقرئ فيها فصلاً من فصول الحياة خطه رسول الله وصحبه، إن من أعظم دروس الهجرة وأجل عبرها صناعة الأمل، نعم إن الهجرة تعلم المؤمنين الأمل. الأمل في موعود الله، الأمل في نصر الله، الأمل في مستقبل مشرق لـ"لا إله إلا الله"، الأمل في الفرج بعد الشدة، والعزة بعد الذلة، والنصر بعد الهزيمة.

أيها المؤمنون: جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه ساعة الظهيرة متقنعا على غير عادته، فقال لأبي بكر رضي الله عنه: «أخرج من عندك»، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك. قال: «فإني قد أذن لي في الخروج»، فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم»، ولم يعلم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق، وآل أبي بكر، أما علي رضي الله عنه، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يتخلف؛ حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع؛ التي كانت عنده للناس.

أيها المؤمنون: إن بداية الأمل بالنصر والتمكين صناعته ستة نفر من أهل يثرب، فقد أتى إلى مكة ستة نفر من أهل يثرب كلهم من الخزرج دعاهم رسول

الله إلى الإسلام ولم يكن يتوقع منهم نصرة، وإنما أراد دعوتهم فأمنوا وأسلموا، ثم تتابعت الأحداث على نسق عجيب، جاء في مسند أحمد عن جابر بن عبد الله وكان أحد نفر الستة الذين أسلموا من الخزرج، قال عن قصتهم: حتى بعثنا الله إليه من يثرب فأويناها وصدقناه، فيخرج الرجل منا، فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم تبق من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، ثم ائتمروا جميعاً فقلنا: حتى متى نترك رسول الله يطوف ويتردد في جبال مكة ويخاف؟ فرحل إليه منا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه الموسم، فواعدناه العقبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله علام نبايعك؟ قال: على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون لومة لائم، وعلى أن تتصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم وأزواجكم، ولكم الجنة"، قال جابر: فقمنا إليه فبايعناه

فمن كان يظن أن يكون أولئك نفر الستة بداية مرحلة جديدة من العز والتمكين، والبذرة الأولى لشجرة الهجرة الباسقة والتي ستظل تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها؟ ومن كان يخطر بباله أن تشهد تلك الليلة من ليالي الموسم ورسول الله وصاحبه أبو بكر يطوفان بمنى حتى إذا سمعا صوت رجال

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

يتكلمون مالا إليهم، فقالوا وقالوا، وتحدثوا وسمعوا، وبيننا فأصغوا، فانشرحت القلوب، ولانت الأفئدة، ونطقت الألسنة بالشهادتين، وإذا بأولئك النفر من شباب يثرب يطلقون الشرارة الأولى من نار الإسلام العظيمة التي أحرقت الباطل فتركته هشيما تذروه الرياح. من كان يظن أن تلك الليلة كانت تشهد كتابة السطور الأولى لمحنة المجد والعزة؟ سبحان الله .. ! يعرض دعوته على الكبراء والزعماء ويستكبر المأ وتتألب القبائل وتتآمر الوفود وتسد الأبواب، ثم تكون بداية الخلاص بعد ذلك كله في ستة نفر من المؤمنين الصادقين، إن الله ليضع نصره حيث شاء وبيد من شاء، وعلينا أن نعمل على أن نحمل دعوتنا إلى العالمين وأن لا نحقر أحدا ولا نستكبر على أحد، وعلينا أن نواصل سيرنا مهما يظلم الليل وتشتد الأحزان، فمن يدري لعل الله يصنع لنا في حلقات ليلنا الداجي خيوط فجر واعد، ومن يدري لعل آلامنا هذه مخاض العزة والتمكين.

عباد الله: إن نصر الله يأتي للمؤمن من حيث لا يحتسب ولا يقدر، لم تأت النصر والحماية والتمكين من تلك القبائل العظيمة ذات المال والسلاح، وإنما جاءت من ستة نفر جاؤوا على ضعف وقلة، إنها الأقدار يوم يأذن الله بالفرج من عنده، ويأتي النصر من قلب المحنة، والنور من كبد الظلماء، والله تعالى هو المؤيد والناصر، والبشر عاجزون أمام موعود الله ، نعم فقد صنع الستة

نفر من يثرب أمل النصر والتمكين ومهدوا لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع من ألم المؤامرة القرشية على قتله ليلة الهجرة أملاً للنصر والتمكين الأمل، قال ابن إسحاق: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى نام فيثبون عليه فيقتلونه كما قال تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]، إن كل حساب مادي يقطع بهلاك رسول الله ، كيف لا وهو في الدار والقوم محيطون بها إحاطة السوار بالمعصم، مع ذلك صنع رسول الله الأمل، وأوكل أمره إلى ربه وخرج يتلو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٩] فخرج الأسير المحصور يذر التراب على الرؤوس المستكبرة التي أرادت قتله، وكأن هذا التراب رمز الفشل والخيبة اللذين لزموا المشركين فيما استقبلوا من أمرهم، فانظروا كيف انبلج فجر الأمل من قلب ظلمة سوداء. ويمضي رسول الله في طريق الهجرة يحث الخطى حتى انتهى وصاحبه إلى جبل ثور، وهو جبل شامخ وعرة الطريق صعب المرتقى، فحفيت قدما رسول الله وهو يرتقيه، فحمله أبو بكر وبلغ به غار ثور ومكثا هناك ثلاثة أيام. ومرة أخرى يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الألم أملاً فعندما كان في الغار هو وصاحبة الصديق وقد أحاط به المشركون مرة

أخرى، ويصل المطاردون إلى باب الغار، ويسمع الرجال وقع أقدامهم، ويهمس أبو بكر: يا رسول الله، لو أن بعضهم طأطأ بصره لآنا، هنا يأتيه نصر الله وتأييده، فتتغشى القلوب سكينه من الله وهي في أتون القلق والتوجس والخوف فيقول: "يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟!" ويصرف الله الكفار عن الغار ويعودون خائبين منكسرين، فلم يحققوا هدفهم ولم ينالوا مطلوبهم، وقد كن بينهم وبينه خطوات معدودات، وصدق الله القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨] وإذا

العناية لاحظتك عيونها نم فالحوادث كلهن أمان

فما أحوجنا إلى إعادة الثقة بأنفسنا وقدراتنا وقيمنا ومبادئنا وديننا فنحن أمة أختارها الله وأصطفى منها رسولها وتكفل بحفظ كتابها وتعهد بنصرها وتمكينها، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه يافوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع إخوانه أما بعد:

ويسير صاحبان في طريق الهجرة الطويل الموحش الغير مأهول بالساكنين من الناس، ولا حماية لهما من بشر، وهنا يحرق بهما مخاطر الآلام مرة أخرى ويحاول سراقه ابن مالك الإمساك بهما ليظفر بجائزة قريش الموعودة لمن يأتي بمحمد وصاحبه أحياءً أو أمواتاً، ففي صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم أنه سار مع صاحبه أبي بكر رضى الله عنه، حتى إذا كانا في طريق الساحل لحق بهما سراقه بن مالك طامعا في جائزة قريش مؤملا أن ينال منهما ما عجزت عنه قريش كلها، فطفق يشدد حتى دنا منهما، وكاد هذا الفارس أن يقبض عليهما ليقودهما أسيرين إلى قريش تذيقهما النكال، وفي وسط هذا الألم المحرق بهما والخطر الداهم لهما، يأتيه الأمل من ربه سبحانه وتعالى بالحفظ من سراقه وكيد، فيدعو عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويمضى في طريقه لم يلتفت إلى سراقه ولم يبال به وكأن شيئاً لم يكن، فينصره الله وساخت قدما فرس سراقه، أعاد سراقه المحاولة مرة أخرى فساخت قدما فرسه في الرمال مرة أخرى، فأدرك سراقه أنهم ممنوعون

منها فقال سراقه : إني أراكما قد دعوتما علي، فادعوا لي، فإله لكما أن أرد عنكما الطلب، فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم، وعاد سراقه يقول لكل من قابله في طريقه ذاك: ارجع فقد كفيتكم ما ها هنا، فكان أول النهار جاهدا عليهما وآخره حارسا لهما، وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسراقه كيف بك إذا لبست سوارى كسرى وتاجه فيعجب الرجل ويبهت ويقول: كسرى بن هرمز ؟ فيقول: نعم...!! فيتعجب سراقه وكأن يقول في نفسه: هذا ضر من الخيال، أهذا يستولي على إمبراطوريات الدنيا؟! وهو لا يستطيع حماية نفسه...!! !أيمن لهذا الرجل المطلوب حيا أو ميتا أن يوزع كنوز الملوك وثرواتهم لمن يشاء ويتصرف بها كيفما يشاء وهو لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ؟

لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يزرع في نفس مطارة الأمل بنصر الله وتمكينه لرسوله، وبالفعل تحقق هذا لوعده من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما فتح المسلمون بلاد فارس وغنموا كنوز كسرى وأتو إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأمر عمر بأن يأتوا له بسراقه و قد كان وقتها شيخا كبيرا قد جاوز الثمانين من العمر، وقد مضى على وعد رسول الله له أكثر من خمسة عشر سنة فألبسه سوارى كسرى و تاجه فقال له أرفع يديك وقل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقه تحقيقا لما وعده به رسول

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

الله ليلة الهجرة، فشاهد سراقه ابن مالك تحقيق هذا الوعد بنفسه، وتحقق الأمل الذي بشره به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويبلغ أهل المدينة خبر هجرة الرسول ، الرجل الذي قدم لهم الحياة وصنع لهم الأمل، الرجل الذي أنقذهم من أن يكونوا حطبا لجهنم. يبلغهم الخبر فيخرجون كل غداة لاستقباله حتى تردهم الظهيرة، كيف لا وقد اقتربت اللحظة التي كانوا يحصون لها الأيام ويعدون الساعات. قال الزبير: فانقلبوا يوما بعدما أطالوا انتظاره فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود أطما من أطامهم لينظر إليه فبصر برسول الله وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معشر العرب، هذا صاحبكم الذي تنتظرون.

فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله بظاهر الحرة، تلقوه بقلوب تفيض سعادة وفرحا. وتأمل مظاهر الفرحة الغامرة قال أنس: شهدت يوم دخل النبي المدينة فلم أر يوما أحسن منه ولا أضوأ منه، رواه الحاكم، وقال أبو بكر: ومضى رسول الله حتى قدم المدينة، وخرج الناس حتى دخلنا في الطريق، وصاح النساء والخدام والغلمان: جاء رسول الله، الله أكبر، جاء محمد، جاء رسول الله. رواه الحاكم.

وهكذا أيها الإخوة الكرام، تعلمنا الهجرة في كل فصل من فصولها كيف نصنع الأمل، ونترقب ولادة النور من رحم الظلمة، وخروج الخير من قلب

الشر، وانبثاق الفرج من كبد الأزمات. فما بعد اشتداد ألم المخاض إلا الولادة، وليس بعد ظلمة الليل إلا انبثاق الفجر، فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا [الشرح: ٥، ٦]

ولن يغلب عسر يسرين، فابشروا وأملوا وعودوا واستغفروا الله.

عباد الله: إن اليأس والقنوط ليسا من خلق المسلم، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٧) يوسف: ٨٧، قال ابن مسعود: "أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله".

لقد ضاقت مكة برسول الله ومكرت به فجعل نصره وتمكينه في المدينة. وأوجفت قبائل العرب على أبي بكر مرتدة، وظن الظانون أن الإسلام زائل لا محالة، فإذا به يمتد من بعد ليعم أرجاء الأرض. وهاجت الفتن في الأمة بعد قتل عثمان حتى قيل: لا قرار لها، ثم عادت المياه إلى مجراها، وتتوالى الفتوحات لتصل إلى قلب أوروبا.

وأطبق التتار على أمة الإسلام حتى أبادوا حاضرتها بغداد سرّة الدنيا، وقتلوا في بغداد وحدها مليوني مسلم، وقيل: ذهبت ريح الإسلام، فكسر الله أعداءه في عين جالوت وعاد للأمة مجدها. وتمالاً الصليبيون وجيشوا جيوشهم وخاضت خيولهم في دماء المسلمين إلى ركبها، حتى إذا استيأس ضعيفو الإيمان نهض صلاح الدين فرجحت الكفة الطائشة وطاشت الراجحة، وابتسم

بيت المقدس من جديد. وهكذا يعقب الفرج الشدة، ويتبع الهزيمة النصر،

ويؤذن الفجر على أذيان ليل مهزوم، فلم اليأس والقنوط؟!

اشتدي أزمة تنفرجي قد آذن ليالك بالبلج

فيا أيها الغيورون على أمة الإسلام، يا من احترقت قلوبهم لآلامها، نعماً هذا

الألم وما أصدقه على إيمانكم وحبكم لدينكم، ولكن لا يبلغن بكم اليأس

مبلغه، فليل الألم يعقبه فجر الأمل بحول الله وقوته، وصدق الله القائل: ﴿

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ

كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ التوبة: ٣٣.

فما أحوجنا ونحن في هذا الزمن، زمن الهزائم والانكسارات والجراحات إلى

الأمل بنصر الله وتمكين، فمن يدري؟! ربما كانت هذه المصائب باباً إلى

خير مجهول، ورب محنة في طيها منحة، أوليس قد قال الله: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ

تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ البقرة: ٢١٦.]

الدعاء.....

دروس من الهجرة النبوية

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

عباد الله: تعيش الأمة الإسلامية هذه الأيام إشراقة سنة هجرية جديدة، وإطلالة عام مبارك بإذن الله، بعد أن أفلت شمس عام كامل، مضى بأفراحه وأتراحه، فقوضت خيامه، وتصرمت أيامه، فالله المستعان عباد الله، ما أسرع مرور الليالي والأيام، وتصرم الشهور والأعوام! لكن الموفق الملهم من أخذ من ذلك دروسا وعبرا، واستفاد منه مذكرا ومزدجرا، وتزود من الممر للمقر، فإلى الله سبحانه المرجع والمستقر، والكيس المسدد من حاذر الغفلة عن الدار الآخرة حتى لا يعيش في غمرة، ويؤخذ على غرة، فيكون بعد ذلك عظة وعبرة، والله نسأل أن يجعل من هذا العام نصرة للإسلام والمسلمين، وصلاحا لأحوالهم في كل مكان، وأن يعيده على الأمة الإسلامية بالخير والنصر والتمكين، إنه جواد كريم.

أيها المؤمنون: أقام بمكة ثلاث عشرة سنة، يبلغ رسالة ربه، ويدعو إليه على بصيرة، فلم يجد من أكثر قريش وأكابرهم سوى الرفض لدعوته، والإعراض

عنها، والإيذاء الشديد للرسول -صلى الله عليه وسلم-، ومن آمن به، حتى آل الأمر بهم إلى تنفيذ خطة المكر والخداع لقتل النبي -صلى الله عليه وسلم-، حيث اجتمع كبارهم في دار الندوة، وتشاوروا ماذا يفعلون برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حين رأوا أصحابه يهاجرون إلى المدينة، وأنه لا بد أن يلحق بهم، ويجد النصرة والعون من الأنصار الذين بايعوه على أن يمنعه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم، وحينئذ تكون له الدولة على قريش، فقال عدو الله أبو جهل: الرأي أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جلدا، ثم نعطي كل واحد سيفا صارما، ثم يعمدوا إلى محمد فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه، ونستريح منه، فيتفرق دمه، في القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف، يعني عشيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يحاربوا قومهم جميعهم، فنجاه الله من مكرمهم وكيدهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ الأنفال: ٣٠

عندما وصل الأمر إلى هذا الحد جاء الإذن من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة.

عباد الله: ما أجمل أن نشير إشارات عابرة لعدد من القضايا المهمة الجديرة بالإشادة والتذكير ونحن في بداية هذا العام الجديد، علها تكون سببا في شحذ الهمم، واستنهاض العزمات للتمسك الجاد بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وحاملة على الاتعاظ والاعتبار، ووقفات المحاسبة الدقيقة،

ونظرات المراجعة المستديمة في الأمة، تجديدا في المواقف، وإصلاحا في المناهج، وتقويما للمسيرة في كافة جوانبها.

إن الهجرة النبوية المباركة هي الحدث الذي غير مجرى التاريخ، الحدث الذي يحمل في طياته معاني الشجاعة والتضحية والإباء، والصبر والنصر والفداء، والتوكل والقوة والإخاء، والاعتزاز بالله وحده مهما بلغ كيد الأعداء.

أيها المؤمنون: إن حدث الهجرة سيظل المسلمون يعيشون في ظلال له وأفيائه إلى قيام الساعة، فقد الذي جعل الله سبحانه وتعالى من الهجرة طريقا للنصر والعزة، ورفع راية الإسلام، وتشيد دولته، وإقامة صرح حضارته، فما كان لنور الإسلام أن يشع في جميع أرجاء المعمورة لو بقي حبيسا في مهده، والله الحكمة البالغة في شرعه وكونه وخلقه، إن في هذا الحدث العظيم من الآيات البينات والآثار النيرات والدروس والعبر البالغات ما لو استلهمته أمة الإسلام اليوم وعملت على ضوئه لتحقيق لها عزها وقوتها ومكانتها وهيبتها، ولعلمت علم اليقين أنه لا حل لمشكلاتها ولا صلاح لأحوالها إلا بالتمسك بإسلامها، والتزامها بعقيدتها وإيمانه، فما قامت الدنيا إلا بقيام الدين، ولا نال المسلمون العزة والكرامة والنصر والتمكين إلا لما خضعوا لرب العالمين، وهيهات أن يحل أمن ورخاء وسلام إلا باتباع نهج الأنبياء والمرسلين.

أيها المسلمون: ومن أهم الدروس التي ينبغي أن نعيشها في ظلال الهجرة النبوية المباركة ما يلي:

الدرس الأول: حب الدين مقدم على حب الوطن: فحب الوطن من الأمور الفطرية التي جبل الإنسان عليها، وليس غريباً أبداً أن يحب الإنسان وطنه الذي نشأ على أرضه، وشب على ثراه، وترعرع بين جنباته، كما أنه ليس غريباً أن يشعر الإنسان بالحنين الصادق لوطنه عندما يغادره إلى مكان آخر، فما ذلك إلا دليل على قوة الارتباط وصدق الانتماء، ولعل خير دليل على حب الوطن، ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه وقف يخاطب مكة المكرمة مودعاً لها وهي وطنه الذي أخرج منه، فقد روى الترمذي عن عبد الله بن عباس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة: (ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك). يقول ذلك تعبيراً عن حنينه العميق وحبه العظيم لوطنه، لكن عند المسلم حب الله ورسوله أعظم من حبه لوطنه، فقد يترك المسلم وطنه الذي يحبه ويهاجر منه إذا اضطهد في دين وعقيدته، ولم يتمكن من عبادة ربه ومولاه، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، فقد هاجروا من مكة إلى المدينة، فقدوا بذلك محبة الدين على محبة الوطن.

الدرس الثاني: بيان دور المرأة المسلمة في العمل على إنجاح الهجرة: ففي بدايات الدعوة الإسلامية، كانت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها الملجأ الدافئ الذي يلجأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الشدائد والأزمات، ففي بدايت الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ف يغار حراء عاد

إلى خديجة وهو خائفاً يرتجف وهو يقول: " زملوني زملوني، ففي الصحيحين فرجع بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ترجف بواده حتى دخل على خديجة فقال « زملوني زملوني » . فزملوه حتى ذهب عنه الروح قال لخديجة « أي خديجة ما لي ، لقد خشيت على نفسي » . فأخبرها الخبر . قالت خديجة كلا أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبداً، فو الله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق "

ويتجلى دور المرأة المسلمة في الهجرة النبوية من خلال الدور الذي قامت به عائشة وأختها أسماء رضي الله عنهما حيث كانتا نعم الناصر والمعين في أمر الهجرة؛ فلم يخذلا أباهما أبا بكر مع علمهما بخطر المغامرة، ولم يفشيا سر الرحلة لأحد، ولم يتوانيا في تجهيز الراحلة تجهيزاً كاملاً، تقول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه أتانا نفر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده . وكان فاحشاً خبيثاً . فلطم خدي لكمة طرح منها قرطي قالت: ثم انصرفوا) .

فهذا درس من أسماء رضي الله عنها تعلمه لنساء المسلمين جيلا بعد جيل كيف تخفي أسرار المسلمين من الأعداء ، وكيف تقف صامدة شامخة أمام قوى البغي والظلم؟

وأما درسها الثاني البليغ، فعندما دخل عليها جدها أبو قحافة ، وقد ذهب بصره، فقال : والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه ، قالت : كلا يا أبت، ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه ، فقال: لا بأس ، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك)، وبهذه الفطنة والحكمة سترت أسماء أباها ، وسكنت قلب جدها الضرير ، من غير أن تكذب ، فإن أباها قد ترك لهم حقا هذه الأحجار التي كومتها لتطمئن لها نفس الشيخ! إلا أنه قد ترك لهم معها إيماننا بالله لا تزلزله الجبال، ولا تحركه العواصف الهوج ، ولا يتأثر بقلّة أو كثرة في المال ، وورثهم يقينا وثقه به لا حد لها، وغرس فيهم همة تتعلق بمعالي الأمور ، ولا تلتفت إلى سفاسفها ، فضرب بهم للبيت المسلم مثالا عز أن يتكرر ، وقل أن يوجد نظيره.

لقد ضربت أسماء رضي الله عنها بهذه المواقف لنساء وبنات المسلمين مثالا هن من أمس الحاجة إلى الاقتداء به، والنسج على منواله .

أيها المؤمنون: ومن دروس الهجرة المباركة أهمية العقيدة والدين في إزالة العداوة والضغائن: فإن العقيدة الصحيحة السليمة والدين الإسلامي العظيم لها

أهمية كبرى في إزالة العداوات والضغائن ، وفي التآليف بين القلوب والأرواح ، وهو دور لا يمكن لغير العقيدة الصحيحة أن تقدم به وها قد رأينا كيف جمعت العقيدة الإسلامية بين الأوس والخزرج ، وأزالت آثار معارك استمرت عقودا من الزمن ، وأغلقت ملف العقيدة في نفوس الأنصار ، فاستقبلوا المهاجرين بصدور مفتوحة ، وتآخوا معهم في مثالية نادرة ، لا تزال ماثرا الدهشة ومضرب المثل ، ولا توجد في الدنيا فكرة أو شعار آخر فعل مثلما فعلت عقيدة الإسلام الصافية في النفوس .ومن هنا ندرك السر في سعي الأعداء الدائب إلى إضعاف هذه العقيدة وتقليل تأثيرها على نفوس المسلمين ، واندفاعهم المستمر نحو تذكية النعرات العصبية والوطنية والقومية وغيرها ، وتقديمها كبديل للعقيدة الصحيحة .

أقول قولي هذا واستغفروا الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه يافوز المستغفرين .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع إخوانه أما بعد:

أيها المؤمنون: ومن دروس الهجرة أداء الأمانات حتي ولو كانت للكفار فقد كانت أمانات المشركين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: ففي إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم مع محاربتهم له وتصميمهم على قتله دليل باهر على تناقضهم العجيب الذي كانوا واقعين فيه، ففي الوقت الذي كانوا يكذبونه ويزعمون أنه ساحر أو مجنون أو كذاب لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أمانة وصدقا ، فكانوا لا يضعون حوائجهم ولا أموالهم التي يخافون عليها إلا عنده! وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه ، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق الذي جاء به ، وخوفا على زعامتهم وطغيانهم، وصدق الله العظيم : ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ (سورة الأنعام: الآية ٣٣).

وفي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه بتأدية هذه الأمانات لأصحابها في مكة ، رغم هذه الظروف الشديدة التي كان من

المفروض أن يكتنفها الاضطراب، بحيث لا يتجه التفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته فقط، رغم ذلك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان لينسى أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها، حتى ولو كان في أصعب الظروف التي تنسي الإنسان نفسه فضلا عن غيره .

أيها المؤمنون: لقد كانت الهجرة النبوية حدثا عظيما من أحداث التاريخ، ومحطة مهمة من محطات مسيرة الدعوة الإسلامية، حيث تجلى فيها صدق الإرادة مع قوة الإيمان، وشرف الفداء مع حب التضحية، فكانت بحق فرقانا بين الحق والباطل، وفيصلا بين الهدى والضلال. >لقد كانت الهجرة النبوية الشريفة انطلاقة جديدة لبناء دولة الإسلام، وإعازا لدين الله، وفاتحة خير ونصر وبركة على الإسلام والمسلمين، والأمة الإسلامية اليوم، هي في أشد الحاجة إلى الاستفادة من هذه الذكرى واستيعاب مفهوم ومعاني الهجرة النبوية بكل تفصيلاتها ودقيق معانيها، ومن تم تحقيقها وإنزالها على أرض الواقع، إن الدروس التي ينبغي أن يتعلمها المسلمون من حدث الهجرة باقية إلى يوم القيامة، وبإمكان كل مسلم في كل زمان ومكان أن يهاجر إلى الله ورسوله فقد أخرج ابن حبان في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع: (ألا أخبركم بالمؤمن: من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب)، فإذا أمنك الناس على أموالهم

وأنفسهم فأنت المؤمن، وإذا سلم المسلمون من لسانك ويدك فأنت المسلم، وإذا جاهدت نفسك في طاعة الله عز وجل فأنت المجاهد.. وإذا هجرت الخطايا وابتعدت عن الذنوب فأنت المهاجر، وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "المهاجر من هجر ما نهى الله عنه"، وكأن النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم أراد أن تكون حياة المسلم مرتبطة بحركة إيجابية دائمة مستمرة، حركة هادفة منطلقها الإخلاص، وغايتها الخير والنفع والرحمة والعطاء، أراد صلى الله عليه وسلم أن يذكر بضرورة السلوك وبضرورة الحركة وبضرورة التحسن وبضرورة التعامل مع الهجرة على أساس دائم، بمعنى أن نذكر ونتذكر الهجرة وأن نسقطها على أنفسنا في كل يوم في كل حركاتنا وفي كل سلوكياتنا، وأن نجعلها هجرة دائمة مستمرة ملازمة لحياتنا كلها، أن تكون هجرة من الإيمان الصوري التقليدي، إلى الإيمان الحق الصادق الذي ينبع من القلوب والوجدان والعقول وينعكس على الجوارح والأفعال والتصرفات.

أن تكون هجرة من الذنوب والسيئات القولية والفعلية المادية والمعنوية.. هجرة من الشهوات والشبهات، هجرة من مجالس المنكرات، هجرة من الكذب إلى الصدق، هجرة من الجهل إلى العلم، هجرة من العناية بالجسد إلى العناية بالروح.. هجرة من الكسل والتواكل إلى الجد والاجتهاد في طاعة الله، وخاصة في هذه الأيام التي كثرت فيها الفتن والمحن، قال صلى الله عليه

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

وسلم، كما صح عنه في صحيح مسلم: "العبادة في الهرج كهجرة إلي"، أن تكون هجرة من الخيانة والتقصير في المسؤولية إلى الأمانة وتحمل المسؤولية.. هجرة من الظلم إلى العدل، هجرة من التفرقة والتنازع إلى التعاون والاعتصام قال ربنا: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [المائدة: ٢]، وقال سبحانه: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. فخذوا أيها المسلمون حظكم من الهجرة وهاجروا إلى الله تعالى بلزوم طاعته وترك معصيته، و فعل الخيرات وترك المنكرات، في جميع الأيام وفي كل الاوقات، أسأل الله تعالى أن يجعلنا من المهاجرين الصادقين إليه، وأن يجعل عامنا الهجري الجديد عام خير وبركة.

الدعاء

يوم الجمعة

الخطبة الأولى

الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

أيها المؤمنون: إن اجتماع المسلمين ووحدتهم من أهم الأهداف والمقاصد التي راعاها الإسلام في طبيعة العلاقة بين المسلمين، ومن أجل تحقيق هذه الغاية فقد جعل الإسلام للمسلمين مناسبات عدة كالأعياد، وشرع لهم عبادات جماعية متنوعة كالصلوات الخمس ويوم الجمعة، وكأن الإسلام يدفع المسلمين دفعا نحو الاجتماع وتحقيق الوحدة دفعا، ومن تلك العبادات يوم الجمعة، ومن الدلائل على عظم مكانة يوم الجمعة أن سميت سورة من سور القرآن باسمه، وهي سورة «الجمعة» قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٩﴾ [الجمعة: ٩]، فهي يوم جل بين الأيام قدره، وعلا في الإسلام ذكره، إنه عنوان الملة، فحق على الأمة أن تعرف قدره، وتحفظ منزلته، يوم الجمعة، يشرق على المسلمين ليؤلف بينهم بالمودة، ويربطهم برباط الجماعة، ويظهر فيهم الوحدة والعزة. الجمعة لأهل الإسلام يوم عيد،

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء الجمعة فليغتسل وإن كان عنده طيب فليمس منه وعليكم بالسواك»، رواه ابن ماجه بإسناد حسن، فيوم الجمعة يوم تواصل بين لمسلمين، فكثير من الناس لا يرى بعضهم بعضا إلا يوم الجمعة، فالذهاب يوم الجمعة إلى المسجد واجب، فيلتقي المسلمون في المسجد لاستماع الخطبة وصلاة الجمعة، وبعدها يتلاقون فيما بينهم، ويسلم بعضهم على بعض، مما يشيع روح التواصل فيما بينهم.

أيها المؤمنون: من خصائص يوم الجمعة: هو هذا التجمع الكريم، والمشهد العظيم، في اجتماعنا لصلاة الجمعة، فهي لقاء أسبوعي يجتمع فيه المسلمون؛ ليشهدوا الخير والأجر، ويسمعوا العلم والذكر، مقبلين على بيوت الله، تاركين البيع واللهو والتجارة، يوثقون صلتهم بربهم، ويجددون العهد بخالقهم، حتى صار هذا الجمع من أجمل صور الوحدة والاجتماع عند المسلمين، ومن وسائل الاجتماع والوحدة في الجمعة أن صلاة الجمعة في جماعة فريضة، أما صلاة الجماعة في بقية الصلوات الخمس فهي سنة مؤكدة، كما أن من أركانها خطبتين، مع وجوب استماع المصلين إلى الخطيب.

أيها المؤمنون: إن ليوم الجمعة ميزات وفضائل كثيرة ، فضل الله بها هذا اليوم على ما سواه من الأيام، وقد خص الله تبارك وتعالى أمة محمد صلى

الله عليه وسلم بهذا اليوم ، دون غيرها من الأمم، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة وعن ربي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلق»، قال الإمام النووي قال القاضي قال القاضي: "الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل إلى اجتهداهم لإقامة شرائعهم فيه، فاختلف اجتهداهم في تعيينه ولم يهدهم الله له، وفرضه على هذه الأمة مبينا، ولم يكله إلى اجتهداهم ففازوا بتفضيله، و قيل: إن موسى عليه السلام أمرهم بالجمعة وأعلمهم بفضلها فناظروه أن السبت أفضل، فقليل له: دعهم". ولهذا حسدنا أهل الكتاب على هذا الاختيار والهداية، جاء في مسند الإمام أحمد بسند صحيح عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله: «إنهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام أمين» رواه أحمد بسند صحيح .

أيها المؤمنون: إن يوم الجمعة له مكانة عظيمة، ومزية جليلة على سائر أيام الأسبوع، فهو سيد الأيام وخيرها، ولم تطلع الشمس على يوم أفضل منه،

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

وقد جعله الله مبدأ الخلق ونهايته، ففيه خلق آدم، وفيه تقوم الساعة؛ ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»، فتذكروا في هذا اليوم أباكم الأول آدم عليه السلام وما جرى له في السماء؛ لتعلموا تكريم الله تعالى لهذا الإنسان وتفضله على سائر المخلوقات، وفي يوم الجمعة تظل الحيوانات والعجماوات مستمتعة منتظرة خشية من قيام الساعة فيها؛ خشية من قيام الساعة فيها بغتة، وهي غير مكلفة، إلا الإنس والجن وهم المكلفون، لكنهم عنها غافلون، ففي صحيح ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال: «... وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، مِنْ حِينَ تُصْبِحُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ . شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلَّا الْجَنَّ وَالْإِنْسَ وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي . يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا . إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» ومن فضائل يوم الجمعة أن صلاة الفجر جماعة في يوم الجمعة خير صلاة يصليها المسلم طوال أسبوعه، عن أبي عبيدة بن الجراح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن أفضل الصلاة صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة، ما أحسب من شهدها منكم إلا مغفورا له». أخرجه البزار وهو في السلسلة الصحيحة، ومن فضائل هذا اليوم المبارك أنه يوم لتكفير السيئات التي أثقلت الظهور، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان يقول: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر»، رواه مسلم، فأين الحريص على تكفير ذنوبه في هذا اليوم، وهذا الفضل يتجدد في كل جمعة؛ فعن سلمان رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى» رواه البخاري. ومن فضائل هذا اليوم المبارك أنه موسم خصب لكثرة الأجور والحسنات، واغتنام الخيرات والقربات، فعن أوس بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة: أجر صيامها وقيامها»، رواه الترمذي بسند صحيح، فأين تجار الآخرة الحريصون على كثرة الأرباح، وحياسة بضاعة الفوز و الفلاح؟ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَقَفَتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَأَلَّوْلَ وَمَثَلُ الْمُهْجَرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً ثُمَّ كَبْشًا ثُمَّ دَجَاجَةً ثُمَّ بَيْضَةً فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طَوَّأَ صُحُفَهُمْ وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»، ومن فضائل هذا اليوم المبارك أنه من مات فيه أو في ليلته -وهو مؤمن- وقاه الله عذاب

القبر وفتنته، ففي الترمذي بسند حسن لغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر ».

ومن فضائل هذا اليوم المبارك أنه يستحب فيه الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، و صلاتنا هذه تعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي أبي داود بسند صحيح عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنْ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ " .قال: قالوا: يا رسول الله! وكيف تَعْرَضُ صَلَاتَنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟! قال: يقولون: بَلَيْتَ! فَقَالَ: " إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَيَّ الْأَرْضَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ » وكيف لا نكثر عليه صلى الله عليه وسلم من الصلاة والسلام وهو الذي كان سبب نيلنا فضل هذا اليوم يوم الجمعة، صلى الله عليه وسلم. عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ الْجُمُعَةِ فَإِنْ صَلَاةٌ أَمْتِي تَعْرِضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً » رواه البيهقي بإسناد حسن، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: « ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الأنعام، ويوم الجمعة سيد الأيام، فللصلاة عليه في هذا اليوم مزية ليست لغيره، مع حكمة أخرى وهي: أن كل

خير نالته أمته في الدنيا والآخرة؛ فإنما نالته على يده، فجمع الله لأمته به بين خيري الدنيا والآخرة، فأعظم كرامة تحصل لهم، فإنما تحصل يوم الجمعة؛ فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو يوم عيد لهم في الدنيا، ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم، ولا يرد سائلهم، وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده، فمن شكره وحمده وأداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم أن نكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته»، ومن فضائله أنه يوم تجاب فيه الدعوات، وتقال العثرات، فيه ساعة إجابة، ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وأرجح الأقوال في تحديد هذه الساعة أنها بعد العصر إلى المغرب.

أيها المؤمنون: إذا أردتم أن تعرفوا حال الجمعة يوم القيامة فإليكم هذا الحديث فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتاني جبريل عليه السلام وفي يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقلت ما هذه يا جبريل قال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولقومك من بعدك تكون أنت الأول وتكون اليهود والنصارى من بعدك قال ما لنا فيها قال فيها خير لكم فيها ساعة من دعا ربه فيها بخير هو له قسم إلا أعطاه إياه أو ليس له يقسم إلا ادخر له ما هو أعظم منه أو تعود

فيها من شر هو عليه مكتوب إلا أعاده أو ليس عليه مكتوب إلا أعاده من أعظم منه قلت ما هذه النكتة السوداء فيها قال هذه الساعة تقوم يوم الجمعة وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد قال قلت لم تدعونه يوم المزيد قال إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسية ثم حف الكرسي بمنابر من نور وجاء النبيون حتى جلسوا عليها ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ثم جاء الصديقون والشهداء حتى جلسوا عليها ثم يجيء أهل الجنة حتى جلسوا على الكثيب فيتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلى وجهه وهو يقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي هذا محل كرامتي فسلوني فيسألونه الرضا فيقول الله عز وجل رضائي أحكم داري وأنا لكم كرامتي فسلوني فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إلى مقدار منصرف الناس يوم الجمعة ثم يصعد الرب تبارك وتعالى على كرسية فيصعد معه الشهداء والصديقون أحسبه قال ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم درة بيضاء لا فصم فيها ولا وصم أو ياقوتة حمراء أو زبرجدة خضراء منها غرفها وأبوابها مطردة فيها أنهارها متدللية فيها ثمارها فيها أزواجها وخدمها فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا فيه كرامة ويزدادوا فيه نظرا إلى وجهه تبارك وتعالى ولذلك دعي يوم المزيد»

رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين أحدهما جيد قوي ورواته رواية الصحيح، ورواه والبزار واللفظ له.

أيها المؤمنون: في أيامنا هذه يرى قلة الحرص على هذا الخير العظيم، فالخطيب قد يصعد المنبر ولا يرى أمامه إلا القليل ثم يبدأ الناس بعد ذلك بالحضور، فأين هم من فضل الساعات الأولى التي يجني أهلها خيرا وافرا، وأين هم من تدوين الملائكة الذين يسجلون الأول فالأول من الداخلين حتى يصعد الخطيب المنبر فيطوي الملائكة- عند ذلك- صحفهم ويستمعون الخطبة؟! فيا خسارة الغائبين، ويا ندامة المفرطين! إخواني: رأيتم طلاب الدنيا كيف يبكرون إلى الأسواق للبيع والشراء والريح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة. علام هذا التواني وإلى متى يستمر البعض منا على هذا التأخر في الجمعة وفي غيرها من الصلوات من هذه حاله متى سيتلو القرآن متى سيتقرب إلى ربه بنفل الصلاة لا سيما السنن الرواتب القبلية. فلا بد من وقفة حازمة. قال بعض أهل العلم: كانت الطرقات في العهد الأول في زمن الصالحين عامرة وقت السحر وبعد الفجر بالمبكرين إلى الجمعة الذين يمشون بالسر، ويقال: إن أول بدعة في الإسلام: ترك البكور إلى الجمعة. فأين نحن من التبكير يا أهل الجمعة، وهذا أحد الصالحين بكر للجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول في نفسه معاتبا لها: رابع

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

أربعة وما رابع أربعة من البكور ببعيد، فاغتموا مثل هذه الفضائل في هذا اليوم المبارك، قلت ما سمعتم فا ستغفروا الله يا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع إخوانه أما بعد:

أيها المؤمنون: وإذا كانت هذه فضائل يوم الجمعة، فقد سن رسول الله للمسلمين فيه سننا تزيده في أجرهم وتقربهم من ربهم ، وترفع من درجاتهم ، ومن هذه السنن والمستحبات في يوم الجمعة، الاغتسال، ففي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»

ومن السنن والمستحبات قراءة سورة الكهف، ففي سنن البيهقي عن أبي سعيد الخدري أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»، ومن سنن الجمعة ومستحباتها : التطيب أو مس الطيب ، ففي صحيح البخاري عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ وَيَدْهِنُ مِنْ دُهْنِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ ثُمَّ يَنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ إِلَّا

غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى» ومن سنن الجمعة أن يلبس الحسن والصالح من الثياب ، فقد روى أحمد في مسنده بسند حسن عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « على كل محتلم الغسل يوم الجمعة ويلبس من صالح ثيابه وإن كان له طيب مس منه ». ومن سنن الجمعة ومستحباتها : أن يأتي المسجد ماشيا ، وأن يدنو من الإمام ففي سنن أبي داود بسند صحيح عن أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : عن أوس بن أوس الثقفي قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « من غَسَلَ يوم الجمعة واغتسل، ثم بَكَرَ وَابْتَكَرَ، ومشى ولم يركب، ودنا من الامام، فاستمع ولم يَلْغُ؛ كان له بكل خُطوة عملُ سَنَةِ أَجْرٍ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا» ومن سنن الجمعة ومستحباتها أن يستاك عند ذهابه للمسجد ففي مسند أحمد بسند صحيح عن أبي سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من اغتسل يوم الجمعة واستاك ومس من طيب إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد ولم يتخط رقاب الناس ثم ركع ما شاء الله أن يركع ثم أنصت إذا خرج الإمام فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى». ومن سنن الجمعة ألا تخطى رقاب المصلين ففي مسند الإمام أحمد بسند صحيح عن عبد الله بن بسر أن رجلا جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو يخطب الناس يوم الجمعة فقال «

اجلس فقد آذيت وآنيت » ومن سنن الجمعة أن لا يقيم أحداً من مجلسه ليجلس بدلاً عنه ففي صحيح مسلم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي قال: « لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة ثم ليخالف إلى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا»، ومن السنن أن يصلي ركعتين قبل أن يجلس ففي الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم الجمعة فقال « أصليت يا فلان » . قال لا . قال « قم فاركع » وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال جاء سليك الغطفاني يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فجلس فقال له « يا سليك قم فاركع ركعتين وتجاوز فيهما - ثم قال - إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجاوز فيهما ». ومن سنن الجمعة الإنصات للخطبة ففي صحيح البخاري سعيد بن المسيب أن أبا هريرة أخبره أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت . والإمام يخطب فقد لغوت »

ومن السنن ألا يفرد يوم الجمعة بصيام ففي مسند أحمد بسند صحيح عن جويرية أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل على جويرية في يوم جمعة وهي صائمة فقال لها اصمت أمس قالت لا قال تصومين غدا قالت لا قال فأفطري»

أيها المؤمنون: وإذا كان ليوم الجمعة وصلاة الجمعة هذا الفضل العظيم فقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من التهاون في صلاة الجمعة فقد ففي صحيح مسلم أن عبد الله بن عمر وأبا هريرة حدثاه أنهما سمعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول على أعواد منبره « لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » فكم فوت هؤلاء على أنفسهم من تطهير أعمالهم، وترقيق قلوبهم!!، لما غابوا عن الجمع والجماعة فحرموا فيها الثناء على الله وتمجيده، وإفراد خالقهم بالعبادة وتوحيده!!، وكم فاتهم من ميراث النبوة الذي أمرنا بنشره وتبليغه!!، وكم جهلوا ما يقربهم إلى الله وجنانه، ويباعدهم عن سخطه ونيرانه!! وفي سنن الترمذي بسند حسن عن أبي الجعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من ترك ثلاث جمع تهاونا بها طبع الله على قلبه » هذه عقوبة معنوية، وهناك عقوبة حسية هم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفعلها من أجل النساء والأطفال الذين في البيوت قال: ففي مسند أحمد بسند رجاله ثقات عن بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس، ثم أنظر فأحرق على قوم بيوتهم لا يشهدون الجمعة»

أيها المؤمنون: أبشروا إذا داومت على يوم الجمعة وأحسنتم علاقتكم مع ربكم بمشهد مضيء يوم القيامة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ففي صحيح ابن خزيمة عن طاووس عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها، ويبعث يوم الجمعة زهراء منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس تهدي إلى كريمها، تضيء لهم يمشون في ضوئها، ألوانهم كالثلج بياضا، وريحهم تسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان ما يطرقون تعجبا حتى يدخلوا الجنة، لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون»، فيجب أن نعتر بهذا اليوم المبارك، وأن تسري عظمته في قلوبنا، وأن نعظمه في قلوب أبنائنا وأهلينا، وأن نتنافس فيه على أعمال الخير والبر، وأن نحذر أن نكون ممن لا يعرف للجمعة قدرا ولا فضلا، ولا عبادة ولا فرضا، ولنعلم - عباد الله - أن ليوم الجمعة حرمة عند الله، كما أن للأعمال واحرصوا رحمكم الله على اغتنام خير هذا اليوم وفضله، وكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِهِمْ بَحْرٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧] وعظموا حرمة هذا اليوم فإن الله تعالى يقول: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠] وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] أيها المؤمنون: هذا يومكم الذي فضلتكم به فاعرفوا فضائله وتمسكوا بآدابه، وأطيعوا الله فيه واجعلوه يوما لمزيد الطاعة والقربة، ولا تجعلوه يوما للهو وتضييع الصلوات، والغفلة عن العبادات والقربات، فأظهروا لله من أنفسكم أنكم أحق به وأهله باتباعكم سننه، ومعرفتكم فضله،

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

وبصلاحكم وحرصكم على قبول ضيافة الله فيه، والكريم من يشكر فضل ربه، ويعرف حق النعمة عليه، فمن شكر فلنفسه جلب الخير، ومن جحد أو غفل فعلى نفسه جنى، ولا يضر الله شيئاً.

الدعاء.....

في ظلال السبع المثاني

الخطبة الأولى

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

أيها المؤمنون: في كل يوم وليلة يصلي المسلمون خمس صلوات فرضها الله تعالى عليهم الله، ويجب عليهم في كل ركعة من ركعات تلك الصلوات قراءة سورة هذه السورة، هذه السورة افتتح الله بها كتابه؛ لما تضمنته من عظيم المعاني، التي أودعت أجزل وأخصر المباني إنها سورة الفاتحة التي من ترك قراتها في الصلاة بطلت صلاته الصلاة، لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة لمن يقرأ بفاتحة الكتاب» متفق عليه، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن، فهي خداج ثلاثا-غير تمام»، وهذا عام في الصلاة السرية والجهرية، ولكن من نسي قراءتها في الصلاة الجهرية أو لم يمكنه قراءتها بعد الإمام فلا حرج عليه في ذلك على القول الصحيح من أقوال أهل العلم في ذلك ؛ لأن قراءة الإمام له قراءة، فهي سورة جديرة بالاهتمام، وأهل لأن يتعلم

المسلمون تفسيرها، ويتفهموا معانيها، ويتواصلوا بمعرفة فضائلها، وإنه مما يعاب على المسلم أن يظل سنين طويلة يردد هذه السورة ويقرأها في صلاته عشرات المرات في اليوم واللييلة ومع ذلك لا يعرف معانيها، ولا يدري ما مقاصدها وأهدافها!. ومن أجل ذلك فسنخصص هذه الخطبة ل الحديث عن هذه السورة الكريمة المباركة.

أيها المؤمنون ورد في فضل سورة الفاتحة أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين ذلك: فمن فضلها أن الله تعالى اختص بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولم ينزل مثلها في الكتب السماوية السابقة، أخرج الترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب: «كيف تقرأ في الصلاة؟» «فقرأ أم القرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها وإنما سبغ من المثنائي والقرآن العظيم الذي أعطيته».

أيها المؤمنون: ومن فضل سورة الفاتحة أنها أعظم سورة في القرآن الكريم، والدليل على ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه حتى صليت. قال: فأتيت، فقال: «ما منعك أن تأتيني؟» قال قلت: يا رسول الله! إني كنت أصلي، فقال - صلى الله عليه وسلم -: «ألم يقل الله -

تعالى:- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ثم قال: «لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد». قال: فأخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت: يا رسول الله! إنك قلت "لأعلمنك أعظم سورة في القرآن"! قال: نعم: «الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»، ما أعظمه من فضل لسورة من قصار سور القرآن لا تتجاوز آياتها سبع آيات كريمات! وما أكرمه من وقت ذلك الذي يقضى في تعلمها ومعرفة تفسيرها!

ومن فضلها أنها أحد النورين اللذين آتاها الله تعالى لنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم ولأمته من بعده، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس قال: «بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء، فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم، وقال: «أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته».

أيها المؤمنون: هذه السورة تعددت أسماؤها؛ وكثرة أسمائها تدل على أهميتها وفضله، وعلى مكانتها وعظمة منزلتها، فتسمى: "فاتحة الكتاب"؛ لأنها أول سور القرآن، وعنوان مقاصده، وهذا الاسم هو أشهر أسمائها على الإطلاق؛ لأن كتاب الله افتتح بها، وتسمى "أم القرآن"؛ لأنها قد اشتملت على أمهات

المعاني التي أودعها ربنا في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وتسمى كذلك "السبع المثاني والقرآن العظيم"؛ لأنها تدل على معاني الخير مثني مثني؛ ليعقلها المرء، قال كثير من المفسرين: هي المقصود بقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧) [الحجر: ٨٧]، وهي أم الكتاب التي جمعت معاني الوحي ومقاصد الشرع، فمن تدبرها حق التدبر، فتحت له جميع مراتب الهداية، كل على حسب إيمانه، وتسمى سورة الفاتحة كذلك بالصلاة، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "قال الله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدني ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، قال الله تعالى: أثني علي عبدي، وإذا قال: مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ قال: مجدي عبدي، وقال مرة: فوض إلي عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدني ما سأل، فإذا قال ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قال: هذا لعبدي ولعبدني ما سأل»، وتسمى هذه السورة المباركة كذلك تسمى "الرقية"، فقد أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال: "نزلنا منزلاً، فأنتتنا امرأة، فقالت: إن سيد الحي

سليم، لدغ، فهل فيكم من راق؟ فقام معها رجل منا، ما كنا نظنه يحسن رقية، فرقاه بفاتحة الكتاب، فبرأ، فأعطوه غنما، وسقونا لبنا، فقلنا: أكنت تحسن رقية، فقال: ما رقيته إلا بفاتحة الكتاب، قال: فقلت: لا تحركوها حتى نأتي النبي صلى الله عليه وسلم، فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له، فقال: «ما كان يدرية أنها رقية؟! اقسموا، واضربوا لي بسهم معكم»، ولكي تكون سورة الفاتحة شفاء لا بد لا بد له من تحقق شرطين مهمين وأصلين عظيمين: الأول: أن يكون هناك يقين جازم وثقة بالله كاملة بأن القرآن شفاء، هذا من جهة الراقي. والثاني: أن يكون هناك يقين جازم أيضا من المريض بأن القرآن شفاء، ولكن هذا الشفاء قد يتعجل وقد يتأخر؛ لحكمة يعلمها الله تعالى.

أيها المؤمنون: وهذه السورة المباركة لنا مع آياتها وقفات وتأملات؛ كي يعلم المسلم معنى ما يردده في صلاته في كل ركعة، حتى يتلذذ بقراءتها؛ لأنه علم معناها، ومن هذه الوقفات: **الوقف الأولى:** أن الله تعالى افتتحها بحمده سبحانه وتعالى: لأن الحمد من أكمل العبادات، فهو سبحانه وتعالى المستحق للحمد والمدح؛ لأن كل الخيرات منه سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨] لذلك كان الحمد من أجل الأعمال عند الله، عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الظهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان»، ثم ذكر

اسمه الأعظم: ﴿لِلَّهِ﴾ الذي هو أعظم الأسماء وأشملها لمعاني الأسماء الأخرى. **الوقف الثانية:** فيها إثبات ربوبية الله تعالى على خلقه، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿رَبِّ الْمَلَكِ﴾ فالله هو الرب المربوب الخالق العظيم، فهو الذي أوجد العالم كله. وإذا كان هو الخالق فمن باب أولى فإنه لا يستحق العبادة إلا هو سبحانه وتعالى، فيا للعجب من مخلوق يعبد غير الله . ويا للعجب من ذلك الذي يدعو أحدا من دون الله تعالى . إن الله هو رب العالمين فكيف تتعلق بواحد من البشر من الأحياء أو من الأموات. ثم لك أن تتعجب من ذلك الملحد الذي ينكر وجود الله . ويقول إن الطبيعة أوجدت نفسها . حسنا فمن الذي أوجد الطبيعة وجعلها بكامل هذا الحسن والجمال ؟ ولكن صدق الله ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. **الوقف الثالثة:** اشتملت هذه السورة على سعة رحمة الله تعالى: ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ فهو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، وهو الرحيم بالمؤمنين، وإنك حينما تقرأ هذه السورة في كل يوم عدة مرات وتتذكر رحمة الله فإنك تشعر بالراحة والطمأنينة، فكيف تقلق وكيف تيأس وكيف تحزن وأنتمتع ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾. **الوقف الرابعة:** اشتملت على التحذير من يوم الدين: ويوم الدين هو يوم الجزاء والحساب والعقاب في اليوم الآخر، والله تعالى يجازي الخلق على أعمالهم التي عملوها في حياتهم

الدنيا، وينادي على الخلائق في ذلك اليم قائلا: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] فلا يجيب أحد فيجيب بنفسه ﴿لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ﴾ ﴿١٦﴾ فيا عبدالله ، لا تنس أنك ستقف بين يدي الله الملك الجبار ، فاحذر من كل عمل قد يضررك في ذلك اليوم. **الوقفه الخامسة:** اشتملت على الدعوة إلى عبادة الله تعالى: وذلك في قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي لا نعبد إلا إياك، والعبادة وهي أعظم حقوق الله على خلقه، وهذه العبادة هي الغاية من خلق الجن والإنس قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٧] وجميع الرسل جاءت بالدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، والعبادة لا تصح أن تكون عبادة إلا بشرطين: الإخلاص لله تعالى، والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، فيا عباد الله اعبدوا ربكم كما ينبغي، واحذروا معصيته ومخالفة أمره. قلت ما سمعتم فا ستغفروا الله يا فوز المستغفرين

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

متابعة لوقفاتنا مع سورة الفاتحة، نقول: **الوقفة السادسة:** فيها طلب الإعانة من الله تعالى وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ والاستعانة هي أعظم حظوظ العبيد من الله تعالى، واعلم أنه لن يعيننا أحد كإعانة الله تعالى، فنحن بالله ، نستعين به في كل شيء، نستعين به في أداء الطاعات ، فوالله لو لم يعيننا الله على أدائها لما قمنا بها ، فلولا الله وتوفيقه لما صلينا ولا صمنا ولا استطعنا أن نفعل شيء، وطلب العون من الله تعالى هي وصية نبوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل، جاء عند أبي داود بسند صحيح عن معاذ بن جبل رضى الله عنه: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ بيده، وقال: « يا معاذُ! والله! إني لأُحِبُّكَ، والله! إني لأُحِبُّكَ ». فقال: " أوصيك يا معاذ! لا تدعَنَّ في دُبُرِ كل صلاة تقول: اللهم! أعني على ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ «، فلنستعين بالله في دنيانا فهو الذي ييسر أرزاقنا ويفتح لنا أبواب التوفيق . لنستعين بالله حينما نمرض فلا يملك شفاءنا إلا الله . ولنستعين بالله في تربيته لأولادنا، ولنستعين بالله تعالى في كل أحوالنا وما أجمل قول القائل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

الوقف السابعة: فيها الدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم: وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ فكونك يا مسلم تدعو ربك أن يهديك صراطا مستقيما هذا هو أعظم دعاء جامع لخيري الدنيا والآخرة، فمن هداه الله تعالى إلى الصراط المستقيم، فمآله إلى الجنة، مصيره إلى رضوان الله، وأنت تكرر هذا الدعاء في اليوم والليلة سبع عشرة مرة في الصلوات المفروضة. إنه دعاء عظيم جدا، فنحن بحاجة إلى الطريق الذي يرضي الله ويوصلنا إلى جنته سبحانه وتعالى، فالذي يسلك طريق الهداية هو الفائز، والذي يحرم هداية الله يعيش في ضلال وظلام.. ثم بين ربنا هذا الصراط فقال: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ ﴾، و تأملوا عبد الله فضل هذا الدعاء وأهميته، حيث إن الذي علمنا الدعاء هو الله تعالى، والذي ضمن لنا الإجابة هو الله تعالى، والصراط المستقيم هو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح. كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩] .

الوقف الثامنة: فيها تحذير من طريق المغضوب عليهم والضالين: وذلك في قوله تعالى: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ فالمغضوب عليهم هم الذين

علموا لكنهم لم يعملوا، وهم اليهود. والضالون هم الذين عبدوا الله على جهل، وهم النصارى. فالحذار الحذار، والفرار الفرار من هذين الطريقين، قال أهل العلم: "ذكر اليهود والنصارى في هذه السورة؛ لأنهم رؤوس فرق الضلال، فمن عبد الله على جهل ففيه شبه من النصارى، ومن علم ولم يعمل ففيه شبه من اليهود، فأمرنا ربنا جل جلاله بأن نتبرأ من طريقهم، وأن نسأل الله عز وجل أن يجنبنا طريقهم وصراطهم، و من توفيق الله للعبد أن يرزقه العلم والعمل والهداية للصراط المستقيم .

أيها المؤمنون: اعلموا أنه يجب علينا تجاه هذه السورة عدة أمور، فمنها: إتقان قراءتها كما ينبغي، وإنك لتحزن أشد الحزن عندما تسمع مصليا محافظا على الصلوات الخمس، إذا قرأ سورة الفاتحة يلحن فيها لحنا جليا يغير المعنى تغييراً كلياً، وله سنوات على تلك الحالة، ولم يستطع أن يتغلب على نفسه ويقرأ الفاتحة على يد من على من هو أعلم منه ليوقفه على أخطائه، وليس في ذلك عيب، فهذا سيد البشر الذي أنزل عليه القرآن يقول الله عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦﴾ [النمل: ٦]، فرسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى القرآن من جبريل عليه السلام مع أنه سيد البشر وهو الذي أنزل عليه القرآن، ولكن الشيطان يستحوذ على ابن آدم ويمنعه من إتقان تلاوة سورة الفاتحة، وهذا من تخذيل النفس ووسوسة الشيطان، فيا أيها المسلم الكريم: عندما تبدأ في صلاتك فتذكر أنك تقف بين يدي الله تبارك

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

وتعالى، لذا فالزم نفسك بالخشوع وأنت تقرأ الفاتحة في صلاتك، وأجبرها على التذلل والخضوع، ثم سم الله معلنا أنك مستعين به على قراءتك وعلى أداء صلاتك، ثم اشرع في تلاوة السورة الكريمة ذات الآيات العظيمة. وحاول أن تتدبر آيات هذه السورة المباركة، فإنك إن تدبرت معانيها، شعرت بحلاوة القرآن، ولذة العبادة، وأحسست بنعيم الخشوع، ورفعة الخضوع، وذلك لمن أعظم المطالب في الصلاة. إن "فاتحة الكتاب" ترسم للمرء الغاية من حياته، وترشده إلى وسيلة تحقيقها، وتتادي على صراط الله، وفيها علاج لأمراض القلب التي متى استحكمت فيه أقعدته عن السير إلى مولاه، فهي هدايات في باب التصور والعلم، وفي باب الإرادة والعمل جميعا، لنحرص على تدر معانيها في صلاتنا وفي كل أوقات نقرؤها، فهي أعظم سورة في كتاب الله تعالى.

الدعاء

.

المجموعة الثانية

خطب شهر صفر

وتشتمل على الخطب الآتية:

١- الحمد لله

٢- حمدني عبي

٣- تأملات في سورة ﴿ق﴾

٤- البعث والنشور

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

عباد الله : إن هناك أنواعا من العبادات في غاية السهولة واليسر، والله سبحانه وتعالى يعطي عليها الأجر العظيم؛ لأن من أسمائه سبحانه وتعالى الكريم والمنان، فهو يعطي ولا ينفد ما عنده سبحانه، ونحن بحاجة دائما أن نتذكر من العبادات ما يعيننا على بلوغ الدار الآخرة والوصول إلى رضوانه، ومن أجل هذه العبادات الميسورة والسهلة ذكر الله سبحانه وتعالى، ومن أجل الأذكار ذكره تعالى بحمده والثناء عليه، فالله سبحانه وتعالى هو المحمود على كل حال ، فله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحمد على ما أعطى، وله الحمد على ما منع، وله الحمد على كل حال.

عباد الله: قال أهل العلم معنى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة : ٢] ، أنها وصف المحمود سبحانه وتعالى بالكمال مع المحبة والتعظيم؛ فهو سبحانه كامل في ذاته، وصفاته، وأفعاله؛ وقرنت المحبة بالتعظيم؛ لأن مجرد وصف الحمد

بالكمال بدون محبة، ولا تعظيم، لا يسمى حمدا؛ وإنما يسمى مدحا؛ فإنك إن كنت مادحا شخصا، فليس من الواجب أن تكون محبا له أو معظما، وإنما قد تمدحه لجلب مصلحة، أو لدفع مضرة ، فالله تعالى عندما يقول عن ذاته ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [الفاتحة : ٢] ، فالمعنى: أي سبق الحمد مني لنفسي، وحمدي نفسي لنفسي في الأزل لما علم من كثرة نعمه على عباده وعجزهم على القيام بواجب حمده فحمد نفسه عنهم، لتكون النعمة أهنا لديهم، وقد حمد الله تعالى نفسه في كتابه الكريم في مواطن متعددة، فقد حمد الله نفسه على نعمة الخلق والإيجاد للخلق والوجود، فقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١]. وحمد الله نفسه على إمداده عباده بالنعمة البدنية الحسية التي بها يعيشون، فقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْمَلَكِئَاتِ ﴾ [الفاتحة: ٢]، وحمد نفسه على إمداده عباده بالنعمة المعنوية التي تصلح أرواحهم، وتهديهم إلى الصراط المستقيم بنور الوحي المبين، فقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١] وحمد نفسه على تنزهه عن النقائص فقال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١]. وحمد نفسه على نعمة إيضاحه لعباده الدين الحق إيضاحا بينا فقال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ

ءَايَنَّهُ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ [النمل: ٩٣]،. فرينا تبارك وتعالى هو المحمود على كل ما خلق، وعلى كل ما أمر به ونهى عنه، هو المحمود على خلق الأبرار والفجار، والملائكة والشياطين، وعلى خلق الرسل وأعدائهم، وهو المحمود على عدله في أعدائه، كما هو المحمود على فضله، وإنعامه على أوليائه، فكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحمده، ولهذا سبح بحمده السماوات السبع والأرض ومن فيهن: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

عباد الله: وحمد الله سبحانه وتعالى أفضل الدعاء، فهو متضمن لإثبات جميع أنواع الكمال لله، فيدخل في ذلك لإيمان به وتوحيده، فقد روى ابن ماجة والترمذي بسند صححه الألباني عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أفضل الذكر: لا إله إلا الله" وأفضل الدعاء: "الحمد لله"، فالتمثي على ربه بحمده داعي له باعتبار دعاء المسألة، ودعاء العبادة، فإنه طالب منه طالب له، فهو الداعي حقيقة، قال سبحانه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥]، وروى أبو داود والترمذي والنسائي بسند صحيح، عن فضالة بن عبيد: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلا يدعو في صلاته، لم يحمد الله - تعالى - ولم يصل على النبي . صلى الله عليه وسلم -، فقال صلى الله عليه وسلم: " عجل هذا " ثم دعاه، فقال: "إذا صلى

أحدكم فليبدأ بتحميد ربه - عز وجل - والثناء عليه، ثم يصلي على النبي
- صلى الله عليه وسلم -، ثم يدعو بعد ما يشاء" وسمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجلاً يصلي، فمجد الله، وحمده، وصلى على النبي صلى
الله عليه وسلم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ادع؛ تجب، وسل
؛ تُعط" وفي صحيح أبي داود عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان إذا قال: سمع الله لمن حمده قال: "ربنا ولك الحمد ملء
السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد
أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا
ينفع ذا الجد منك الجد"

أيها المؤمنون: وقد ورد أسم الله تعالى الحميد في القرآن سبع عشر مرة،
منها قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥﴾
[فاطر: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ
حَمِيدٌ ۝١٢﴾ [لقمان: ١٢] قال الإمام ابن جرير الطبري: "الحميد المحمود
عند خلقه بما أولاهم من نعم، وبسط لهم من فضله"، والحميد هو المحمود
الذي استحق الحمد بفعاله، وهو الذي يحمده في السراء والضراء، وفي الشدة
والرخاء؛ لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ، فهو
محمود على كل حال؛ فالله - سبحانه - أخبر أن له الحمد، وأنه حميد مجيد،
وأن له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم، ونحو ذلك من أنواع المحامد.

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

عباد الله: إن حمد الله يعني: الثناء على الله تعالى لصفات كماله، ونعوت جلاله، وآيات جماله، والثناء عليه لإحسانه لعبده، وجميل فعاله به، مع حبه وتعظيمه تبارك وتعالى، فجميع أسمائه - تبارك وتعالى - حمد، وصفاته حمد، وأفعاله حمد، وأحكامه حمد، وعدله من انتقامه من أعدائه حمد، وفضله في إحسانه إلى أوليائه حمد، والخلق والأمر إنما قام بحمده، ووجد بحمده وظهر بحمده، و لغاية من خلقهم هي حمده سبحانه وتعالى، فحمده سبب ذلك وغايته ومظهره وحامله، فحمده سبحانه هو روح كل شيء، وقيام كل شيء بحمده، وسريان حمده في الموجودات، وظهور آثاره فيه أمر مشهود بالأبصار والبصائر.

عباد الله: والحمد نوعان: حمد على إحسانه إلى عباده، وهو من الشكر، وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله، وهذا الحمد لا يكون إلا لمن هو في نفسه مستحق للحمد، وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال جل شأنه، إذا كل ما يحمد به العباد؛ فهو من الملك الوهاب - جل وعز -، فيرجع إليه؛ لأنه سبحانه الوهاب للصفات المحمودة، وحمده سبحانه وتعالى يملأ الميزان، جاء في صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الظهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، ... الحديث"، قال ابن رجب: "فأما الحمد، فاتفقت الأحاديث كلها على أنه يملأ الميزان، وقد قيل: إنه ضرب مثل، وأن

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

المعنى لو كان الحمد جسماً لملأ الميزان، وقيل: بل الله - عز وجل - يمثل أعمال بني آدم وأقوالهم؛ صور ترى يوم القيامة وتوزن؛ ففي صحيح مسلم قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران، تحاجان عن صاحبهما"، وضرب لهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاثة أمثال فقال: " كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق -أي ضياء ونور- أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما"، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".

عباد الله: اعلموا أن حمد الله، والثناء عليه، والإكثار من ذكره، من أجل وأفضل الأعمال التي تقرّبكم من ربك سبحانه وتعالى، فاستكثروا من ذلك، قلت ما سمعتم فاستغروا الله يا فوز المستغفرين

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها المؤمنون: والحمد لله: نطق بها الأنبياء والرسل الكرام عليهم أفضل

الصلاة والسلام: قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ

مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّنا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المؤمنون: ٢٨] ،

وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى

الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٣٩] وقال عن

داود وسليمان عليهما السلام : ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل ١٥] وقالها سبحانه لسيد المرسلين نبينا محمد صلى

الله عليه وسلم : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ

لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الاسراء ١١١].

أيها المؤمنون: وهذه الكلمة لها كثير من الفضائل: فالحمد لله خير الكلام

وأحبه إلى الله: ففي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله قلت يا رسول الله

أخبرني بأحب الكلام إلى الله فقال: " إن أحب الكلام إلى الله سبحانه الله

وبحمده"، وفي صحيح مسلم أيضا. عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت"، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله ويحمده».

والحمد سبب لمغفرة الذنوب: ففي الصحيحين قال صلى الله عليه وسلم: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. فيقول: هل رأوني؟ ... أشهدكم أنني قد غفرت لهم».

والحمد سبب لدخول الجنة: فعند الترمذي بسند حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر». وقيعان: مستوية. ومن غرس له في الجنة غرس لابد أن يبلغه.

ومن فضائلها: أنها أفضل الدعاء: فقد قال نبي الله صلى الله عليه وسلم :
«أفضل الدعاء الحمد لله» رواه ابن ماجه بسند حسن، وإنما كان التحميد
دعاء؛ لأن الإنسان يرجو به ما يرجو بالسؤال من رضاء الله والجنة، يصدق
ذلك قول من قال :

أذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أتى عليك العبد يوما... كفاه من تعرضه الثناء

وبها يقضي الله حوائج العبد بإذن الله تعالى، فقد جاءت امرأة إلى عمر بن
عبد العزيز - رحمه الله- جاءت من مكان بعيد، فقالت: "يا أمير المؤمنين
مات زوجي وترك لي بنات " فبكى عمر، ثم قال: "ما حاجتك يا أمة الله؟"
فقالت: "تفرض لهن في عطاء" فقال: "أما كلهن فلا، ولكن أثبت لك واحدة،
ثم سأله عن اسم الكبرى" قالت: فقلت: فلانة، قال: "قد أثبتتها" فقالت: "الحمد
لله رب العالمين".

فقال: "سم التي تليها" فسمتها فأثبتها، فقالت المرأة: "الحمد لله رب العالمين"
ثم قال: "سم التي تليها" فسمتها، فأثبتها، فقالت: "الحمد لله رب العالمين"
فأثبت لها سبعا، كلما حمدت الله أثبت، حتى قالت: "جزى الله أمير المؤمنين
خيرا" فألقى الكتاب من يده، وقال: "والله لو كن ألفا لأثبتهن ما دامت الحمد
لله".

عباد الله: وكما حمد الله نفسه في عند بداية الخلق فقد حمد نفسه عند انتهاء الخليقة والقضاء بينهم يوم القيامة، فقال تعالى، ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٧٥﴾ [الزمر: ٧٥] " وأهل الجنة يحمدون ربهم عند دخولهم الجنة كما قال تعالى حكاية عنهم أنهم سيقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ٧٤﴾ [الزمر: ٧٤] ويقولون: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣]، وسيقولون ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ٣٤﴾ [فاطر: ٣٤ - ٣٥] ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْمُكَ فِيهَا وَسَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَتُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٠﴾ [يونس: ١٠]، وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون». قالوا فما بال الطعام؟ قال: «جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس». فلهجوا عباد الله بحمد الله على كل حال، وحمدوه سبحانه وتعالى على أي حال وضعكم فيها،

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

واعلموا أن ذلك من أفضل الأعمال التي تقربكم إلى طاعة ربكم وبها تتأهلون
إلى جنته ورضوانه.

الدعاء.....

حمدني عبدي

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

أيها المسلمون: حمد الله تعالى له منزلة عظيمة، ومكانة رفيعة في دين الإسلام؛ لأن جميع أحوال المسلم تحتاج من إلى أن يحمدا الله تعالى، وأن يثني عليه في السراء والضراء، في الصحة والبلاء؛ وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أن من صفات عباده المؤمنين صفة الحمد قال تعالى: ﴿الْمُعِذُونَ الْحَمْدُونَ السَّابِّحُونَ الرَّكَعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]، قال قتادة ﴿الْحَمْدُ يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حَصِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "خَيْرُ عِبَادِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْحَمَادُونَ، هُمُ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللَّهَ عَلَى السَّاءِ وَالضَّرَّاءِ"، وَالْحَمَادُونَ اللَّهُ يَبَاهِي اللَّهُ بِهِمْ مَلَائِكَتَهُ، فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ

ما أجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا قال: الله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا الله ما أجلسنا إلا ذلك قال: أما إنني لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبرائيل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة"، والمؤمن الصادق ينبغي له أن يحمد الله على كل أحواله؛ فإن ذلك خير له، ففي صحيح مسلم عن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء شكر فكان خيرا له، وليس هذا لأحد إلا للمؤمن"، وكان صلى الله عليه وسلم أكثر الخلق حمداً لله تعالى، ففي صحيح أبي داود عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل أو شرب قال: "الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجا"، وكان صلى الله عليه وسلم يبين لأمته أن حمد العبد لربه من أسباب رضا الله عز وجل عن عبده، ففي صحيح مسلم عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليه أو يشرب الشربة فيحمده عليها"، وكان صلى الله عليه وسلم يبين لأمته أن حمد العبد لربه على نعمته أفضل من النعمة ذاتها، فعند ابن ماجه بسند حسن، عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ" قال ابن القيم

رحمه الله: "فإن حمده لولي الحمد نعمة أخرى، هي أفضل وأنفع لهن وأجدى عائدة من النعم العاجلة، فإن أفضل النعم وأجل النعم على الإطلاق نعمة معرفته -تعالى- وحمده وطاعته"، والله عز وجل لا يمكن لأحد من العباد أن يكفيه على إنعامه أبدا، فإن ذلك الشكر من نعمه أيضا.

عباد الله: والحمد لله هي صلاة جميع المخلوقات وبها يرزق الخلق: فعند أحمد في مسند بسند صحيح عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن نبي الله نوحا صلى الله عليه و سلم لما حضرته الوفاة قال لابنه إني قاص عليك الوصية، آمرك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله، وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك، والكبر قال قلت أو قيل: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر؟ قال أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان قال: "لا... قيل يا رسول الله فما الكبر؟ قال: "سفه الحق وغمص الناس".

عباد الله: ولأهمية الحمد وربط بالعبادات العظيمة في الإسلام، فشهد رمضان يختم بالتكبير المشتل على الحمد فيشرع للمسلمين أن يقولوا بعد انتهاء شهر لرمضان وفي العيد " الله أكبر الله أكبر والله الحمد " شكرا لله

على تمام عدة الصيام في شهر رمضان ، والحج والعمرة في تلبيتهما يذك
الحمد فيقول الملبون " إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك " ، تأملوا في
أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي الصلاة، فهي حمد لله منذ البداية،
وحتى الانتهاء منها، فالمصلي إذا كبر يستفتح بحمد الله تعالى فعند أبي
داود بسند صحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذا استفتح الصلاة قال: " سبحانك اللهم! وبحمدك، وتبارك
اسمك، وتعالى جديك، ولا إله غيرك " ، ويجب على المصلي في كل ركعة من
ركعات الصلاة أن يقرأ سورة الفاتحة، ومن أسمائها سورة الحمد، وإن العبد إذا
قرأ بها وحمد ربه في صلاته يقول الله: "حمدني عبدي" فقد ثبت في الحديث
القدسي كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى " قسمت الصلاة بيني
وبين عبدي نصفين ولعبدني ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢] قال الله حمدني عبدي فإذا قال: ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾
قال أننى علي عبدي، فإذا قال: ﴿ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ قال: مجدني عبدي فإذا
قال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدني ما
سأل، فإذا قال: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧ ﴾ قال: هذا لعبدي ولعبدني ما سأل"، ويشرع في الركوع

والسجود التسبيح والتحميد، ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي" وبعد الرفع من الركوع يُشرع للمصلي أن يحمد الله تعالى، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا: اللهم ربنا ولك الحمد؛ فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه" وفي صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع قال: "كنا نصلي يوم خلف النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رفع رأسه من الركعة، قال: "سمع الله لمن حمده" فقال رجل خلفه "ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه" فقال النبي صلى الله عليه وسلم "من المتكلم" قال: أنا، قال: "رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول"، وبعد الانتهاء من الصلاة يشرع حمد الله ثلاثا وثلاثين مرة مع التسبيح والتكبير، فقد جاء في السلسلة الصحيحة قوله صلى الله عليه وسلم: "من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فتلك تسع وتسعون ثم قال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير؛ غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر".

وكان صلى الله عليه وسلم يبين لأصحابه أجر من يبالغ في حمد الله في صلاته ففي صحيح مسلم جاء رجل من الصحابة والنبي صلى الله عليه

وسلم يصلي، فاستفتح بصلاته هذا الصحابي: "الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا" فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم سأل من المتكلم بهذه الكلمات، فقال الرجل: "أنا" فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "عجبت لها فتحت لها أبواب السماء"، وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بهم، فجاء رجل، فدخل في الصلاة، وقد حفزه النفس، فقال: "الله أكبر، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه" فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته، قال: "أيكم المتكلم بالكلمات؟" فأرم القوم -أي سكتوا- فقال: "أيكم المتكلم بالكلمات؟ فإنه لم يقل بأسا" فقال رجل: أنا يا رسول الله، جئت وقد حفزني النفس، فقلت، فقال صلى الله عليه وسلم: "لقد رأيت اثني عشر ملكا يبتدرونها أيهم يرفعها أولا". وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من حمد ربه إذا قام للصلاة في الليل، ففي الصحيحين عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهدج قال: "اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما

قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت ولا إله غيرك"

أيها المؤمنون: والحمد لله تعالى عبادة ترفعها الملائكة حتى تصل إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى: روى ابن ماجه يسند فيه ضعف عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه. فلما صلى النبي -صلى الله عليه وسلم- قال « من ذا الذي قال هذا ». قال الرجل أنا وما أردت إلا الخير. فقال « لقد فتحت لها أبواب السماء فما نهنها شيء دون العرش ».

والحمد لله: لها دوي حول العرش يذكر به العبد عند ربه، فعند أحمد في مسنده بسند رجاله ثقات عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الذين يذكرون من جلال الله من تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله، يتعاطفن حول العرش، لهن دوى كدوي النحل، يذكرون بصاحبهن، ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يذكر به"

عباد الله: ويتأكد التحميد في مواطن منها: بعد الأكل والشرب: فعند ابن ماجه بسند حسن عن أنس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أكل طعاما فقال الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه" وعن أنس بن مالك قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها

ويشرع حمد الله تعالى عند النوم: فعند أبي داود بسند صحيح شكت فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى في يدها من الرحي، فأتي بسبي فأنته تسأله فلم تره، فأخبرت بذلك عائشة فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته، فأتانا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا لنقوم فقال: على مكانكما فجاء فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري فقال: ألا أدلكما على خير مما سألتما إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين فهو خير لكما من خادم". ويشرع حمد الله تعالى عند الانتباه من النوم ليلا، ففي صحيح البخاري عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته».

ويشرع حمد الله تعالى إذا رأى في منامه خيرا: ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا رأى أحدكم

رؤيا يحبها فإنما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره"

ويشرح حمد الله تعالى في الصباح والمساء: فند أبي داود بإسناد فيه ضعف عن عبد الله بن غنام البياضي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته"

فاستكثروا من ذكر ربكم في سائر أقاتكم، قلت ما سمعتم فا ستغفروا لله يافوز المستغفرين.

الخطبة: الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

عباد الله: ومن المواطن التي يتأكد فيها الحمد كذلك عند العطاس: ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله، فإذا قال له يرحمك الله فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم"

عباد الله: ويشترع حمد الله تعالى عند ركوب الدابة: لحديث أبي داود بسند عن علي بن ربيعة قال شهدت علياً أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على ظهرها قال الحمد لله ثم قال ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [١٣] وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ [الزخرف: ١٣ - ١٤]، ثم قال الحمد لله ثلاثاً والله أكبر ثلاثاً سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك قلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع كما صنعت، ثم ضحك فقلت: من أي شيء ضحكت يا رسول الله قال: إن ربك ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب غيرك" ويشترع حمد الله عند رؤية المبتلى: فقد صحيح الترمذي

عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: " من رأى صاحب بلاء فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً إلا عوفي من ذلك البلاء كائناً ما كان ما عاش"، وينبغي أن لا يسمع صاحب البلاء ذلك؛ مراعاة لنفسيته.

عباد الله : ويشعر حمد الله تعالى في ختام المجلس: ففي صحيح الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: " من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك".

ويشعر حمد الله تعالى لمن لبس ثوباً جديداً، أو نحو ذلك؛ جاء عند ابن حبان بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا استجد ثوباً؛ سماه باسمه، فقال: " اللهم أنت كسوتني هذا ، فلك الحمد؛ أسألك من خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له".

ويشعر حمد الله تعالى لمن أراد أن يقول شيئاً ذا بال: ففي صحيح مسلم عن ابن عباس أن ضماداً قدم مكة وكان من أزد شنوءة وكان يرقى من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون إن محمداً مجنون فقال لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي قال فلقية فقال يا محمد إني أرقى من هذه

الريح وإن الله يشفي على يدي من شاء فهل لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد قال فقال أعد علي كلماتك هؤلاء فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغن ناعوس البحر قال فقال هات يدك أبايعك على الإسلام قال فبايعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى قومك قال وعلى قومي قال فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فمروا بقومه فقال صاحب السرية للجيش هل أصبتم من هؤلاء شيئا فقال رجل من القوم أصبت منهم مطهرة فقال ردوها فإن هؤلاء قوم ضماد"

ويشرح حمد الله دبر الصلاة: فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحمد الله ويسبحه ويكبره ثلاثا وثلاثين بعد كل صلاة مكتوبة.

ويشرح حمد الله تعالى قبل الدعاء: فعند الترمذي بسند صحيح عن فضالة بن عبيد قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد إذ دخل رجل فصلى فقال: اللهم اغفر لي وارحمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عجلت أيها المصلي إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو أهله وصل علي ثم ادعه " . قال: ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أيها المصلي ادع
تجب " هذه بعض الموضع التي يشرع للمسلم فيها حمد الله تعالى، فاتقوا الله
- يا عباد الله- وأكثروا من حمد ربكم، في كل أحوالكم أوقاتكم ؛ لتنالوا
رحمة ربك ورضوانه.

الدعاء

تأملات في سورة ﴿ق﴾

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

أيها المؤمنون: لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظ الناس بهذا القرآن الذي جعله الله تعالى نورا وهداية، فلا شيء أشفى لمرض القلوب من القرآن، ولا شيء أقوم للأحوال من القرآن ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، و ربما كان يخطب في الجمعة بسورة من سور القرآن، ومن هذه السور التي خطب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ﴿ق﴾، روى الإمام مسلم في صحيحه عن أم هشام رضي الله عنها؛ قالت: « ما أخذت ﴿قَ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدَ﴾ [ق: ١] إلا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس»، قد يقول قائل لماذا خص رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ﴿ق﴾ دون غيرها من سور

القرآن؟ يجيب الإمام النووي عن هذا التساؤل: "قال العلماء: سبب اختيار ق أنها مشتملة على البعث والموت، والمواعظ الشديدة، والزواجر الأكيدة"، أ.هـ. فلما في هذه السورة من الأمور العظيمة، والمعاني المهمة؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر بها أصحابه في يوم الجمعة، ففي هذه السورة المباركة حديث عن الإنسان من يوم أن خلق إلى أن يموت إلى أن يبعثه الله، ويحاسبه في عرصات القيامة، وبعد ذلك إما يدخله الجنة أو النار، بحسب أعماله التي عملها في الدنيا.

أيها المؤمنون: ويبقى تساؤل وهو هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ كل سورة ق في كل جمعة؟ أم يقرأ بعضها؟ "قال الإمام الطيبي: أن المراد أول السورة لا جميعها؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يقرأ جميعها في الخطب، ولم يحفظ أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ أولها في كل جمعة، وإلا لكانت قراءتها واجبة أو سنة مؤكدة، و الظاهر أنه كان يقرأ في كل جمعة بعضها، فحفظت الكل في الكل إذ الحمل على كل السورة في كل خطبة مستبعد جدا ، والله أعلم، وقال ابن حجر بل كان يقرأها كلها، وحملها على أول السورة صرف للنص عن ظاهره. أ.هـ،"، ولم يكن حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هذه السورة يتمثل بقراءتها في الجمعة فقط، بل كان يقرأها في بعض المساجد الكبيرة التي يجتمع فيها المسلمون مثل اجتماعهم يوم العيد، فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: "سألني عمر

بن الخطاب رضي الله عنه عما قرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم العيد؟ فقلت: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [١] [القمر: ١] و﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [ق: ١]، رواه مسلم، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة ﴿قَ﴾ في المجمع الكبيرة كالعيد، والجمع؛ وذلك لما اشتملت عليه من حديث عن الإنسان من ابتداء خلقه وموته وبعثته ونشوره، وحسابه وعقابه ودخوله الجنة أو النار بحسب عمله الذي عمله في الدنيا.

أيها المؤمنون: ابتداء الله تعالى هذه السورة بالإنكار على المكذبين بنبوة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، والمكذبين بالبعث بعد الموت فقال تعالى: ﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [١] بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ [٢] أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ [٣] قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ [٤] بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ [٥] [ق: ١ - ٥]، في هذه الآيات يقسم الله تعالى بالقرآن؛ رفيع القدر والشرف والبركة، الذي احتوى من العلوم أعظمها؛ ومن الفصاحة أكملها. وجواب القسم ومضمون الكلام بعد القسم من إثبات النبوة والبعث بعد الموت للحساب والجزاء، ولكن أكثر الناس لا يقدون نعم الله قدرها، فالكفار المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ من جنسهم؛ يمكنهم التلقي عنه؛ ومعرفة أحواله وصدقه، ينذرهم عقاب الله وما يضرهم؛ ويأمرهم بما ينفعهم، فتعجبوا

من أمر لا ينبغي لهم التعجب منه. ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ فهم يتعجبون من بعثته صلى الله صلى الله عليه وسلم، وكونه بشراً منهم، وجاء ينذرهم من البعث بعد الموت وبعد ذلك والجزاء والحساب في الآخرة فقالوا: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ فاستبعدوا البعث بعد الموت وأنكروا الحساب والجزاء؛ ويرون أنه غير ممكن؛ لأنهم قاسوا قدرة الله تعالى الذي هو على كل شيء قدير بقدرة الإنسان العاجز الكليل، فرد الله تعالى عليهم قائلاً: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْزٌ حَفِیْظٌ﴾، قال الإمام الطبري في تفسيره: "أي قد علمنا ما تأكل الأرض من أجسامهم بعد مماتهم، وعندنا كتاب بما تأكل الأرض، وتفني من أجسامهم، ولهم كتاب مكتوب -مع علمنا بذلك- حافظ لذلك كله، وسماء الله تعالى حفيظاً؛ لأنه لا يدرس ما كتب فيه ولا يتغير ولا يتبدل" أ.هـ. ثم بين عز وجل أن كلامهم وتعجبهم إنما هو عناد وتكذيب للحق والصدق والقرآن والنبوة؛ فقال عنهم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِیْجٍ﴾ فكذبوا القرآن بمجرد تبليغهم به، ﴿فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِیْجٍ﴾ مختلط مشتبه ملتبس؛ لا يعرفون الحق من الباطل، فلا يثبتون على شيء في وصفهم لحال محمد صلى الله عليه وسلم؛ فتارة يقولون عنه صلى الله عليه وسلم: إنه ساحر؛ وأخرى يقولون: إنه مجنون؛ وتارة يقولون: إنه شاعر؛ وأخرى يقولون: كاهن، وكذلك قولهم في القرآن فتارة فقالوا عنه: إنه عنه

أساطير الأولين، وتارة أخرى قالوا عنه: وسحر مبین؛ وكل واحد قال في القرآن ما اقتضاه رأيه الفاسد وعقله الكليل، وهكذا كل من كذب بالحق فإنه في أمر مختلط؛ ليس له وجهة ولا قرار، أما من اتبع الحق وصدق به فإنه يثبت أمره ويستقيم حاله.

أيها المؤمنون: ثم ذكر سبحانه وتعالى قدرته على البعث بعد الموت، فقد ذكر سبحانه وتعالى في سورة ﴿ق﴾، دليلين من أدلة البعث، الدليل الأول خلقه للسموات والأرض وخلقهما أكبر من خلق الناس وبعثهم بعد موتهم قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۖ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۖ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۚ﴾ [ق: ٦ - ٨]، ففي مد الأرض، وأحيائها بالنبات البهيج، في وبناء السماء، وتزيين السماء بالنجوم النيرة، في ذلك كله تبصرة وذكرى للعاقل يتبصر بعقله، يتذكر بفكره؛ فمن خلق السموات والأرض قادر على بعث الناس بعد موتهم، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ۝٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس: ٨١ - ٨٣] ، وكقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَىٰ

الظالمون إلا كفورًا ﴿٩٩﴾ [الإسراء: ٩٩]، وكقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣٣]، ثم ذكر سبحانه وتعالى الدليل الثاني من أدلة البعث، وهذا الدليل يتمثل في إحياء الأرض بعد موتها، فمن أحيا الأرض الميتة بإخراج النبات الحي منها، قادر على إحياء الموتى من قبورهم، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا﴾ أي: نزلنا من السحاب ماء كثير البركة؛ لانتفاع الناس به في غالب أمورهم، ثم خص سبحانه بالذكر بعض تلك المنافع فقال: ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ يعني: حدائق من بساتين؛ بها أشجار كثيرة المنافع؛ مشتملة على صنوف الفواكه والثمار، ثم قال: ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ وهي الحبوب التي تحصد من الزرع وتدخر وتكون قوتا للناس، ثم قال: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ أي: طويلة الارتفاع، ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ أي أن طلعا حبه متراكب بعضه فوق بعض، ويخرج الله الثمر بشتى أنواعه وأشكاله. كل ذلك ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ فما يخرج الله بالمطر؛ وما هو من آثاره؛ مما هو على وجه الأرض أو تحتها؛ مما يؤكل أو يشرب أو يدخر؛ هو رزق للناس يقتاتون منه حسب حاجاتهم. وإن ما في ذلك من إحياء الأرض المجدبة بعد موتها دليل على قدرة الله على إحيائه الموتى؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ يعني: أحيينا بالمطر الأرض

الميتة فخرج منها الزروع والثمار الحية، وكذلك سيكون خروج الناس من قبورهم عند البعث للحساب والعقاب، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وكقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٥ - ٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ ۚ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، إن فيما ذكره الله تعالى من عجائب قدرته في هذه المخلوقات دليل على عظيم قدرة الله؛ وأنه قادرٌ على إحياء الموتى من قبورهم، وأن أمر العباد بيد الله سبحانه وتعالى؛ وأن مردهم إليه جميعا.

أيها المؤمنون: ثم ذكر الله تعالى بعد ذلك نماذج من الأمم المكذبة بوعد الله ووعيده، ولقائه وما فيه من الحساب والعقاب فقال سبحانه تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۚ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۚ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ۚ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٢ - ١٥]، أخبر الله في هذه الآيات بأنه كذبت قبل هؤلاء

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

المشركين من قوم النبي صلى الله عليه وسلم أمم سابقة؛ كذبوا رسلهم الكرام، فنوح عليه السلام كذبه قومه، وأصحاب الرس أي: البئر؛ كذبوا نبيهم وقتلوه في البئر، وثمود كذبوا صالحا عليه السلام، وعاد كذبوا هودا عليه السلام، وفرعون وملؤه كذبوا موسى عليه السلام، وإخوان لوط القوم الذين بعث فيهم كذبوا لوطا عليه السلام، وأصحاب الأيكة الشجر الملتف؛ كذبوا شعيبا عليه السلام، وقوم تبع الحميري باليمن أحد ملوك اليمن وقد أسلم ولكن قومه كذبوا رسولهم الذي أرسله الله إليهم؛ ومكثوا على عبادة أوثانهم، كل هذه الأمم كذبت رسلها فحق عليها وعيد الله وعقابه ومن كذب برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ليس ببعيد عن هذا المصير.

أيها المؤمنون: ثم ذكر سبحانه وتعالى دليلاً ثالثاً من أدلة وذلك بقدرته على لخلق الأول، فكما أنه الذي أوجدهم من العدم؛ كذلك هو قادر على أن يعيدهم بعد موتهم فقال: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ قال الإمام البيضاوي رحمه الله: "أي أفعجزنا عن الإبداء حتى نعجز عن الإعادة، من عيي بالأمر إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للإنكا، ثم قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الأول، بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة، وتتكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه، والإشعار بأنه على وجه غير متعارف ولا معتاد. وليس هؤلاء المكذبون بالبعث في شك من ذلك؛ وإنما هم في لبس وشك وحيرة من خلق جديد وهو

بعث الأموات؛ مع أنه لا محل للشك فيه؛ لأن الإعادة أهون من الابتداء،
ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ
عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الرّوم: ٢٧]
[، وقد قال الله في موضع آخر: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ
خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨)
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)﴾ [يس: ٧٧ - ٧٩]،
قلت ما سمعتم فا ستغفروا لله يا فوز المستغفرين.....

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع إخوانه أما بعد:

أيها المؤمنون: ثم بين الله تعالى حال الإنسان وأن الله عز وجل يعلم ما توسوس به نفس الإنسان، فضلا عما يعمل به ويظهره، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْهُ مَا تُسَوِّسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]

[، قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ قال: يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه، وهذا كقوله عند المحتضر: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصْرُونَ﴾ (٨٥)]

﴿[الواقعة: ٨٥] يعني ملائكته، فالملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه بإقدار الله تعالى لهم على ذلك، فكل ما يدور في خاطر ابن آدم فإن الله يعلمه، بل هو أقرب إلى الإنسان من حبل وريد الدم الذي يجري في جسده، وكل حركاته وسكناته، وكل ألفاظه مقيدة عليه؛ لا يفوت الله تعالى منها شيء، وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه المطلع على ضميره

وباطنه، القريب منه في جميع أحواله، فيستحي منه أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره،

ثم ذكر سبحانه وتعالى، أنه جعل ملائكة يحصون على الناس أعمالهم، فقال تعالى ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ

﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧ - ١٨]، أي: رقيب حاضر يكتب كل ما يلفظ به وكل ما

يفعله، وتأمل وصفه بقوله ﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾؛ فإن معنى ﴿رَقِيبٌ أ﴾ ي: يراقب

ما يتكلم به الإنسان وما يفعله و﴿عَتِيدٌ﴾ أي معد لذلك فهما ملكان موكلان

بكل إنسان متفرغان ومعدان لمراقبة ما يتلفظ به الإنسان وما يفعله الإنسان

فيكتبانه، ثم بين الله عز وجل بعد ذلك نهاية هذا الإنسان في هذه الحياة

الدنيا ولقاء الله عز وجل بالنقلة من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، قال تعالى:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: ١٩]، إنها سكرة

الموت سكرة فراق الأهل، سكرة فراق المال، سكرة فراق الدار التي ألفها منذ

خروجه من بطن أمه، إنها سكرة الموت بالحق لا سكرة الهوى ولا سكرة

الخمر واللذة ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾، وتهرب، ولكن لا مفر من الموت ولا

مهرب. ثم بين الله سبحانه وتعالى حال الإنسان بعد ذلك في يوم القيامة ﴿

وُتْفَخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: ٢٠ -

٢١]، نفخ في الصور فقام هذا الإنسان، قام من قبره حافيا عاريا ومعه سائق

وشهيد أي: ملك يسوقه إلى المحشر، وشهيد أي ملك يشهد عليه بأعماله، وتخيل هذا المشهد العظيم يقوم الإنسان من قبره، ويرى أرضاً تموج بأعداد عظيمة وهائلة من البشر ومن الخلائق، ثم يأتي إليه ملك يسوقه إلى المحشر وملك معه آخر يشهد عليه بما عم، لقد غفل الكثير من الناس عن هذا المصير الذي توعدهم الله به، وفي يوم القيامة سوف نشاهده عياناً بأبصارنا رأي العين ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٢٢)

[ق: ٢٢]

أيها المؤمنون: ثم تتحدث السورة بعد ذلك مجادلة الإنسان لقرينه من الشياطين، وتبرأ كل من الآخر كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾ (٢٣) أَلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ [ق: ٢٣ - ٢٦]، ثم أكدت هذا الحوار في قوله تعالى عنه: ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ قال ابن عباس: "هو الشيطان فيتبرأ الشيطان الإنسان منه يوم القيامة، ويقول ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أي: ما أضللتته ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عند ذلك يختصم الإنسان مع هذا الشيطان فيقول الله -تعالى-: ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ (٢٨) مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ثم يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ وذلك أن الله تعالى قد وعد بملء جهنم من الجن والإنس قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ

نَفْسٍ هُدْنَهَا وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾

﴿[السجدة: ١٣] ، وفي الحديث المتفق على صحته عن أنس رضي الله

عنهما قال صلى الله عليه وسلم: « يلقى في النار أهلها وتقول هل من

مزيد، قال: ويلقى فيها تقول هل من مزيد حتى يضع رجله أو قدمه فتقول

قط قط "أي: حسي حسي" وهنا يذكر الله تعالى حال من أسرف على نفسه

في المعاصي والذنوب، وما آل إليه من مصير مزعج، ومكان مخيف، ونهاية

مؤلمة، ويقارن ذلك بما صار إليه أهل الإيمان والطاعات والقربات، أهل

الخوف من الله؛ ممن علموا أن الله أقرب إليهم من حبل الوريد، وأنهم ما

يتلفظون بحرف، ولا يهتمون بأمر؛ إلا والله يعلمه. وبعد ذلك تتحدث السورة

عن مصير المؤمنين الأتقياء الذي عبدوا الله تعالى، وقد أخبر الله تعالى أن

جزاءهم الجنة؛ بسبب خشيتهم لله تعالى بالغيب؛ ولأنهم أتوا الله تعالى بقلوب

منية خاشعة قال تعالى: ﴿ وَأَزَلَّكَ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ

أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ

الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق: ٣١ - ٣٥]، وفي صحيح

مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل أهل الجنة

الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض

وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا

شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»

أيها المؤمنون: ويأتي المقطع الأخير من هذه السورة الكريمة فيذكر الله تعالى فيه بحال من هلك ممن أعرض عن دعوة الرسل، وأن في هلاكهم عبرة للمعتبرين، ولنستمع لسيد قطب رحمة الله عليه وهو يتحدث عن محتوى المقطع الأخير من سورة ﴿ق﴾ حيث قال تعالى: محتوى هذه الآيات قد سبق الإشارة إليها في بداية السورة ، إلا أنها حين تعرض في الختام تعرض جديدة الإيقاع جديدة الوقع . بهذا التركيز وبهذه السرعة . ويكون لها في الحس مذاق آخر غير مذاقها وهي مبسطة مفصلة من قبل في السورة . وهذه هي خصيصة القرآن العجيبة! قال من قبل : ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْآيَةِ وَقَوْمُ بُعِثَ كُلُّ كَذِبِ الرُّسُلِ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [ق: ١٢ - ١٤]. وقال هنا : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ ؟ الحقيقة التي يشير إليها هي هي . ولكنها في صورتها الجديدة غيرها في صورتها الأولى. ثم يضيف إليها حركة القرون وهي تتقلب في البلاد، وتتقرب عن أسباب الحياة، وهي مأخوذة في القبضة التي لا يفلت منها أحد، ولا مفر منها ولا فكاك : ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ ؟ . وعقب عليها بما يزيدها جدة وحيوية : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ . وفي مصارع الغابرين ذكرى . ذكرى لمن كان له قلب . فمن لا تذكره هذه اللمسة فهو الذي مات قلبه أو لم

يرزق قلباً على الإطلاق! لا بل إنه ليكفي للذكرى والاعتبار أن يكون هناك سمع يلقى إلى القصة بإنصات ووعي ، فتفعل القصة فعلها في النفوس . وإنه للحق . فالنفس البشرية شديدة الحساسية بمصارع الغابرين، وأقل يقظة فيها وأقل تفتح كافيان لاستجاشة الذكريات والتصورات الموحية في مثل هذه المواقف المؤثرة المثيرة . وعرض من قبل صفحات من كتاب الكون : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۖ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۖ ﴿٧﴾ ﴾ [ق: ٦ - ٧] . وقال هنا: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۖ ﴾ . فأضاف هذه الحقيقة الجديدة إلى جانب اللمة الأولى . حقيقة : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۖ ﴾ . وهي توحى ببسر الخلق والإنشاء في هذا الخلق الهائل . فكيف بإحياء الموتى وهو بالقياس إلى السماوات والأرض أمر هين صغير؟ وعقب عليها كذلك بإحياء جديد وظل جديد : ﴿ فَأَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۖ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ۖ ﴿٤٠﴾ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۖ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ۖ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ۖ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ۖ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۚ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ۖ ﴿٤٥﴾ ﴾ . كلها ظواهر مرتبطة بالسماوات

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

والأرض. وهو يربط إليها التسبيح والحمد والسجود ويتحدث في ظلالها عن الصبر على ما يقولون من إنكار للبعث وجحود بقدرة الله على الإحياء والإعادة . فاحرصوا عباد الله على تدبر هذه السورة وقفوا عند أسرارها ومعانيها؛ فإن ذلك مما يعين العبد في رحلته إلى الله تعالى. الدعاء.....

البعث والنشور

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

أيها المؤمنون: الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، ومنكره كافر بالله تعالى؛ لأنه أنكر ركنا من أركان الإيمان معلوم من الدين بالضرورة قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]، وفي صحيح البخاري قال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»، وما من شيء في دعوة رسل الله استبعده الكفار، وأنكرته الملاحدة واستهزأت به الزنادقة أشد من إنكارهم لليوم الآخر، فتراهم أجيالا من بعد أجيال من أمم الكفر والإلحاد ينكرون ويستهزئون ويستبعدون، ولقد سجل القرآن الكريم افتراءهم العظيم، وإفكهم المبين: قال تعالى حكاية عنهم ﴿وَقَالُوا إِنَّا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩] وقال تعالى مخبرا عنهم: ﴿

وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَلَمْ يَلْفَىٰ خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ [الرعد: ٥] بل إنهم أقسموا بالإيمان المغلظة على ذلك! كقال تعالى حكاية
عنهم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [النحل: ٣٨ - ٣٩]، فالبعث وعد الله
الحق، وهو لا يخلف الميعاد جل وعلا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ
السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ
﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وأمام وإنكار الكفار للبعث والنشور أمر الله تعالى
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يقسم على وقوعه قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَن لَّنْ يَبْعَثُ قُلَّ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧]، وجاء عند النسائي بسند حسن صحيح عن أبي هريرة قال عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: «كذبني ابن آدم ولم يكن
ينبغي له أن يكذبني وشتمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له أن يشتمني أما
تكذبيه إياي فقلوله إني لا أعيده كما بداؤه وليس آخر الخلق بأعز علي من
أوله وأما شتمه إياي فقلوله اتخذ الله ولدا وأنا الله الأحد الصمد لم ألد ولم
أولد ولم يكن لي كفوا أحد»، وفي صحيح السيرة النبوية أن أبي بن خلف

أتى بعظم بال قد أرم فقال: يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم؟
ثم فته بيده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعد ما
تكونان هكذا ثم يدخلك النار» وأنزل الله تعالى قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَنُ
أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ
يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ [يس: ٧٧ - ٧٩]

أيها المؤمنون: الإيمان وباليوم الآخر والبعث والنشور أوجبته القرآن الكريم
والسنة النبوية الشريفة، ودلا عليه دلالة قاطعة، والقرآن كله من فاتحته إلى
خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر، وكما ذكر القرآن الأدلة على وجود
ذلك اليوم، رد على منكريه، وبين كذبهم واقتراءهم. وسنذكر في هذه الخطبة
بعض الأدلة المثبتة للبعث والنشور التي استخلصناها من الكتاب الكريم.

الدليل الأول: من أدلة البعث بعد الموت: إخبار العليم الخبير بوجود اليوم
الآخر: فأعظم الأدلة الدالة على وقوع المعاد إخبار الحق تبارك وتعالى
بذلك، فمن آمن بالله، وصدق برسوله الذي أرسل، وكتابه الذي أنزل فلا
مناص له من الإيمان بما أخبرنا به من البعث والنشور، والجزاء والحساب،
والجنة والنار، وقد نوع الحق تبارك وتعالى أساليب الإخبار ليكون أوقع في
النفوس وأكد في القلوب فقد سبحانه وتعالى أن البعث الذي يعجز العباد

ويذهلهم يسير عليه قال وتعالى: ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٨] ، وقال تعالى: ﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ ۚ ﴾ [بلقادرين على أن تُسَوَّى بَنَانُهُ، ٤] [القيامة: ٣-٤]. وأحيانا يخبر أنه وعد صادق، وخبر لازم، وأجل لا شك فيه قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود: ١٠٣] . وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سبأ: ٢٩ - ٣٠] . وفي مواضع أخرى يقسم الله تعالى على وقوعه ومجيئه كقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَعْثَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٨٧] . ويقسم على تحقق ذلك بما شاء من مخلوقاته كقوله: ﴿ وَالذَّارِيَتِ ذَرَوَا ۝١ فَالْحَمِلَتِ وَقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا نُوْعِدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوْفٌ ۝٦ ﴾ [الذاريات: ١-٦] .

أيها المؤمنون: أما الدليل الثاني من أدلة البعث بعد الموت: فهو إحياء الله تعالى لبعض الأموات في الحياة الدنيا: فقد شاهد بعض البشر في فترات مختلفة من التاريخ، عودة الحياة إلى الجثث الهامدة، والعظام البالية، بل شاهدوا الحياة تدب في بعض الجماد، وقد حدثنا الله تبارك وتعالى عن شيء من هذه المعجزات الباهرة، ومن ذلك أن بني إسرائيل قتيلا فاختلفوا في تحديد

القاتل، فأمرهم نبيهم أن يذبحوا بقرة، فذبحوها ، ثم أمرهم نبيهم بعد ذبحها أن يضربوا القتل بجزء منها، فأحياء الله وهم ينظرون، فأخبر عن قتله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَئِهَا فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْنُحُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٢ - ٧٣]. ومن ذلك أن بعضا من قوم موسى أماتهم الله ثم أحياهم حينما اشترطوا لإيمانهم رؤية الله تعالى، قال الله عنهم: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ٥٥ - ٥٦] ومن ذلك أن الله تعالى أخبرنا عن الذين فروا من ديارهم وهم ألوف خشيّة الموت، فأماتهم الله ثم أحياهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣] . وإبراهيم عليه السلام دعا ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، فكان هذا المشهد الذي حدثنا الحق تبارك وتعالى عنه في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَال بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وعيسى عليه السلام كان يصنع من الطين

كهية الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله، وكان يحيي الموتى بإذن الله، فقد قال لقومه: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] وحدثنا الله تعالى في كتابه الكريم عن الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، فتعجب من إحياء الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه، قال تعالى: ﴿أَوَكَلِّذَىٰ مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة: ٢٥٩]. وأصحاب الكهف ضرب الله على آذانهم في الكهف ثلاث مائة وتسع سنين ثم قاموا من رقدتهم بعد تلك الأزمان المتطاولة قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِم لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾ [الكهف: ٢١].

أيها المؤمنون: الدليل الثالث ضرب الله المثل بإحياء الأرض بالنبات: فقد ضرب الله المثل لإعادة الحياة إلى الجثث الهامدة والعظام البالية بإحيائه الأرض بعد موتها بالنبات، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩] وقال تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾
وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رَرَقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ
﴿١١﴾ [ق: ٩ - ١١].

أيها المؤمنون: أما الدليل لرابع من أدلة البعث بعد الموت: أن القادر على خلق الأعظم قادر على خلق ما دونه: فقيح في نظر البشر أن يرمى بالعجز عن حمل الشيء الحقيق من يستطيع حمل العظيم، ومثله إذا غلب إنسان رجلاً شديد البأس قويا لا يقال له: إنك لا تستطيع أن تصرع هذا الهزيل الضعيف. والله المثل الأعلى، فإن من جملة خلقه ما هو أعظم من خلق الناس ومنها خلق السموات والأرض قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر: ٥٧]، فكيف يقال للذي خلق السموات والأرض أنت لا تقدر إعادة خلق الناس بعد مماتهم قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣٣] .
الدليل لخامس من أدلة البعث بعد الموت: الاستدلال على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى: فقد استدل القرآن الكريم على وجود الخلق الثاني بالخلق الأول، فنحن نشاهد في كل يوم حياة جديدة تخلق: أطفال يولدون، وطيور تخرج من بيضها، وحيوانات تلدها أمهاتها، فالذي خلقهم ابتداء ، قادر على

إعادة خلقهم مرة أخرى، وقد أكثر القرآن من الاستدلال على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى، وتذكير العباد المستبدين لذلك بهذه الحقيقة قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ أَءِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۖ﴾ (٦٦) ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ۖ﴾ (٦٧) ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۖ﴾ (٦٨) [مريم: ٦٦ - ٦٨]، ويذكرنا القرآن الكريم بخلقنا نحن؛ فإنه خلقنا من سلالة من ماء مهين، تحول هذا الماء فأصبح نطفة، ثم صارت النطفة علقة، ثم تحولت إلى مضغة.. إلى أن نفخ فيها الروح، وجعلها إنسانا سويا. فالفادر على هذا الخلق المشاهد المعلوم، قادر على إعادة الخلق، وإحياء الموتى، قا تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۚ﴾ (٥) ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ﴾ (٦) ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ ۖ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ۖ﴾ [الحج: ٥ - ٧].

أيها المؤمنون: أما الدليل السادس من أدلة البعث بعد الموت فقدرته تبارك وتعالى على تحويل الخلق من حال إلى حال: فقد بين الحق تبارك وتعالى

في كتابه الكريم في أكثر من موضع أن من تمام ألوهيته وربوبيته قدرته على تحويل الخلق من حال إلى حال، ولذا فإنه يحيي ويميت، ويخرج الحي من الميت، والميت من الحي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥]. فيخرج الله تعالى من الحبة الجامدة الصماء نبتة غضة خضراء تزهر وتثمر، ثم تعطي هذه النبتة الحية حبوبا جامدة ميتة، إن تقلب العباد موت فحياة، ثم حياة فموت، دليل عظم على قدرة الله تجعل النفوس تخضع لعظمته وسلطانه قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] [الدليل السابع: من أدلة البعث بعد الموت: أن حكمة الله وعدله تقتضي بعث العباد للجزاء والحساب: فالله خلق الخلق لعبادته فمن العباد من استقام على طاعة الله، وبذل نفسه وماله في سبيل ذلك. ومنهم من رفض الاستقامة على طاعة الله، وطغى وبغى، فليس من العدل أن يموت الصالح والطالح ولا يجزي الله المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [٣٥] مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [٣٦] [القلم: ٣٥ - ٣٦]. وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [٢٨] [ص: ٢٨]، فالعدل الإلهي يقتضي أن يبعث الله الناس بعد موتهم ليحاسب المحسن

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

على إحسانه والمسيء على إساءته. وإلا. لكان المسيء أوفر حظا من المحسن؛ لأنه تمتع بالحرام ولم يحاسب عليه، والمؤمن ضيق على نفسه، قلت ما سمعتم فا ستغفروا الله يافوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

أيها المؤمنون: والبعث في لغة العرب: إثارة الشيء المستكن. ومعناه في اصطلاح: إحياء الله الناس مرة ثانية بعد موتهم، ليجزيهم في هذه الحياة الثانية على ما قدموه في حياتهم الأولى من خير وشر، ويعبر عنه بالقيامة، والحياة الآخرة، وغير ذلك.

أما كيف سنبعث بعد الموت؟ فقد جاء بيان ذلك في السنة النبوية ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق، وفيه يركب ». وعجب الذنب هو الجزء الصغير أو العظيم اللطيف في أسفل العمود الفقري، وهو رأس العصعص، قال الإمام النووي: "وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه". وقد أثبت العلم الحديث هذه الحقيقة في مراحل تكوين الجنين، فحتى اليوم الخامس عشر من عمر الجنين يكون الجنين عبارة عن قرص مكون من طبقتين لا يعرف يمينه

من شماله ولا مقدمته من مؤخرته، لكن؛ في اليوم الخامس عشر يظهر في أحد حواف هذا القرص الجنيني وفي طبقته الظهرية أخدود طولي، هذا الأخدود يسمى الخيط الأولي، ونهايته المدببة تسمى العقدة الأولية، ويصبح القرص المتكون فيه الخيط الأولي جنينا واحدا في الطبقة الظهرية من هذا الخيط، وعقدته الأولية تكون جميع أعضاء الجنين، وبعد ذلك يضمحل هذا الخيط وعقدته ويصغر حجمه، ويتحرك راجعا إلى مؤخرة الجنين ليستقر هناك. هذا الخيط الأولي وعقدته الأولية هما «عجب الذنب»، وعجب الذنب هذا من عجائب ما أودعه الله في جسم الإنسان، وجعله عاصيا لا يبلى، قام العلماء باختبار هذا الجزء من الإنسان وتعرضه لأقوى العوامل من إشعاعات وسحق وضغط وحرارة وغير ذلك؛ فتبين ثباته ومقاومته وحفاظه على تركيبه مهما كانت الظروف. وهو بيان لعظمة البيان النبوي عن الحقيقة العلمية الثابتة، إذ يقول صلى الله عليه وسلم: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب». وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: أربعون يوما؟ قال "أبيت"، أي: أبيت أن أجزم، قالوا: أربعون شهرا؟ قال: "أبيت"، قالوا: أربعون سنة؟ قال: "أبيت". قال صلى الله عليه وسلم: "ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل (يعني في قبورهم)، ليس من الإنسان إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب

الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة». فالنفخة الأولى هي نفخة الصعق للأحياء كي يموتوا، فبسماع هذه النفخة يموت كل من في السماوات والأرض إلا من شاء الله أن يبقيه. وجاء عند أحمد بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو قال قال أعرابي: يا رسول الله ما الصور قال «قرن ينفخ فيه». وقد أوكل الله عز وجل أمر النفخ في الصور لإسرافيل عليه السلام، وهو من الملائكة العظام، ومنذ أن أوكل بذلك وهو متهيئ للنفخ فيه، وكلما اقترب الزمان ازداد تهيؤه، وهي نفخة مفزعة، وف المسند أيضا بسند صحيح عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينظر متى يؤمر» قال المسلمون يا رسول الله فما نقول؟ قال قولوا: «حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا»، وبعد النفخة الأولى، نفخة الصعق، ينزل الله سبحانه وتعالى مطرا بصفة معينة على عظام الموتى، فتتركب منه جميع الخلائق؛ استعدادا للنشور بأمر ربهم سبحانه وتعالى. ففي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو، وفيه: «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لينا ورفع لينا قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل أو الظل نعمان الشاك فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلم إلى ربكم ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [٢٤]»، [الصافات: ٢٤]»، فإنزال

المطر لإنبات أجساد الموتى يكون بين النفختين، ولم تذكر المدة التي تستغرقها فترة الإنبات هذه. أما النفخة الثانية فهي نفخة البعث، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [٥١] قَالُوا يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥١ - ٥٢].

أيها المؤمنون: يوم البعث والنشور له أكثر من اسم، وعند العرب أن الشيء إذا كثرت أسمائه دل على أهميته ورفعته، ويذكرون لذلك أمثلة منها السيف والأسد. فيوم ذكر ذلك الإمام القرطبي في التذكرة منها وذكر منها: يوم القيامة، واليوم الآخر، والساعة، ويوم الفصل، ويوم الدين، ويوم الصاخة، ويوم الطامة، ويوم الحسرة، ويوم الندامة، ويوم الزلزلة ويوم القارعة... الخ، وقد وصف الله يوم القيامة بيوم الرعب والفرع؛ حتى أن الموضع التي تفدي وليدها بنفسها في الدنيا، يوم القيامة من شدة هوله تذهل عنه، والحامل تسقط حملها، والناس حالهم كحال السكارى؛ قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [١] يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]. ومن هول ذلك اليوم أن أبصار الظلمة شاخصة، لا يقدرון على الالتفات يمينا ولا شمالا؛ كما

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئَدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ [إبراهيم: ٤٣]. بل إن قلوبهم ترتفع إلى حناجرهم ولا تخرج، ولا تستقر في مكانها؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (١٨) [غافر: ١٨]. ولشدة هول ذلك اليوم يشيب شعر الطفل الرضيع؛ كما قال الله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَنْقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ (١٧) [الزمر: ١٧]. وفي ذلك اليوم تنقطع علائق الأنساب في مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ [المزمل: ١٧-١٨]. وفي ذلك اليوم تنقطع علائق الأنساب في ذلك اليوم الرهيب؛ كما قال الله تعالى: ﴿ فَأِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (١٠١) [المؤمنون: ١٠١]. والقريب يفر من قريبه، والأب من ابنه، والابن من أبيه، والزوج من زوجته، والأخ من أخيه؛ كما قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ﴾ (٣٣) يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ [عبس: ٣٣-٣٧]. حتى أن الكافر يفترق نفسه بكل ما يملك، ولكن هيهات هيهات؛ قال الله تعالى: ﴿ يُبْصَرُونَ ﴾ يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْهَى لَطْفِي ﴿١٥﴾ نَزَاعَةَ لِلشَّوَى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى

﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾ [المعارج: ١١ - ١٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١].

أيها المؤمنون: بعد أن علمنا الأدلة على البعث والنشور ولتي وردت في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم الدالة، فما علينا إلا أن نستعد من الآن للقاء الله؛ حتى نكون من أهل السعادة في الدار الآخرة، ولنعد العدة ليوم العرض والحساب وقراءة الكتاب، وجواز الصراط، وإثقال الميزان، فالساعة آتية لا ريب فيها لا تأتكم إلا بغتة، ولا يجليها لوقتها إلا الله جل جلاله.

الدعاء.....

المجموعة الثالثة

خطب شهر ربيع الأول،

وتشتمل على الخطب الآتية:

١- عبادات النبي صلى الله عليه وسلم

٢- شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم

٣- متابعة النبي

٤. الأعمال بالنيات

عبادات النبي صلى الله عليه وسلم

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

أيها المسلمون: إننا لنغفل عن كثير من مكارم الأخلاق، وإن من أجلها وأكملها وأطيبها، "خلق التواضع" الذي به خشوع القلب لله، ومحبة الناس، ورحمة الضعفاء والمساكين، التواضع مأخوذ من مادة "وضع"، التي تدل على الخفض للشيء وحطه، قال ابن القيم في مدارج السالكين: قال الجنيد بن محمد رحمه الله: التواضع هو: خفض الجناح ولين الجانب فالتواضع مفهومه تذلل في القلب وافتقار، يكسب الجوارح خضوعا وسكونا، فيحمل صاحبه على احترام الناس، وتقديرهم، وحسن التعامل معهم على حد سواء، لا يفرق بينهم في التعامل ما داموا مسلمين، ولا ينظر إليهم باعتبارات خاصة، ويحمل صاحبه أيضا على قبول الحق مهما كان من أي شخص ولو كان أدنى منه منزلة، والتواضع صفة محمودة تدل على طهارة النفس، وتدعو إلى المودة والمحبة والمساواة بين الناس، وينشر الترابط بينهم، ويمحو الحسد والبغض

والكراهية من قلوب الناس، وفوق هذا كله فإن التواضع يؤدي إلى رضا المولى سبحانه وتعالى.

أيها المؤمنون: لقد مدح الله تعالى في رسوله الكريم صفة التواضع فقال جل جلاله ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ لَظَنَّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى أمرا رسوله -صلى الله

عليه وسلم- بخلق التواضع: ﴿وَخُفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، والمعنى: ألن جانبك لمن آمن بك، وتواضع لهم، وقد كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا فعن ابن عباس سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله"، هذا هو التواضع جسده صلى الله عليه وسلم بالفعل ، وروى الترمذي والبيهقي بسند حسن عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قل: " اللهم أحيني مسكينا، وأمتي مسكينا، واحشني في زمرة المساكين" وهذا منه عليه الصلاة والسلام تنويه بشرف هذا المقام وفضله، قال ابن الأثير: "أراد به التواضع والإخبات، وأن لا يكون من الجبارين المتكبرين"، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: "ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"، قال النووي

-رحمه الله-: "فيه وجهان: أحدهما: يرفعه الله في الدنيا، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس، ويجل مكانه. والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا، وفي صحيح مسلم أيضا. عن عياض بن حمار - رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد". وقد اختار صلى الله عليه وسلم أن عبدا رسولا وأن يعيش عيشة المتواضعين وأن لا يكون مع المتكبرين، وتمثل خلق التواضع في كل أحواله، روى أحمد وأبو يعلى بسند حسن: أن الله -تبارك وتعالى- خير نبينا -عليه الصلاة والسلام- بين أن يكون ملكا نبيا أو عبدا رسولا، فقال: "بل عبدا رسولا، وكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا، يقول: "آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد" رواه البغوي وهو صحيح، وفي حديث مرسل أنه صلوات ربي وسلامه عليه جالسا يوما فأقبل رجل، فلما دخل عليه وذلك في فتح مكة، دخل الرجل عليه فارتعد الرجل هيبه من النبي صل الله عليه وسلم، فقال له عليه الصلاة والسلام: "هون عليك، فإنني لست ملكا، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة"، يعني تأكل اللحم المجفف، من شدة الحاجة والفقر، وكان تواضعه صلى الله عليه وسلم مع الكبار والصغار، ففي الصحيحين عن أنس- رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم"، وفي

الصحيحين عن أنس - رضي الله عنه - قال: "إن كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير "يا أبا عمير ما فعل النغير" لنغير كان يلعب به وهو طائر صغير،"، وفي الصحيحين أيضا: "أن الأمة من نساء المدينة كانت تأتيه - صلى الله عليه وسلم - فتتطلق به حيث شاءت"، وروى أبو يعلى والطبراني بسند صحيح عن سهل بن حنيف - رضي الله عنه - قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتي ضعفاء المسلمين، ويزورهم ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم"، وعند الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي عن أنس - رضي الله عنه - قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يردف خلفه، ويضع طعامه على الأرض، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار"، وعند أبي داود عن جابر - رضي الله عنه - قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتخلف في المسير، فيزجي الضعيف، ويردف ويدعو لهم"، وفي الصحيح قالت عائشة - رضي الله عنها -: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مهنة أهله، أي خدمتهم، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة.

وكان نبينا صلوات ربي وسلامه عليه إذا تعامل مع الناس تعامل معهم الرفق بغاية والتواضع، ولم يكون صلى الله عليه وسلم غليظا معهم، وكان يشفع لضعاف المسلمين وبسطائهم في حاجاتهم و لم يمنعه مقام النبوة من ذلك، ومن القصص الواردة في ذلك ما جاء في صحيح البخاري عن انس رضي

الله تعالى عنه، أن أمة كان اسمها بريرة ولها زوج اسمه مغيث ولم يكون عندهم اولاد وكانت هذه الأمة تسعى لأن يعتقها سيدها فيأبى عليها فكاتبت سيدها، فذهبت إلى عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها، واستعانتها على هذا المال فدفعت عائشة هذا المال فاعتقت بريرة والأمة إذا كانت متزوجة لعبد رقيق فإن الشرع يخيرها إذا اعتقت بين البقاء معه أو ان تطلق فاختارت أن تفارق مغيثا وكان محبا لها حبا عظيما حتى كاد قلبه أن ينفلق لفراقها، فاقبل مغيث الى النبي عليه الصلاة والسلام قال: يا رسول الله اشفع لي عند بريرة أن تعود الي، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى بريرة عرض عليها طلب مغيث في العودة إليه فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أتأمرني ؟ فقال لها صلى الله عليه وسلم: " إنما أنا شافع، فقالت: فلا حاجة لي به، ثم مضت ومضى النبي صل الله عليه وسلم ولم يلزمها بشيء، فلو كان حاكما من الحكام ما رضي أن يشفع عند امرأة عادية من عامة الناس ثم ترد اليه بعد ذلك شفاعته، بل ربما رفض ذلك، وربما سعى إلى الاضرار بها حتى يؤدبها وحتى لا يقلدها غيرها، لكنه لم يفعل شيئا من ذلك لانه كان في غية التواضع، وكان ربه جل وعلا قد ادبه فأحسن تأديبه.

عباد الله: كان النبي صل الله عليه وسلم يدعو أمته للتواضع يحذرها من أن يحتقر المرء اخاه ومن أن يتكبر عليه و يقول لهم كما في صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من

كبر "، والكبر والغرور فإنهما يجلبان لصاحبهما غضب الله و مقته جا في صحيح أب داود عن أبي هريرة قال هناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل: "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار، وكان صلوات ربي وسلامه عليه- يعد أي كبر يبقى في قلوب الناس يعده من أمر الجاهلية، الذي ينبغي أن يقضي عليه، ففي صحيح البخاري عن المعرور هو ابن سويد عن أبي ذر قال رأيت عليه بردا وعلى غلامه بردا فقلت: لو أخذت هذا فلبسته كانت حلة وأعطيته ثوبا آخر، فقال: كان بيني وبين رجل كلام وكانت أمه أعجمية فنلت منها فذكرني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي: "أسابيت فلانا قلت نعم، قال: "أفنت من أمه قلت نعم قال: "إنك امرؤ فيك جاهلية قلت على حين ساعتني هذه من كبر السن قال: "نعم هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه"

وخلق التواضع كان تمثله جميع الانبياء والمرسلين واليكم هذا الدرس في التواضع الذي يعلمنا إياه نبي بل من أولى العزم الخمسة بل إنه كليم الله من أولى العزم اصطفاه الله عز وجل الذي قال له ربه ﴿وَلْيُصْنَعْ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (٣٩) [طه: ٣٩]، لما أخبره ربه أن هناك من هو أعلم منه، سافر موسى إليه وتواضع بين يده وعرض عليه أن يتبعه ويخدمه مقابل أن يطلب العلم بين

يديه، ففي صحيح البخاري عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قام موسى خطيباً في بني إسرائيل فقيل: له أي الناس أعلم قال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، وأوحى إليه بلى عبد من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك قال: أي رب كيف السبيل إليه قال: تأخذ حوتا في مكمل فحيثما فقدت الحوت فاتبعه، قال فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت حتى انتهيا إلى الصخرة فنزلا عندها قال: فوضع موسى رأسه فنام قال سفيان: وفي حديث غير عمرو قال وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين قال فتحرك وانسل من المكمل فدخل البحر فلما استيقظ موسى ﴿ قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ [الكهف: ٦٢]، قال ولم يجد النصب حتى جاوز ما أمر به، قال له فتاه يوشع بن نون ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخَرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ [الكهف: ٦٣]، قال فرجعا يقصان في آثارهما فوجدا في البحر كالطاق ممر الحوت فكان لفتاه عجبا وللحوت سربا قال: فلما انتهيا إلى الصخرة إذ هما برجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى قال: وأنى بأرضك السلام فقال: أنا موسى قال موسى بني إسرائيل قال: نعم قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا؟ قال له الخضر: يا موسى إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه قال: بل أتبعك قال ﴿ قَالَ فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ ﴾

حَتَّىٰ أَحَدَّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ [الكهف: ٧٠] فانطلقا يمشيان على الساحل فمرت بهم سفينة فعرف الخضر فحملوهم في سفينتهم بغير نول يقول بغير أجر، فركبا السفينة قال ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الخضر لموسى: ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره قال: فلم يفجأ موسى إذ عمد الخضر إلى قدوم فخرق السفينة فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها ﴿٧١﴾ قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ [الكهف: ٧١]، فانطلقا إذا هما بسلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فقطعه قال له موسى ﴿٧٢﴾ أَقْنَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٢﴾ ﴿٧٢﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٣﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٤﴾ فانطلقا حَتَّىٰ إِذَا أَنَّىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ﴿٧٥﴾ [الكهف: ٧٤ - ٧٧]، فقال بيده هكذا فأقامه فقال له موسى إنا دخلنا هذه القرية فلم يضيفونا ولم يطعمونا، ﴿٧٦﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ [الكهف: ٧٧ - ٧٨]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددنا أن موسى صبر حتى يقص علينا من أمرهما، وكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وأما الغلام فكان كافرا،

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

فانظروا إلى تواضع هذا النبي الكريم، وكيف تعامل مع العبد الصالح بكل لين وتواضع. فاحرصوا على التواضع في جميع أعمالكم واقتدوا برسولكم صلى الله عليه وسلم في هذا الجانب، قلت ما سمعتم فا ستغفروا لله يافوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

أيها المؤمنون: التواضع زينة المؤمنين، وسمت المهتدين، الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، يحبون إخوانهم ويلينون في أيديهم، ولا يظهرون تجبراً ولا عنفاً ولا فساداً، أولئك هم الفائزون بموعود الله في الآخرة بدخول الجنان ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣] ، وامتدح الله تعالى عباده عباد الرحمن، وجعل أولى صفاتهم وخلالهم: "التواضع": فقال تعالى ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، قال ابن القيم رحمه الله: "أي بسكينة ووقار متواضعين، غير أشريين ولا مرجحين ولا متكبرين"، والتواضع يكون مع الله ومع رسوله ومع الخلق أجمعين؛ فالمسلم يتواضع مع الله بأن يتقبل دينه، ويخضع له سبحانه، ولا يجادل ولا يعترض على أوامر الله برأيه أو هواه، ويتواضع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يتمسك بسنته وهديه، فيقتدي به في أدب وطاعة، ودون مخالفة لأوامره ونواهيه، والمسلم يتواضع مع الخلق ألا يتكبر عليهم،

وأن يعرف حقوقهم، ويؤديها إليهم مهما كانت درجاتهم، وأن يعود إلى الحق ويرضى به مهما كان مصدره،

أيها المؤمنون: لقد كان لقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ومن جاء بعدهم من في غالبية من التواضع وكان يذكر بعضهم بعضا بهذا الخلق، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع"، وقال معاذ رضي الله عنه: "لن يبلغ العبد ذرى الإيمان حتى يكون التواضع أحب إليه من الشرف"، وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال له "يا جرير تواضع لله فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه يوم القيامة وقال أبو حاتم رحمه الله: "التواضع يرفع المرء قدرا، ويعظم له حظرا، ويزيده نبلا"، وسئل الفضيل بن عياض رحمه الله عن المتواضع فقال: يخضع للحق و ينقاد له و يقبله ممن قاله و لو سمعه من صبي قبله و لو سمعه من أجهل الناس قبله وقال مالك بن دينار -رحمه الله-: "لو أن مناديا ينادي بباب المسجد: ليخرج شركم رجلا، والله ما كان أحد يسبقني إلى الباب، إلا رجلا بفضل قوة أو سعي"، فبلغ ابن المبارك قوله فقال: "بهذا صار مالك مالكا"، وقال الحسن رحمه الله : وخرج عمر بن الخطاب في يوم حار واضعا رداءه على رأسه، فمر به غلام على حمار، فقال: أي غلام احملني معك؟ فوثب الغلام عن الحمار، وقال: اركب يا أمير المؤمنين، قال: لا اركب وأنا أركب

خلفك، تريد تحملني على المكان الوطيء، وتركب أنت على الموضع الخشن، فركب خلف الغلام بكل تواضع فدخل المدينة، وهو خلفه والناس ينظرون إليه، وفي موقف آخر من مواقف التواضع نجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وهو من هو . يراجع نفسه و يعود عن قرار اتخذه بهم مهور النساء فقد خطب الناس يوما فقال: لا تزيدوا مهور النساء عن أربعين أوقية، فمن زاد ألقىت الزيادة في بيت المال فتنهض من صفوف النساء سيدة تقول ما ذاك لك فيسألها ولم؟ فتجيبه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْدُلُوا زَوْجَ مَكَانِ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝٢٠﴾ [النساء: ٢٠]، فيتהל وجهه و يبتسم و يقول قولته المأثورة: "أصاب امرأة و أخطأ عمر".

أيها المؤمنون: وشعائر الاسلام وعباداته تؤدب النفوس وتجعلها متواضعة، وتقضي على بقايا الكبر إن كان فيها كبر، فأوجب الله تعالى على الناس أن يصلوا مع الجماعة، ولم تخصص لنا الشريعة مساجد خاصة بالأغنياء ومساجد خاصة بالفقراء ، أو أن تحدد صف للأغنياء أو جهة لهم وجه أخرى للفقراء، كلا وانما يقف الغني بجانب الفقير كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ [الحجرات: ١٣]، يذهب الناس للحج ولم تخصص الشريعة لباس خاص بالأغنياء، ولم تخصص لهم اوقات خاصة للطواف ولا طريقة في المبيت بمزدلفة أو الوقوف بعرفة أو تعفيهم من

رمي الجمرات، كلا وانما جعل الله تعالى لباسا واحدا، والتلبية واحدة ، كما أن الرب واحد وأن الكعبة واحدة لأجل أن يكون الناس إخوانا متقاربين، لأجل أن يقضى على ما تبقى في النفس ربما من كبر أو ضغينة.إذا كانت هذه منزلة التواضع فما هي آثاره على المتصف به و على علاقات الناس بعضهم ببعض؟ إن التواضع يجعل صاحبه يرى نفسه في نفسه صغيرا و هو في أعين الناس كبيرا يجلب له تواضعه محبة الله تعالى كما ذكر سبحانه في سورة المائدة ٥٤ {فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، و كما ورد في الحديث القدسي الذي أخرجه الإمام البخاري في الجامع الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض"، ومع الفوائد الفردية فإن للتواضع فوائد جماعية فهو يمتن علاقة الناس بعضهم ببعض، وينزع من قلوبهم كل مظاهر الحقد والكراهية ويجعلهم كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى. فطوبى لكل ذي رفعة وجاه و مكانة، تواضع في غير مذلة فمشى بجاهه في حاجة أخيه قضاها، وطوبى لكل ذي مال تواضع فلم يمش في الأرض مرحا و لم يصعر خده للناس بل آتى ماله ذوي القربى و اليتامى و المساكين، وطوبى لمن بلغ عنده أبواه

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

الكبر أحدهما أو كلاهما فخفض لهما جناح الذل من الرحمة و قال: ﴿رَبِّ
أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، فا حرصوا على التواضع، فبا
التواضع تنهذب النفس، وينكسر القلب، ويعظم الأجر، وتتم الرفع في الدنيا
والآخرة.

الدعاء

شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

أيها المؤمنون: إن الشجاعة خلق عظيم من أخلاق سيد المرسلين، وهي خلق فاضل متوسط بين خلقين رذيلين، الجبن والتهور، وتكون الشجاعة في الأقوال والأفعال، واصل الشجاعة في القلب: وهو ثبات القلب وقوته وسكونه عند المهمات والمخاوف، والشجاعة ليست هي قوة البدن، فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته، فإن القتال مداره على قوة البدن، وعلى قوة القلب وخبرته به، والشجاعة منها الشجاعة المحموده والشجاعة المذمومة: فإذا كانت الشجاعة مؤدية إلى طاعة الله تعالى، ونصر الحق ورد الباطل وتحصيل المنافع الفردية والجماعية للإسلام والمسلمين؛ فإنها شجاعة محمودة، أما إذا كانت في سبيل حظوظ النفس الدنيئة وتحصيل شهواتها المحرمة، فإنها شجاعة مذمومة. وقد حث الله على الشجاعة

بقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢٠٠﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. فالله يحث على الشجاعة بقوله: ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ وأثنى على المتصفين بهذا الوصف الجليل في قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ﴿١٧٣﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فهذا أمر بالشجاعة وهذا حث عليها وعلى الثبات، وما هو الثبات إلا شجاعة؟ "فهكذا يكون حال الرجال لا كمن خلع الرعب قلوبهم وصار خوف الخلق عندهم أعظم من خوف الخالق، قال تعالى في وصف المنافقين: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]، حتى لو ما كان معنيا بها فيظن نفسه مقصودا بها كما قال تعالى عنهم ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٢٠﴾ [الأحزاب: ٢٠]. وبسبب جبنهم وخوفهم قال الله عنهم: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ [الأحزاب: ١٩]،

أيها المؤمنون: أنبياء الله ورسله هم أشجع الناس؛ وأعلى الناس إيمانا؛ لأن أعمال الدعوة إلى الله تعالى، ومواجهة الخلق بذلك، لا يقوم بها إلا من أوتي حظاً وافراً من الشجاعة والإقدام، لا سيما أن من أقوامهم من رفضوا دعوة

أنبياء الله ورسله وواجهوا أقوامهم بأصناف من الأذى، فشجاعة الأنبياء والرسل دفعتهم لتبليغ رسالات الله تعالى، وخوفه وحده دون خوف من الناس قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩ - ٤٠]، فهذا نبي الله نوح -عليه السلام- يواجه كل قومه قائلا: ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: ٧٢]، واسمعوا إلى ما قاله نبي الله هود -عليه السلام- لقومه: ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود: ٥٤] من دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٦]

أيها المؤمنون: كان نبينا محمد . صلى الله عليه وسلم . أشجع الخلق على الإطلاق، وقد تجلت شجاعته المعنوية في وقوفه بدعوته الربانية في وجه الكفر وأهله، إذ كان العالم حين بعث . صلى الله عليه وسلم قد انصرف عن طريق الله، وغرق في بحر من المعاصي والآثام والشرك، فثبت النبي . صلى الله عليه وسلم، على دعوته يحتمل في سبيلها أشد ألوان الأذى والبلاء، وقد حاولت قريش معه مختلف الوسائل من الاضطهاد والإيذاء، والإغراء بالمال والنساء، والزعامة والملك، فلم يزدد النبي . صلى الله عليه وسلم . إلا ثباتا

على دينه، وتصميما على إبلاغ دعوته، حتى كتب الله له الفلاح والنصر، وأظهر دينه على الدين كله، أما شجاعته الحسية فعجب من العجب ، يشهد له بها أهل البطولة، إذ كان من الشجاعة والقوة بالمكان الذي لا يجهل، حضر المواقع والمعارك الصعبة، وفر عنه الأبطال والشجعان، وهو ثابت لا يتزعزع، ومقبل، روى البخاري عن أنس رضى الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت فاستقبلهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد استبرأ الخبر، وهو على فرس لأبى طلحة عرى وفى عنقه السيف وهو يقول « لم تراعوا لم تراعوا » . ثم قال « وجدناه بحرا »، أو قال « إنه لبحر »، والأمثلة التطبيقية العملية من حياة وسيرة النبي . صلى الله عليه وسلم . التي تدل على شجاعته وثباته كثيرة فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتقدم أصحابه في الجهاد في سبيل الله، وقد شج وجهه، وكسرت رباعيته - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد، ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر: عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها فقال له النبي: " أنا أقتلك إن شاء الله " فلما رآه يوم أحد شد أبي ابن خلف على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فتناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصفة ثم استقبله النبي فطعنه في عنقه طعنة

تدأداً منها عن فرسه مرارا. وقيل: بل كسر ضلعا من أضلاعه فرجع إلى قريش يقول: قتلني محمد وهم يقولون: لا بأس عليك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم، أليس قد قال: أنا أقتلك، والله لو بصق على لقتلني، فمات، أثناء رجوعه إلى مكة،

وفي يوم حنين ثبت النبي . صلى الله عليه وسلم . في وجه الآلاف من هوازن، بعد أن تفرق عنه الناس خوفا واضطرابا من الكمين المفاجئ الذي تعرضوا له، ويصف البراء بن عازب . رضي الله عنه . الموقف فيقول لرجل سأله كما في صحيح مسلم عن أبي إسحاق قال جاء رجل إلى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة فقال: أشهد على نبي الله -صلى الله عليه وسلم- ما ولى ولكنه انطلق أخفاء من الناس وحسر إلى هذا الحى من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد فانكشفوا فأقبل القوم إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول « أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب: اللهم نزل نصرك ». قال البراء كنا والله إذا احمر البأس نتقى به وإن الشجاع منا للذي يحاذى به. يعنى النبي - صلى الله عليه وسلم-، وروى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال غزونا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- غزوة قبل نجد فأدركنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في واد كثير العضاة فنزل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تحت

شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها - قال - وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر - قال - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إن رجلا أتاني وأنا نائم فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي فلم أشعر إلا والسيف صلتا في يده فقال لي: من يمنعك مني قال قلت الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني قال قلت الله، قال فشام السيف فيها هو ذا جالس ». ثم لم يعرض له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

أيها المؤمنون: وبالشجاعة والكرم فضل الله المؤمنين السابقين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على غيرهم من المؤمنين ممن جاءوا من بعدهم فقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولِيكَ أَعْظُمَ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]؛ ذلك أن الإسلام في بدايته كان يحتاج إلى أمرين: الشجاعة والإنفاق، وقد مدح الله تعالى المؤمنين الصادقين في كل زمان على شجاعتهم والتي دفعتهم لبذل أنفسهم وأموالهم لله تعالى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآثٍ لَهُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]: فالله سبحانه تعالى مدح الشجاعة في سبيله

وحمدها فقال تعالى سبحانه: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله [الأنفال: ٣٩]، وأيضاً مدح رسوله صلى الله عليه وسلم الشجاعة، ففي الحديث الصحيح عند البخاري عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قيل يا رسول الله الرجل يقاتل شجاعة ويقاقل حمية ويقاقل رياء فأبي ذلك في سبيل الله؟ فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، ومما ينبغي التنبيه عليه ضرورة مصاحبة الإخلاص للشجاعة، فلا بد أن يصاحب الشجاعة إخلاص لله تعالى، فإن مما يزيد هذا الخلق الجليل بهاء وجلالا عدم مراعاة الخلق؛ لأن المخلص بعمله الا مرضاة الله تعالى فلا يبالي بلوم اللائمين، ولا مدح المادحين فيقدم على قول الحق، وبذل نفسه وماله وكل ما يملك ابتغاء الأجر من الله تعالى وحده، غير مبال بانتقاد من انتقده، ولا يعتد بمدح من مدحه، والا ذهب عمله سدى كما أشار إليه الحديث السابق.

عباد الله: وكان الصحابة من أعظم الناس شجاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد تعلموها من رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله، فقد كان صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على تعلم لأسباب الجالبة للشجاعة، فقد كان يحثهم على الرمي يقول لهم: كما في الحديث الصحيح عند مسلم ألا إن القوة الرمي ، وفي البخاري أنه كان يرمي معهم ويقول لهم: ارموا فأنا معكم كلكم وكان صلى الله عليه وسلم يجعل من

الرياضة المباحة وسيلة للتمرين على الرمي، فكان صلى الله عليه وسلم يري الحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ويقرهم على ذلك من أجل التدريب الحربي ولم يكن لعبا ولا لهوا ولا عبثا في المسجد، وإنما كان لعبا بالحراب وتدريب كان يحسنه الحبشة، مثل التمرين أو استعراض عسكري، كانوا يقومون به، وقال □ كما في صحيح مسلم: " ستفتفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه " يعني: لا تتركوا التدريب على السهام ولو فتحت عليكم الديار، ولا تتركوا الرمي وتعلموه جيلا بعد جيل، هكذا كان □ يعلم أصحابه مثل هذه الأشياء، فالشجاعة لا بد أن يقارنها إعداد. قلت ما سمعتم فا ستغفروا الله يا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والايمان .ولك الحمد أن جعلتنا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

أيها المؤمنون: ولما تعلم الصحابة-رضي الله عنهم- من رسول الله صلى الله عليه وسلم الشجاعة والأسباب المؤدية إليها، كانت لهم مواقف تدل على بسالتهم وقوة شجاعتهم؛ ولهم في ذلك مواقف كثيرة تدل على شجاعتهم، ففي صحيح البخاري عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه، قال: بينما النبي - صلى الله عليه وسلم- يصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا؛ فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه؛ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]، ومن مواقف الشجاعة شجاعة عمر ابن الخطاب رضى الله فقد قال علي ابن أبي طالب -رضي الله -: "ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر إلا مختفيا إلا عمر بن الخطاب؛ فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتكب قوسه وامتنطى وفي يده أسهما واختصر عنزته، ومضى قبل الكعبة، والملا من قريش بفنائها، فطاف

بالبیت سبعا متمکنا، ثم أتى المقام فصلی متمکنا، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة وقال لهم: “شاهت الوجوه، لا یرغم الله إلا هذه المعاطس - أي الأنوف-، من أراد أن تتکله أمه، ویویتم ولده، أو ترمل زوجته، فلیلقاني وراء هذا الوادي، قال علي ابن أبي طالب -رضي الله -: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين، علمهم وأرشدهم ومضى لوجهه”، وفي صحيح البخاري أن أنس بن النضر قال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين يعني بذلك أنه تغيب عن المشاركة في معركة بدر، لئن أشهدني الله قتال المشركين لیرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني: أصحابه الذين انكشفوا وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني: المشركين، ثم تقدم، وقاتل حتى استشهد وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال: من يأخذ هذا مني فبسط الصحابة رضى الله عنهم أجمعين أيديهم كل إنسان يقول: أنا أنا، فقال: فمن يأخذه بحقه فأحجم القوم، فقال أبو دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه: أنا آخذه بحقه، فأخذه ففلق به هام المشركين، وذكر الذهبي في ترجمة البراء بن عازب؛ أنه ألقى بنفسه مقتحماً حديقة المرتدين، عند حرب مسيلمة الكذاب، واشتهر عنه أنه قتل ١٠٠ من الشجعان مبارزة، ومن قصص شجاعة صغار الصحابة ما حصل يوم بدر لمعاذ بن عمرو - رضي الله عنه-: قال: “جعلت أبا جهل يوم بدر من شأني، فلما أمكنني

حملت عليه فضربته فقطعت قدمه بنصف ساقه، فضربني ابنه عكرمة على عاتقي، فطرح يدي وبقيت معلقة بجلدة بجنبي، وأجهضني عنها القتال، فقاتلت عامة يومي، وإني لأسحبها خلفي، فلما أدتني، وضعت قدمي عليها، ثم تمطأت عليها حتى طرحتها". قال الذهبي بعد هذه القصة: "هذه والله الشجاعة، لا كآخر من خدش بسهم، ينقطع قلبه، وتخور قواه".

عباد الله: وتذكر لنا كتب التاريخ مواقف مشرفة من الشجاعة للعلماء في الجرأة على قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم الخشية في الله لومة لائم، ففي طبقات الشافعية الكبرى أن الإمام العز ابن عبد السلام أنكر على الصالح إسماعيل حاكم دمشق، الذي تنازل للصليبيين عن قلعة صفد والشقيف وصيدا، اختيارا تنازل عنها للنصارى؛ لينجدوه على شخص آخر مسلم يتنافس معه، وهو الصالح نجم الدين أيوب حاكم مصر، فدخل الصليبيون دمشق لشراء السلاح ليقاتلوا المسلمين، فلما رأى ذلك العز بن عبد السلام ورأى أن هذا يتنازل للصليبيين من أجل قتال أخيه المسلم ترك الدعاء له في الخطبة، وجدد دعائه بقوله: اللهم أبرم لهذه الأمة أمرا رشدا تعز فيه وليك وتذل فيه عدوك ويعمل فيه بطاعتك، وينهى فيه عن معصيتك، والناس يبتهلون بالتأمين والدعاء للمسلمين والنصر على أعداء الله الملحدين، والنتيجة: أنه أمسك به السلطان فسجنه، ثم قال للنصارى: هذا أكبر قسوس المسلمين وقد حبسته لإنكاره علي تسليمي إليكم حصون المسلمين، وعزلته

عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه، وقد جددت حبسه واعتقاله لأجلكم، فقال له بعض ملوك الفرنج: لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجله وشربنا مرققتها، وموافقه فيما حصل من بيعه للمماليك في قصة البيع المشهورة معروفة وحادثه انتشرت وسارت بها الركبان، وهذا الإمام الأوزاعي قام وأنكر على عبد الله بن علي عم أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، فيما قتل من المسلمين في دمشق، واشتد عليه في الإنكار، وسيوف حجاب الأمير حول الأوزاعي تقطر حوله دما، حتى قال بعض الوزراء: كنت أجمع ثيابي خوفا من دم الأوزاعي؛ فما هاب وما خاف

فإن قال قائل: ما هي وسائل اكتساب الشجاعة؟ قلنا:

الوسيلة الأولى: الإيمان بالقضاء والقدر وأنه لن يحدث شيء الأبقضاء الله وقدره أن يقنع الإنسان نفسه بأن المخاوف إنما هي من وسوسة الشيطان، ليست بالضرورة أن تحصل؛ إن الذي يجعل كثيرا من الناس يحجمون عن القتال لو وقعت معركة أنه يخاف من القتل، وهذا هو الحقيقة والواقع، فلو أنه أقنع نفسه بأن القتل ليس بالضرورة أن يحصل، وقد يحصل له في غرفة النوم كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فإذا إذا أقنع الإنسان نفسه بذلك تحصل على الشجاعة، فإذا قلت: إنه إذا دخل المعركة يقتل، وهذا احتمال قوي، لكن

ليس بالضرورة أن يحصل، ففي غالب المعارك أكثر الجيش لا يقتل ولا يموت، لكن يموت جزء منه، فالذي يظن أنه إذا دخل معركة لا محاله مقتول فهذا يثبطه، لكنه إذا أقنع نفسه بأن قتله ليس بالضرورة أن يحصل في هذه المعركة، وأن قضية الآجال بيد الله، وما دام أنه مطالب بالقتال فهو سيدخل المعركة، فهذا خالد بن الوليد تمنى الشهادة في سبيل الله، وكم من معركة دخلها وما مات فيها؟ بل في الغالب أن أكثر الجنود -النسبة الأكبر- من الذين يدخلون المعارك يسلمون، والبعض قد ينتصر، أو وقد يقع أسيراً، وقد يسلم، وقد يموت.

ثانياً: التدريب العملي: من أفضل الوسائل لاكتساب الأخلاق الصفات التدريب العملي عليها واكتسابها في البيئات المناسبة، فالبيئة لها تأثير في ذلك؛ لهذا نجد البشر الموجودين في المناطق المختلفة ميزات لا توجد في غيرهم، فمثلاً: أهل البادية فيهم شجاعة في مشي الصحاري والقفار، وأهل السواحل فيهم شجاعة في خوض غمار البحار، وأهل الجبال عندهم قوة في ارتقاء شواهد الجبال وقممها، وأهل المدن بالجملة أقل شجاعة من غيرهم حيث لا جبال ولا بحار، ولا صحاري ولا وديان، فلا يطلبون رزقا في بحر ولا في صحراء، فالترف والراحة يؤديان إلى تحطيم الشجاعة، ومن التدريب العملي لا اكتساب الشجاعة أن بدفع الإنسان نفسه إلى البيئة التي تخاف منها، للتخلص من رهبتها والخوف منها، سواء كان هذا موقف معركة أو

موقف خطابة أو موقف إنكار منكر أو مخاطبة عظيم، فالشجاعة هي التغلب على رهبة الموقف؛ لأن الإنسان إذا تغلب على رهبة الموقف انتهت العملية، واجتاز الجسر وعبر، وصار في شاطئ السلامة، وثبتت رجله وقدمه على الطريق، فكيف يتخلص الشخص من رهبة الموقف؟ هذه العملية مسألة تربوية مهمة، تحتاج إلى تكرار وضع النفس في المواقف التي فيها رهبة فإذا تكرر وضع النفس في المواقف التي فيها رهبة؛ ستزول الرهبة، أولاً قد تكون الرهبة بنسبة مئة بالمئة، ثم تسعين ثم ثمانين ثم خمسين ثم أربعين، حتى ينعدم الخوف والرهبة.

ثالثاً: القدوة الحسنة وباستعراض مواقف الشجعان، سواء كانت منقولة من الماضي أو الحاضر أو كانت مشاهدة، فالزبير بن العوام كان يصطحب ولده عبد الله إلى ساحات الوغى، وعمره إحدى عشر سنة أو نحوها، فالمعارك التي خاضها الزبير كان عبد الله موجوداً ويرى على الطبيعة إقدام أبيه، فمسألة القدوة هي من أعظم ما يرسخ الشجاعة في النفس، وتربية الأطفال على معاني الشجاعة كان شائعاً في تاريخ المسلمين، ففي أحد المعارك بين النصارى والمسلمين في عهد صلاح الدين الأيوبي، قال بعض المسلمين لبعض النصارى: لقد سئمنا من قتال الكبار فأرسلوا صبياً ونرسل صبياً في وسط ساحة المعركة، فأخرج المسلمون صبياً وأخرج النصارى صبياً فالتقيا فابتدر صبي المسلمين صبي النصارى فأخذه فاقتلعه فرفعه فهو به إلى

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

الأرض وأطبق عليه ليقتله، فحالوا بينه وبينه، فالصبي إذا شاهد القدوات العملية على الشجاعة بتقمصها وتصبح الشجاعة بالنسبة له خلقا يرى أثره في الواقع، فاحرصوا على اكتساب خلق الشجاعة والأسباب المؤدية إليه.

الدعاء.....

متابعة النبي صلى الله عليه وسلم

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

عباد الله: أرسل الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر أمته بالإيمان به، وجعله قدوة لها في كل شؤون حياتها، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وبين الله في كتابه الكريم أننا لن ننال محبته ورضوانه إلا إذا تابعنا رسوله الكريم فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم لها مظاهر متعددة و ومن أبرز هذه المظاهر:

أولاً: تعلّم الأحكام الشرعية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم: وذلك لأن الإسلام دين مبني على الوحي، والوحي لا يدرك إلا بالتعلم وبالتالي: لا وسيلة للعمل بأحكام الإسلام واتباع النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا عن طريق التعلم لما جاء عنه في القرآن والسنة؛ لأنه من غير الممكن أن يعمل

الإنسان بشيء لا يعرفه ولم يتعلمه، قال الإمام البخاري في صحيحه: باب العلم قبل القول والعمل، لقول الله - تعالى -: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [١٩] [محمد: ١٩] فبدأ بالعلم قبل العمل، وكان أول ما أنزل من القرآن: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [١] والقراءة أداة للتعليم، وتعلم الأحكام الشرعية ينبغي أن يقودنا إلى فهم النصوص الصحيحة وتدبر معانيها؛ فالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة هما أدتا تعلم الأحكام الشرعية جاء في مستدرک الحاكم أن رسول الله وقال: -"تركتم فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض" ولقد تكفل الله بحفظ نصوص كتابه من أن يدخلها تحريف أو تبديل قال الله - تعالى -: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، ويتضمن ذلك حفظ سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - التي على الرغم مما دخلها من أحاديث ضعيفة وموضوعة إلا أن الله تعالى هيا لها أئمة نذروا أنفسهم وأعمارهم في خدمتها وتمييز صحيحها من ضعفيها وموضوعها؛ ولذا فإنه لا بد للحريص على الاتباع الحق للنبي - صلى الله عليه وسلم - من الحرص على صحة النصوص التي يعمل بها، والقيام بفهمها وتدبرها، ومن ثم العمل بموجبها فعلا وتركها.

ثانياً: تعظيم النصوص الشرعية والعمل بها: ومن أبرز مظاهر الإتيان ودلائله تعظيم النصوص الشرعية الثابتة؛ بتقديرها وإجلالها، والعمل بها وعدم هجرها أو معارضتها، والتحاكم إليها، واعتقاد أن الهدى فيها لا في غيرها، وقد كان هذا هو هدي أئمة الإتيان وسادته من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، ففي صحيح مسلم أن عبد الله بن مغفل رأى رجلاً من أصحابه يخذف فقال له: لا تخذف، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن الخذف، وكان يكرهه، ثم رآه بعد ذلك يخذف فقال له: ألم أخبرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عنه؟ ثم أراك تخذف؟! والله لا أكلمك أبداً"، وفي صحيح البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه: "قال حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتيها، يريد المدينة قال: فلو وجدت الأطباء يسكنه ما ذعرتها" وفي سنن الدارمي أن ابن سيرين حدث رجلاً بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل: قال: "فلان وفلان كذا فقال ابن سيرين: "أحدثك عن النبي صلى الله عليه وسلم وتقول: قال فلان وفلان كذا وكذا؟ والله لا أكلمك أبداً"

ثالثاً: متابعه صلى الله عليه وسلم بالتحكم إلى شريعته: بحيث يحكم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة ويتحاكم إليهما، ويجعل ذلك هو الميزان الذي يزن بواسطته الاعتقادات والأقوال والأفعال والمتروك، فما وافقهما قبله، وعمل بما فيه، وما خالفه رده وإن جاء به من جاء قال الله

تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]
، وقال الله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَنزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، وتحكيم العبد وتحاكمه إلى الشريعة وحرصه على أن تكون جميع شؤونه خاضعة لها: هو السمة البارزة والعلامة الفارقة بين المسلم الحريص على متابعتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبين من اتبع هواه بغير هدى من الله فضل وأضل.

رابعاً: الرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه: ومن مظاهر الإلتباع للرسول صلى الله عليه وسلم الرضى بحكمه وشرعه، ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ذاق طعم الإيمان من رضي الله عنه بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا" ؛ فإذا رضي المسلم بمحمد صلى الله عليه وسلم نبينا ورسولا: لم يلتفت إلى غير هديه ولم يعول في سلوكه على غير سنته، وحكمه وحاكم إليه، وقبل حكمه وانقاد له وتابعه واتبعه، ورضي بكل ما جاء به من عند ربه، فيسكن قلبه لذلك، وتطمئن نفسه، وينشرح صدره، ويرى نعمة الله عليه وعلى الخلق بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وبدينه العظيم أيما نعمة، فيفرح بفضل ربه عليه ورحمته له بذلك؛ حيث جعله من أتباع خير المرسلين

وحزبه المفلحين قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) [يونس: ٥٧ - ٥٨]، والرضا كلمة تجمع القبول والانقياد، فلا يكون الرضا إلا حيث يكون التسليم المطلق والانقياد الكامل ظاهرا وباطنا لما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم خامسا: الخوف من الزيغ والاستدراج: فمن أبرز علامات الإتيان ومظاهره، خوف العبد من انحرافه وذنوبه، وخشيته من استدراجه وعدم ثباته على الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان ذلك واضحا جليا لدى الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، وفي صحيح البخاري، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: إن المؤمن يرى كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا" وفي البخاري أيضا قال إبراهيم التيمي: "ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبا" وقال ابن أبي مليكة: "أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل. ويذكر عن الحسن البصري أنه قال : ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق"، وفي صحيح البخاري أن أبا بكر الصديق كان يقول: "لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، وإني لأخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ! وقد عقب ابن بطه على كلمة

الصديق تلك فقال: هذا يا إخواني الصديق الأكبر يتخوف على نفسه من الزيف إن هو خالف شيئاً من أمر نبيه صلى الله عليه وسلم، فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وأوامره ويتباهون بمخالفته ويسخرون بسنته؟! نسأل الله عصمة من الزلل، ونجاة من سوء العمل. سادساً: الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والتأسي به ظاهراً وباطناً: بحيث يجرد العبد متابعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكتفي بالتلقي والأخذ عنه، والعمل بما جاء به عملاً بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، فلا اعتقاد ولا عبادة ولا معاملة ولا خلق ولا أدب ولا نظام اجتماعي ولا اقتصادي أو سياسي ... إلخ إلا عن طريقه، وعلى وفق ما جاء به من أحكام وتعاليم في الكتاب الكريم والسنة الصحيحة، بحيث تكون شريعته هي المهيمنة والرائدة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم..

الخطبة الثانية

الحمد لله رب الأرباب، منزل الكتاب ومجري السحاب، وهازم الأحزاب والصلاة والسلام على من بعثه الله بالهدى والصواب، وعلى آله وأصحابه بلا شك ولا ارتياب.

أيها المسلمون: أيها الأحبة: يحق لسائل أن يسأل ويقول: ما الوسائل المعينة على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم؟ والجواب هو: الوسائل المعينة على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة منها:

أولاً: الإخلاص لله تعالى، في أمر المتابعة: لا يتوقف أمر متابعة النبي صلى الله عليه وسلم على تعلم أحكامه الشرعية ومعرفة الحق الذي جاء به صلى الله عليه وسلم وإدراكه فقط، بل لا بد مع ذلك من التجرد في أمر المتابعة، والحرص على سلامة القصد والممارسة الصحيحة لهذه المتابعة، ولا يكون ذلك إلا بالإخلاص لله تعالى وقد قال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝﴾ [البينة: ٥]، وهذا الأمر له تعلق بتتقية النفوس من الأهواء والشوائب وتركيتها؛ لأن العبد كلما سعى في تتقية نفسه وتركيتها وإلزامها بطاعة الله - تعالى - ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وترك معصيتهما ظاهراً أو باطناً كلما ازداد قبول العبد للحق وإقباله عليه زادت متابعته للرسول صلى الله عليه

وسلم، والإخلاص والتجرد معينان للعبد على متابعتة للرسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى الرجوع عن البدع والأخطاء متى ما وقع فيها، وقد حصل ذلك من أعيان كبار في علم الكلام والفلسفة في تاريخ الأمة الطويل.

ثانياً: اتباع طريقة أصحاب رسول الله من بعده في العلم والعمل: لا طريق لمن أراد أن يستمسك بدينه، ويتبع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اتباعاً نقياً صحيحاً، إلا أن يضبط فهمه للنصوص الصحيحة واستيعابه لها، وعمله على تنفيذها، إلا بالطريقة التي كان عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته، ومن جاء بعدهم ممن سار على نهجهم، حذو القذة بالقذة؛ نظراً لكون النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي لا ينطق عن الهوى قد حدد أن الحق ما كان عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الكرام ومن جاء بعدهم من أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، فقد قال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري: "خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" ونظراً لقلة العلم وكثرة الأهواء في الأزمنة التي جاءت بعده، فقد ازدادت الحاجة إلى معرفة طريقة أصحابه والعمل بها، وما أحسن قول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - حيث قال: من كان مستتاً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم

في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

ثالثاً: الصحبة الصالحة: صحبة الصالحين الملتزمين بما كان عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته من أعظم الأسباب التي تعين على الاتباع والا ستمساك بالحق؛ وذلك لأن صاحب صاحب للمرء وقائد، ففي صحيح أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" ويقول ابن عباس - رضي الله عنهما - محذرا: لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلب. ومما يدل على تأثير الصحبة دلالة واقعية قول يوسف بن أسباط: كان أبي قدريا، فأنقذني وأخوالي جهمية فأنقذني الله بسفيان الثوري، وسبب ذلك أن الخليل يحمل صاحبه على ما هو عليه، فإن كان صاحب سنة و اتباع حملة على ذلك، وإن كان صاحب بدعة وفسوق حملة على ذلك.

رابعاً: تقوى الله عز وجل والخوف منه؛ وذلك لأن من اتقى الله عز وجل جعل له فرقانا يميز به بين الحق والباطل، وبين النور والظلمة قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩] وقال عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٨﴾ [الحديد: ٢٨] خامساً: اللجوء

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

والتضرع إلى الله - عز وجل: وإظهار الافتقار إليه والحاجة إليه، ولقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيرا ما يفعل ذلك، ففي صحيح، ابن ماجة عن أبي سلمة قال سألت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل قالت كان إذا قام من الليل افتتح صلاته فقال: "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"، فليحرص المسلم على متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أقواله وأفعاله ؛ حتى ينال السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة. اللهم وفقنا للتمسك بكتابك وسنة رسولك - صلى الله عليه وسلم -، واتباعه في كل صغيرة وكبيرة يا رب العالمين، اللهم صل وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الدعاء

إنما الأعمال بالنيات

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

أيها المؤمنون: إن النية تصحب المسلم في كل أحواله، في عباداته، وفي معاملاته، وفي علاقته بأهله والناس أجمعين، وهي لا تدع قولاً ولا فعلاً إلا كانت أصله ومبدؤه، والنية في أعمالنا كالأرواح في أجسادنا، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: " النية أمر لازم لأفعال الإنسان المقصودة، وهي قصد فعل الشيء، فكل عازم على فعل فهو ناوٍ به، لا يتصور انفكاك ذلك عن النية فإنه حقيقتها، ولو أراد إخلاء أفعاله الاختيارية عن نيته لعجز عن ذلك، ولا يكاد العاقل يفعل شيئاً من العبادات ولا غيرها بغير نية، ولو كلفه الله عز وجل الصلاة والوضوء بغير نية لكلفه ما لا يطيق، ولا يدخل تحت وسعه"، والله جل وعلا يعلم نياتنا وأعمالنا سرنا وعلاانيتنا، ولا يخفى عليه شيء من أحوالنا، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٩]، والله

تعالى لا ينظر إلى صورنا ولا إلى أموالنا، ولكن ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا،
ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»
فنظر الله إنما هو لقلوبنا بما يكون فيها من إخلاص ونية، وإلى أعمالنا هل
وافقت شرع الله أم لا؟ وبتصحيح النية يتأهل العمل ليكون مقبولا عند الله عز
وجل، وفساد النية يسبب لحبوط العمل، وضياح الجهد، وفضيحة في الدنيا
والآخرة، وتصبح الأعمال هباء منثورا، والنية عمل قلبي لا يعلمه إلا الله،
والناس فيه متفاوتون على قدر ما يقوم في قلوبهم من إخلاص لله، ففي
صحيح البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الأعمال بالنيات
وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة
ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» قال النووي رحمه الله تعالى: " أجمع
المسلمون على عظم موقع هذا الحديث، وكثرة فوائده وصحته، قال الشافعي:
يدخل هذا الحديث في سبعين بابا من الفقه وهو ثلث الإسلام، وقال عبد
الرحمن بن مهدي: ينبغي لمن صنف كتابا أن يبدأ فيه بهذا الحديث تنبيها
للطالب على تصحيح النية، وقد فعل ذلك الإمام البخاري وغيره ، فابتدأوا
كتبهم بحديث النية: «إنما الأعمال بالنيات» قبل كل شيء، وقد ذكره
البخاري في سبعة مواضع من كتابه، قال جماهير العلماء من أهل العربية

والأصول وغيرهم: لفظة «إنما» موضوعة للحصر، تثبت المذكور، وتتفي ما سواه. فتقدير هذا الحديث: إن الأعمال تحسب بنية، ولا تحسب إذا كانت بلا نية. انتهى كلامه، والحديث يدل على أن الأعمال لا تصح إلا مع وجود النية، وأن النية تؤثر في العمل، فتحول المباح إلى قربة وطاعة، وتحول الطاعة إلى معصية، كمن يفعلها رياء وسمعة أو لأجل الدنيا، لكنها لا تحول المعصية إلى مباح كما يظن ذلك بعض الناس، قال الإمام الغزالي رحمه الله في تنقسم الأعمال بحسب النية إلى أقسام: القسم الأول: المعاصي، وهي لا تتغير عن موضعها بالنية، فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات» فيظن أن المعصية تتقلب طاعة بالنية، كالذي يغتاب إنسانا مراعاة لقلب غيره، أو يطعم فقيرا من مال غيره، أو يبني مدرسة أو مسجدا أو رابطا بمال حرام، وقصده الخير، فهذا كله جهل، والنية لا تؤثر في إخراجها عن كونه ظلما وعدوانا ومعصية، بل قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع، شر آخر، فإن عرفه فهو معاند للشرع، وإن جهله فهو عاص بجهله؛ إذ طلب العلم فريضة على كل مسلم. فقوله صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات» يختص من الأقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي؛ إذ الطاعة تتقلب معصية بالقصد، والمباح ينقلب معصية وطاعة بالقصد، فأما المعصية فلا تتقلب طاعة بالقصد أصلا، نعم، للنية دخل فيها، وهو أنه إذا انضاف إليها قصود خبيثة تضاعف وزرها

وعظم وبالحا" وقال الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى: "وقوله بعد ذلك:»
وإنما لكل امرئ ما نوى» إخبار أنه لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به،
فإن نوى خيرا حصل له خير، وإن نوى به شرا حصل له شر، وليس هذا
تكريرا محضا للجملة الأولى **«إنما الأعمال بالنيات»**، فإن الجملة الأولى
دلت على أن صلاح العمل وفساده بحسب النية المقتضية لإيجاده، والجملة
الثانية **وإنما لكل امرئ ما نوى**»، دلت على أن ثواب العامل على عمله
بحسب نيته الصالحة، وأن عقابه عليه بحسب نيته الفاسدة، وقد تكون نيته
مباحة، فيكون العمل مباحا، فلا يحصل له ثواب ولا عقاب، فالعمل في نفسه
من حيث صلاحه وفساده وإباحته بحسب النية الحاملة عليه، المقتضية
لوجوده، وثواب العامل وعقابه وسلامته بحسب النية التي بها صار العمل
صالحا، أو فاسدا، أو مباحا، والنية بالمعنى الذي ذكره الفقهاء، هي تمييز
العبادات عن العادات، وتمييز العبادات بعضها عن بعض، فمثلاً الإمساك
عن الأكل والشرب يقع تارة حمية، وتارة لعدم القدرة، وتارة تركا للشهوات لله
عز وجل، فيحتاج في الصيام إلى النية". أما قوله صلى الله عليه وسلم
«فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله» فقد ذكر
فيه النبي صلى الله عليه وسلم مثالا من الأعمال التي يختلف صلاحها
وفسادها باختلاف النيات وهي الهجرة، وكأنه يقول سائر الأعمال تقاس على
هذا المثال. والهجرة هي الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، فأخبر النبي

صلى الله عليه وسلم أن من هاجر إلى دار الإسلام حبا لله ورسوله ورغبة في إظهار دينه حيث كان يعجز عنه في دار الشرك فهذا هو المهاجر إلى الله ورسوله حقا، ومن كان مهاجرا لغرض إصابة الدنيا أو نكاح المرأة فهذا مهاجر لأجل الدنيا وليس لأجل الآخرة ولا يؤجر على ذلك، وفي قوله صلى الله عليه وسلم «إلى ما هاجر إليه» تحقير لما طلبه من أمر الدنيا واستهانة به. وسائر الأعمال كالهجرة في هذا كالجهاد والحج وغيرها، ففي الصحيحين عن أبي موسى رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله قال «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله». ومثله من تعلم علماً بنية حصوله على الدنيا، فقد ورد الوعيد في تعلم العلم لغير وجه الله كما أخرجه أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» يعني ربحها.

أيها المؤمنون: ومن عظيم أمر النية أنها قد يبلغ العبد منازل الأبرار، ويكتب له ثواب أعمال عظيمة لم يعملها، وذلك بالنية إذا كان الحامل على عدم العمل العجز وعدم القدرة، يقول الله جل وعلا: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ

فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ [النساء: ١٠٠]، فنيته الصالحة جعلته في عداد المهاجرين، وقد مات ولم يبلغ دار المهاجرين، وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال: « إن بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم ». قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال: « وهم بالمدينة، حبسهم العذر »، وقد أنزل الله فيهم قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿١١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ ﴿١٢﴾ [التوبة: ٩١ - ٩٢]، وعند ابن ماجه بسند صحيح عن أبي كبشة الأنماري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقه ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فها في الأجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخطب في ماله ينفقه في غير حقه ورجل لم يؤته الله علما ولا مالا فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

و سلم فهما في الوزر سواء" ومن فضل الله تعالى على عباده ،أن العبد المؤمن الذي كان يعمل أعمالا في وقت صحته ونشاطه، وهذه الأعمال إذ اعجز عن القيام بها بسبب مرضه أو سفره، أو غيرهما من الأعذار، كتب الله له أجرها بنيته الصالحة، ففي صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مرض العبد أو سافر كتب الله له ما كان يعمل صحيحا مقيما». بل إن المؤمن وإذا نوى فعل بالخير ثم لم يفعل ذلك العمل، لعذر ما، كتب له بنيته حسنة كاملة، ففي سنن النسائي بسند صحيح عن أبي الدرداء يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه عز وجل ».

أيها المؤمنون: ممارسة المؤمن لشهواته وملذاته المباحة يأجره الله تعالى عليها، إذا نوى بها كف نفسه عن الحرام، وكف أهله عن الحرام،: ففي صحيح مسلم عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « وفي بضع أحدكم صدقة " قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : " أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر » ومن فاتته هذه النية لجهله أو تهاونه فقد حرم خيرا عظيما ففي صحيح البخاري عن سعد بن أبي وقاص أنه أخبره أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « إنك لن

تتفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها ، حتى ما تجعل في في امرأتك». قال ابن القيم "إن خواص المقربين هم الذين انقلبت المباحات في حقهم إلى طاعات وقربات بالنية فليس في حقهم مباح متساوي الطرفين بل كل أعمالهم راجحة". فهذا من نعمة الله على المسلم، أن ملذاته ومتعه، تنقلب أعمالا صالحة، ينال عليها الثواب إذا كانت النية خالصة لله. فالمسلم تصحبه، النية الصالحة تصحبه في كل أحواله، فيرتقي بذلك إلى درجات الكمال، وأيضا تجري النية في المباحات والأمر الدنيوية، فمن نوى بكسبه وعمله الدنيوي الاستعانة بذلك على القيام بحق الله وحقوق الخلق واستصحاب هذه النية الصالحة في أكله وشربه ونومه وجماعه انقلبت العادات في حقه إلى عبادات وبارك الله في عمله وفتح له من أبواب الخير والرزق أمورا لا يحتسبها ولا تخطر له على بال.

أيها المؤمنون: لهذا أكثر الصالحون من الحديث عن النية وبينوا منزلتها ومكانتها من الأعمال، فهذا معاذ ابن جب رضي الله عنه يقول "أما أنا فأنام وأقوم فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي" قال الحافظ ابن حجر في الفتح: "ومعناه أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب؛ لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصلت الثواب" قال بعض أهل العلم: "وددت أنه لو كان من الفقهاء من ليس له شغل إلا أن يعلم الناس مقاصدهم في أعمالهم، ويقعد للتدريس في أعمال ليس إلا، فإنه ما أتى على كثير من

الناس إلا من تضییع ذلك. ما ابتلوا، ما أتاها إبليس إلا من هذا الباب. وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي، فإنها تتقلب علي وتتغير وتتحول فأحتاج إلى ردها وإلى توجيهها وإلى تحديدها. وقال الحسن رحمه الله: من طلب بالعلم عرض الدنيا عصا ربه، وأتعب نفسه وباء بالإثم، قال معمر: طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم إلا أن يكون لله، وقال مالك رحمه الله: "قولوا لمن لم يكن صادق النية لا تتعب"، وقال يحيى بن أبي كثير "تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل"، وقال بعض أهل العلم: اثنتان أنا أعالجهما منذ ثلاثين سنة: ترك الطمع فيما بيني وبين الناس، وإخلاص العمل لله عز وجل. فلا بد أن نتوقف قليلاً قبل العمل لتصحيح النية وتجديدها، قيل لنافع بن الزبير: اشهد معنا الجنازة، فقال: كما أنتم، ثم وقف هنيهة ومضى فسئل بعد ذلك قال: حتى أجمع نيتي. وكان طاووس رحمه الله لا يحدث إلا بنية، ويسأل أن يحدث، حدثنا عن النبي عليه الصلاة والسلام، فلا يحدث أحياناً، فقل له في ذلك، قال: أتحبون أن أحدث بغير نية، إذا حضرتني نيتي فعلت، وكان بشر رحمه الله يصلي فيطول، فرآه رجل وجعل ينظر إليه، ففطن لذلك بشر، فلما انصرف من الصلاة قال: يا أخي لا يعجبك ما رأيت مني فإن إبليس قد عبد الله دهراً مع الملائكة. يعني: ثم انصرف، روى ابن عساكر: أن أبا الحسين النوري رحمه الله اجتاز بزورق فيه خمر، فقال: ما هذا؟ ولمن هذا؟ فقال له الملاح: هذا خمر لأحد الكبراء

وسماه، فصعد أبو الحسين إليها، فجعل يضرب الدنان -جرار الخمر- بعمود في يده حتى كسرها إلا واحدا، فجاءت الغلمان فأخذوه، فأوقفوه بين يدي صاحب الجرار، فقال له: ما الذي حملك على ما فعلت؟ قال: شفقة عليك، ولدفع الضرر عنك، وهذا جواب سديد حكيم في الدعوة، شفقة عليك ولدفع الضرر عنك، قال: ولأي شيء تركت منها واحدا؟ قال: لأنني إنما أقدمت عليها فكسرتها إجلالا لله تعالى فلم أبالي بأحد، فلما انتهيت إلى هذا الأخير دخل في نفسي إعجاب، من قبيل أنني أقدمت على مثلك. يعني: قد صارت عندي هذه القوة والجرأة فأعجبت فتركته، قال: اذهب قد أطلقت يدك فغير ما أحببت أن تغيره من المنكر. قلت ما سمعتم فا ستغفروا لله يا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع إخوانه أما بعد:

أيها المؤمنون: يشترط في العبادات حتى تقبل عند الله عز وجل ويؤجر عليها العبد أن يتوفر فيها شرطان الإخلاص والمتابعة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ٢] قال الفضيل: أحسن عملا، أخلصه وأصوبه، وقال الإمام ابن القيم: فإن الله جعل الإخلاص والمتابعة سببا لقبول الأعمال فإذا فقد العمل الشرطين لم تقبل، وقد جاء الأمر بإخلاص العمل لله في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]، ومعنى الإخلاص هو: أن يقصد العبد بجميع أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة ابتغاء وجه الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ۝٢١﴾ [الليل: ١٩-٢٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝١﴾ [الإنسان: ٩]. وجاء عند مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»، أما شرط المتابعة، فقد جاء الأمر به في قوله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصحيحين من حديث عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وهديه ولزومهما، فعن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وإنه من يعش منكم فسيروا اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» رواه الترمذي بسند حسن صحيح، قال ابن رجب رحمه الله: هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث «إنما الأعمال بالنيات» ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى، فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله، فليس من الدين في شيء".

أيها المؤمنون: وفساد النية قد يقع في طلب العلم الشرعي، وفي تأليف العلوم، فينبغي الانتباه لذلك، قال مجاهد رحمه الله: "طلبنا العلم ومالنا فيه كثير نية، ثم رزقنا الله تعالى فيه تصحيح النية"، وقال أبو العالية: تعلمت الكتابة والقرآن فما شعر بي أهلي، ولا رأي في ثوبي مداد قط، والرياء داء الأعمال وسوسها، فإذا كان التفات الرجل في صلاته اختلاس يختلسه الشيطان من العبد فكيف بمن يلتفت قلبه إلى غير الله سبحانه وتعالى فيقصد بعمله غير الله؟ ومثل فساد العمل إذا خالطته النية الفاسدة كشخص عنده سند بمبلغ من المال، وليس عنده إثبات إلا هو فكان هذا السند مقلوبا على الوجه الآخر فظنه ورقة عادية، فأخذه فكتب عليه بعض الأرقام والعبارات، ثم مزقه ورمى به، ثم اكتشف بعد ذلك أن الذي مزقه هو سند ماله الذي كان بحوزته، فكيف يكون ندمه وحسرتة وقد ذهب ماله أدراج الرياح؟ وهكذا الأعمال الصالحة فقد يجهد الإنسان نفسه في صوم، وصدقة، وتلاوة، وبر الوالدين ونحو ذلك ثم يذهب أجره هباء منثورا بسبب إرادته للرياء أو طلبه لسمعة، أو قصد بعمله المفاخرة، ورجاء ما في أيدي الناس؟ فسيكون حاله كمن يحرث في الماء، أو يبذر في الصحراء. فإصلاح النية فيه مجاهدة وصعوبة، ولكن ييسره الله تعالى على من صدق وأخلص، وتصفية العمل من الآفات أشد من العمل نفسه، والذي يعين على إصلاح النية، التأني والتدبر وعدم العجلة قليل الإقدام على عملٍ ما، فيفكر الإنسان فيما يأتي ويذر،

ويحاسب نفسه قبل العمل، فينظر هل هو حلال أو حرام، ثم ينظر في نيته: ماذا أراد بذلك؟ فكلما حاسب نفسه، وعودها النظر قبل العمل، كلما كان ذلك أدعى لتذكره أمر النية، حتى يصير ذلك ملكة له، وعادة يعتادها، فلا يخرج ولا يدخل، ولا يأكل ولا يشرب، ولا يعطي ولا يمنع، إلا وله نية في ذلك، وبهذا تتحول عامة أوقاته إلى أوقات عبادة وقربة.

أيها المؤمنون: وهناك مسألة مهمة تتعلق بالنية لابد من التذكير بها، وهي مسألة تعدد النيات في العمل الواحد، فكلما تعددت النيات كان الأجر أعظم، قال ابن القيم رحمه الله: "تداخل العبادات في العبادة الواحدة هو باب عزيز شريف، لا يعرفه إلا صادق، حاذق الطلب، متضلع من العلم، عالي الهمة، بحيث يدخل في عبادة فيظفر فيها بعبادات شتى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"، وقال لإمام الغزالي فـ "الطاعات مرتبطة بالنيات في أصل صحتها، وفي تضاعف فضلها. أما الأصل فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير، فإن نوى الرياء صارت معصية. وأما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة، فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة، فيكون له بكل نية ثواب إذ كل واحدة منها حسنة، ثم تضاعف كل حسنة عشر أمثالها، ومثاله: القعود في المسجد، فإنه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيات كثيرة. أولها: أن يعتقد أنه بيت الله، وأن داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده **وثانيها:** أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة. **وثالثها:** الترهيب بكف السمع والبصر

والأعضاء عن الحركات والترددات، فإن الاعتكاف كف، وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب. ورابعها: عكوف الهم على الله، ولزوم السر للفكر في الآخرة، ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال إلى المسجد. وخامسها: التجرد لذكر الله أو لاستماع ذكره وللتذكر به. وسادسها: أن يقصد إفادة العلم بأمر بمعروف ونهي عن منكر، إذ المسجد لا يخلو عن من يسئ في صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له. وسابعها: أن يستفيد أخا في الله. وثامنها: أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى، وحياء من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هتك الحرمه. فهذا طريق تكثير النيات، وقس به سائر الطاعات والمباحات، إذ ما من طاعة إلا وتحتل نيات كثيرة، وإنما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير، وتشمره له، وتفكره فيه، فبهذا تزكوا الأعمال وتتضاعف.

أيها المؤمنون: إن تخلص العمل حتى يتخلص لله تعالى أشد من العمل نفسه، والخوف على العمل وحفظ العمل بعد أدائه أشد من العمل نفسه، تخلص النية من فسادها أشد من طول الاجتهاد؛ لأن قطاع الطرق كثيرون، وأنت في سيرك إلى الله يخرج عليك العدو من هاهنا وهاهنا، وأنت تقاوم، وتجاهد، وتصحح، وتوجه، وتذكر نفسك. فجددوا نياتكم تصلح أحوالكم ويبارك الله لكم في طاعاتكم،

الدعاء.....

المجموعة الرابعة

خطب شهر ربيع ثاني،

وتشتمل على الخطب الآتية:

١- ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾

٢- ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ﴾

٣- أولياء الله

٤- الهاكم التكاثر

﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ﴾

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

أيها المؤمنون: إن في هذه الدنيا مصائب ورزايا، ومحنا وبلايا، آلام تضيق بها النفوس، ومزعجات تورث الخوف والجزع، فكم في الدنيا من عين باكية؟ وكم فيها من قلب حزين؟ وكم فيها من الضعفاء والمعدومين، قلوبهم تشتعل، ودموعهم تسيل؟ هذا يشكو علة وسقما، وذاك حاجة وفقرا، وآخر هما وقلقا، وآخر يشكو من ظلم أصابه، وذاك كسدت وبارت تجارته، وشاب أو فتاة يبحث عن عروس، وطالب يشكو كثرة الامتحانات والدروس، وهذا مسحور، وذاك مدين، وآخر أصابه الخوف ووسوسة الشياطين، وهذا عزيز قد ذل، و هذا غني افتقر، وهذا صحيح قد مرض، وهذا رجل يتبرم من زوجه وولده، تلك هي الدنيا، تضحك وتبكي، وتجمع وتشتت، شدة ورخاء، وسراء وضراء، وصدق الله العظيم القائل: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

أيها المسلمون: إن في تقلب الدنيا عجائب، وفي تغير الأحوال مواعظ، فقد توالى النكبات، وتكاثرت العقبات، وطغت الماديات، فتنكر كثير من الخلق لربهم، ووهنت به صلتهم، فسادت موجات القلق والاضطراب، والضعف والهوان، وعم الهلع والخوف من المستقبل، حدث ذلك عندما اعتمد الناس على الأسباب المادية البحتة تخلوا عن ربهم ونسوه ، فتخلى الله عنهم ونسيهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩] ويذكر الله عباده بفقرهم إليه ، فقال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر ١٥]، فجميع الخلق مفتقرون إلى الله في كل شؤونهم وأحوالهم، وفي كل كبيرة وصغيرة،

أيها المؤمنون: من المحزن أننا في هذا العصر، تعلق الناس بالناس، وشكا الناس إلى الناس همومهم وغمومهم، ولا بأس أن يستعان بالناس في ما يقدرون عليه، ولكن أن يكون المعتمد عليهم، والسؤال إليهم، والتعلق بهم فهذا هو الهلاك بعينه، فإن من تعلق بشي وكل إليه، نحن في هذا الزمان نعتمد على أنفسنا، وذكائنا، بكل غرور وعجب وصلف، أما أن نسأل الله العون والتوفيق، ونلج عليه بالدعاء، ونحرص على دوام الصلة بالله في كل الأشياء، وفي الشدة والرخاء، فهذا آخر ما يفكر به بعض الناس، إن من أصول الإيمان الشكوى إلى الله والتضرع واللجوء إليه، في وقت الشدة والرخاء

والخوف والأمن، والمرض والصحة، وفي كل حال وزمان، أما الشكوى إلى الناس، والنظر إلى ما في أيدي الناس فيشعرك بالضعف والذل والإهانة والتبعية.

أيها المؤمنون: يقول الله تعالى في محكم آياته وهو أصدق القائلين: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢] وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَبْجَنَّا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٦٣]

أيها المسلمون: إن الفرار إلى الله، واللجوء إليه في كل حال، وفي كل كرب وهم، هو السبيل للتخلص من ضعفنا وفقرنا، وذلنا وهواننا، وما نراه اليوم من تعلق القلوب بالمخلوقين، وبالأسباب وحدها دون اللجوء إلى الله، لهو نذير خطر، يزعزع عقيدة التوحيد في النفوس، والسؤال الذي يجب أن نتعرف على اجابته هو: إن هؤلاء المبتلين إلى من يشكون؟ وإلى من يتضرعون؟ وبمن يلوزون ويحتمون؟ والواقع المحزن يجيبنا ويقول: يشكون على بشر مثلهم، ويترددون على لفقراء والضعفاء من بني جنسهم، يسألونهم ويلحون، وفي المديح والثناء عليهم يتقلبون، وربما على السحرة والكهنة يتهافتون.

أيها المؤمنون: فنحن تألمنا شكاوي المستضعفين، وزفرات المساكين، وصرخات المنكوبين، وتدمع أعيننا لأهات المتوجعين، وأنات المظلومين، وانكسار الملذوعين، ولكن أليس إلى الله وحده المشتكى ؟ فأين الإيمان بالله ؟ وأين التوكل على الله ؟ وأين الثقة واليقين بالله ؟

وإذا عرثك بلية فأصبر لها.....صبر الكريم فإنه بك أرحم

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما.....تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

لقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون إلى الله تعالى حتى انقطاع شرك نعالهم؟، بل كانوا يسألون الله حتى الملح. فيا أصحاب الحاجات، أيها المرضى، أيها المدينون، أيها المكروب والمظلوم، أيها المعسر والمهموم، أيها الفقير والمحزون ، ويا من يبحث عن السعادة الزوجية، يا من يشكو العقم ويبحث عن الذرية، ويا من يريد التوفيق بالدراسة والوظيفة، يا كل محتاج، ويا من ضاقت عليه الأرض بما رحبت، لماذا لا نشكو إلى الله أمرنا، وهو القائل: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [٦٠] غافر: ٦٠]، فلماذا لا نرفع أكف الضراعة إلى الله ،وهو القائل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] ، ولماذا ضعف الصلة بالله، وقلة الاعتماد على الله،

وهو القائل: ﴿ قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا

﴿ الفرقان: ٧٧ ﴾ [٧٧]

أيها المؤمنون: ويا أصحاب الحاجات، ألم نقرأ في القرآن قول الحق عز وجل: ﴿ فَأَخَذْنَهُم بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ [الأنعام: ٤٢] لماذا ؟ ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنْصَرِعُونَ ﴾ ، فأين نحن من الشكوى لله، وأين نحن من الإلحاح والتضرع لله؟ سبحان الله، ألسنا بحاجة إلى ربنا؟ أنعتمد على قوتنا وحولنا؟، فلا حول لنا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والله لا شفاء إلا بيد الله، ولا كاشف للبلوى إلا الله، ولا توفيق ولا فلاح ولا سعادة ولا نجاح إلا من الله، والعجيب والغريب أيها الأخوة: أن كل مسلم يعلم ذلك، ويعترف بهذا بل ويقسم على هذا...!! فلماذا إذا تتعلق القلوب بالضعفاء العاجزين ؟ ولماذا نشكو إلى الناس ونلجأ للمخلوقين

أيها المسلمون: إن الأنبياء والرسل، وهم خير الخلق، وأحب الناس إلى الله، نزل بهم البلاء واشتد بهم الكرب، فماذا فعلوا ؟ وإلى من لجئوا ؟ إنهم يتضرعون ويدعون، رب الأرض والسماء، إنها الشكاية لله وحسن الصلة بالله، فهذا نوح عليه السلام يشكو أمره إلى الله ويلجأ لمولاه: قال تعالى: ﴿

وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الصافات: ٧٥ - ٧٦] كانت المناداة، وكانت المناجاة، فكانت الإجابة من

سميع الدعاء، قال تعالى: ﴿ فِدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾ ففَحَنَّا أَبْوَابَ السَّمَاءِ

بِمَاءٍ مِنْهُمْ ۝ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ
الْوَجِّ وَدُسِّرَ ۝ (١٣) [القمر: ١٠ - ١٣]، وهذا يونس عليه السلام، رفع الشكاية
لله فلم ينادي ولم ينادي إلا الله قال تعالى: ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضَّبًا فَظَنَّ
أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ ۝ (٨٧) [الأنبياء: ٨٧] فماذا كانت النتيجة ؟ ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآمِنِينَ ۝ (٨٨) [الأنبياء: ٨٨]، ويعقوب
عليه السلام قال: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ۝ (٨٦) [يوسف: ٨٦] انظروا لليقين، انظروا للمعرفة برب العالمين:
﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ (٨٦) ﴾ ، فاستجاب الله دعائه وشكواه ورد
عليه يوسف وأخاه، وهذا ولده يوسف عليه السلام ابتلاه الله بكيد النساء،
فلجأ إلى الله، وشكى إليه ودعاه فقال تعالى ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ
إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ (٣٣) [يوسف: ٣٣] ، إنه التضرع والدعاء، والافتقار
لرب الأرض والسماء، إنها الشكاية لله، وحسن الصلة بالله. ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ
فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ (٣٤) [يوسف: ٣٤]، وهذا أيوب
عليه السلام، ابتلاه الله بالمرض ثمانية عشر عاما حتى أن الناس ملوا زيارته
لطول المدة، فظل على صلته بربه وثقته به، ورضاه بما قسم الله له، وتوجه

إلى ربه بالشكوى ليرفع عنه الضر والبلوى قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فماذا كانت النتيجة؟، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤] وهذا زكريا عليه السلام قال الحق عز وجل عنه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] فماذا كانت النتيجة؟ قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، لماذا استجاب الله دعاءهم؟ لأنهم كانوا يسارعون في الخيرات، وكانوا لا يملون الدعاء، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [٩٠] ، وأخبر الله عن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَكَةِ مُرَدِّينَ﴾ [الأنفال: ٩] .

أيها المؤمنون: ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فقد أودى أشد الأذى، وكذب أشد التكذيب، أتهم بعرضه وخدشت كرامته، وطرد من بلده، عاشا يتيما وافتقر، ومن شدة الجوع ربط على بطنه الحجر، قيل عنه كذاب وساحر، ومجنون وشاعر، توضع العراقيل في طريقه، وسلى الجزور على ظهره، يشج رأسه، وتكسر ربايعيته، يقتل عمه، جمعوا عليه

الأحزاب وحاصروه، المشركون والمنافقون واليهود، يذهب إلى الطائف يبلغ دعوته فيقابل بالتكذيب والسب والشتم، ويطرد ويلاحق ويرمى بالحجارة فماذا فعل -بأبي هو وأمي- (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ أين ذهب، من يسأل، على من يشكو، إلى ذي الجبروت والملكوت، إلى القوي العزيز، فأعلن (صلى الله عليه وآله وسلم) الشكوى، ورفع يديه بالنجوى، دعاء وألح وبكاء، وتظلم وتألّم وشكا، لكن اسمع لفن الشكوى وإظهار العجز والضعف والافتقار منه صلى الله عليه وآله وسلم قال: " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلت حيلتي وهوان على الناس، يا أرحم الراحمين، إلى من تكلني إلى عدو يتجهمني، أم إلى قريب ملكته أمري، إن لم تكن ساخطا علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الكريم، الذي أضاءت له السماوات، وأشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن تحل علي غضبك أو تنزل علي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك" هكذا كان صلى الله عليه وآله وسلم تضرعاً ودعاءً لربه.

أيها المؤمنون: حينما نستعرض حياة الرسل جميعا، كما قصها علينا القرآن الكريم، نرى أن الابتلاء والامتحان كان مادتها، وأن الصبر وحسن الصلة بالله ودوام الالتجاء وكثرة الدعاء وحلاوة الشكوى كان قوامها، أنها صفحات من الابتلاء والصبر معروضة للبشرية، لتسجل أنه لا اعتماد إلا على الله، وأنه لا فارج لهم ،ولا كاشف للبلوى إلا الله، فلنشكو إلى الله ولنقوي الصلة

بالله: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف:

٢١] أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . اللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والايمان .ولك الحمد أن جعلتنا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

أيها المؤمنون: واعلموا أن مصيبتنا ليست بكثرة همومنا وغمومنا، وإنما هي بضعف صلاتنا وبرينا، وضعف ثقفتنا وقلة اعتمادنا عليه، فلنفتش في أنفسنا عند وقوعنا في الشدائد والمحن، أين الضراعة والشكوى لله، أين الدعاء والمنجاة لله؟ أين إظهار الفقر والعجز، والتذلل والاعتراف بقوة الله وقدرته وغناه، ونريد أن نتعلم فن الدعاء والتذلل والخضوع والبكاء، لنعترف بالفقر إليه، ولنظهر العجز والضعف بين يديه، وقد زخرت كتب السنة بأنواع من الدعاء تجعل المسلم على صلة بربه، وفي حرز من عدوه، ففي كل مناسبة دعاء، في اليقظة والمنام، والحركة والسكون، قياما وقعودا، وعلى الجنوب، ابتهاج وتضرع في كل ما أهم العبد. ومن المصائب والآلام التي يحتاج الناس فيها دعاء الله تعالى تراكم الديون، فكم من مدين عجز عن الوفاء، وكم من معسر يعيش في شقاء، هم في الليل وذل في النهار، أحزان وآلام لا يغمض في منام، ولا يهنأ في طعام، طريد للغرماء، أو مع السجناء، ومن

الأدعية في قضاء الدين ما أخرجه أبو داود في سننه بسند فيه ضعف عن أبي سعيد الخدري قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال " يا أبا أمامة ما لي أراك جالسا في المسجد في غير وقت الصلاة ". قال هموم لزممتي وديون يا رسول الله. قال " أفلا أعلمك كلاما إذا أنت قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى عنك دينك ". قال قلت بلى يا رسول الله قال: " قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ". قال ففعلت ذلك فأذهب الله عز وجل همي وقضى عني ديني . ومن المصائب والآلام التي يحتاج الناس فيها إلى الشكوى إلى الله الأمراض والأسقام، والأدعية في مواجهة ذلك كثيرة ومتنوعة، وإليك على سبيل المثال لا الحصر ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بیده رجاء بركتها، وأخرج البخاري ومسلم أيضا عن عائشة - رضى الله عنها أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أتى مريضا - أو أتى به - قال « أذهب الباس رب الناس، اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما » فيا أيها المريض: خذ بأسباب التداعي المشروعة، والتي يرشدك إليها الأطباء وأهل الاختصاص في

ذلك، أعلم أن من أعظم أسباب الشفاء التداوي بالرقى الشرعية من القرآن والأدعية النبوية، ولها أثر عجيب في شفاء المريض وزوال علته، لكنها تريد قلبا صادقا وذلا وخضوعا لله، فتوكل على الله بصدق وألح عليه بدون ملل، وأظهر ضعفك وعجزك، وحالك وفقرك إليه، وستجد النتيجة العجيبة إن شاء الله ثقة بالله. واعلموا أن الأمراض من جملة ما يبتلى الله به عباده، والله عز وجل لا يقضي شيئا إلا وفيه الخير والرحمة لعباده، وربما كان مرضك لحكمة خفيت عليك، أو خفيت على عقلك البشري الضعيف، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، ففي الصحيحين " ما من مسلم يصيبه أذى مرض فما سواه إلا حط الله له سيئاته كما تحط الشجرة ورقها " وفي الأثر أن الله ابتلى عبدا صالحا من عباده وقال لملائكته لأسمع صوته. يعني بالدعاء والإلحاح.

أيها المؤمنون: والدعاء له آداب وشروط: لا بد من تعلمها والحرص عليها، واسمع لهذا الكلام الجميل النفيس من ابن القيم رحمه الله فقد قال في كتابه الجواب الكافي: " وإذا جمع العبد مع الدعاء حضور القلب وصادف وقتا من أوقات الإجابة وخشوعا في القلب وانكسارا بين يدي الرب وذلا له وتضرعا ورقة واستقبال الداعي القبلة وكان على طهارة ورفع يديه إلى الله، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على رسول الله، ثم قدم بين يدي حاجته التوبة والاستغفار ثم دخل على الله وألح عليه في المسألة وتملقه ودعاه رغبة ورهبة وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدم بين يدي دعائه صدقة فإن

هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً، ولا سيما إذا صادف الأدعية التي أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها مظنة الإجابة، وأنها متضمنة للاسم الأعظم" ، وأسمع أيضاً لهذا الكلام الجميل النفيس لأبن رجب رحمه الله يقول: "إن المؤمن إذا استبطأ الفرج ويئس منه ولا سيما بعد كثرة الدعاء وتضرعه ولم يظهر له أثر الإجابة، رجع إلى نفسه باللائمة يقول لها إنما أتيت من قبلك، ولو كان فيك خيراً لأجبت، وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه ليس بأهل لإجابة دعائه، فلذلك يسرع إليه حين إذ إجابة الدعاء، وتقريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله، وعلى قدر الكسر يكون الجبر"، وفيما من نزلت بها نازلة، أو حلت بها كارثة. ويا من بليت بمصيبة أو بلاء، ارفع يديك إلى السماء، وأكثر من الدمع والبكاء، وألح على الله بالدعاء، وتوكل على الله وحده، وأعلن بصدق أنك عبده، واسجد لله بخشوع وقل:

أنت الملاذ إذا ما أزمة شملت.....وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل

أنت المنادى به في كل حادثة.....أنت الإله وأنت الذخر والأمل

إنا قصدناك والآمال واقعة.....عليك والكل ملهوف ومبتهل.

الدعاء.....

﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ﴾

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

عباد الله : إن إطعام الطعام والحض عليه من صالح الأعمال وأكرمها عند الله تعالى، وقد ندب إليها ديننا الإسلامي الحنيف ورهب من عدم الحض عليه أو منعه، وقد دلَّ على ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية، وحضَّ ديننا الإسلامي على المواساة بين المسلمين وإغاثة الملهوفين، وإعانة الفقراء والمساكين، وإطعام الطعام للمحتاجين بصوره المختلفة، سواءً أكان طعاماً نيئاً أم مطبوخاً، وأياً كان نوع الطعام وقدره،

وتزداد الحاجة إلى ذلك في أيام الشدائد، وكلما اشتدت الحاجة إلى إطعام الطعام كان أجره أعظم، وثوابه أكثر، وهذا باب من أبواب المنافسة في الخيرات والمسارعة إلى الطاعات والمسابقة إلى الأعمال التي يضاعف أجرها وثوابها عند رب الأرض والسموات، وإذا كان أهل الدنيا يبحثون عن المواسم التي يعظم فيها ربهم المادي، وتتمو فيها أموالهم وتجاراتهم، فطلاب الآخرة

والراجون رحمة الله وجنته أشد حرصاً على كل باب يوصلهم إلى مضاعفة أجورهم وحسناتهم من لدن رب جواد كريم.

أيها المسلمون: ثم إن من شكر النعم التي أفاء الله بها عليكم أن تحرصوا على إدخال السرور إلى الفقراء والمعوزين واليتامى والأرامل والمساكين؛ بإيصال الطعام لهم، ففي ذلك نوع من أنواع شكر المنعم - جل جلاله - على فضله وإحسانه وبالشكر وقد ورد في القرآن الكريم و السنة النبوية فضائل كثيرة لإطعام الطعام ومنها: أن إطعام الطعام من صفات الأبرار، الذين ينجيهم الله تعالى من كربات يوم القيامة قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ

يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا

۝٦ يُوفُونَ بِالْإِذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمًا عَلَىٰ حَبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا

وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا تُطْعَمُكُمُ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا

قَطَرِيرًا ۝١٠ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا

۝١٢ ﴿[الإنسان: ٥ - ١٢]، وإطعام الطعام من صفات أصحاب الميمنة

الذين يقتحمون العقبات والمكاره في الدنيا ويتلقون كتبهم بأيمانهم في الآخرة

قال تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَحُمُ الْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُ رَقَبَةً ۝١٣ أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ

ذِي مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا

بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۝١٧ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمُنْمَنَةِ ۝١٨﴾ [البلد: ١٤ - ١٨]، ومعنى

الآيات: فهلا تجاوز الإنسان مشقة الآخرة بإنفاق ماله في عتق رقاب الأرقاء، أو في إطعام يتيم من ذوي القربى، أو في إطعام الفقير المُعدم في يوم ذي مجاعة، فمن فعل ذلك من المؤمنين مخلصاً لله تعالى، فإنه من أهل الميمنة الذين سيؤتون كتبهم بإيمانهم، ويدخلون الجنة، قال الرازي رحمه الله تعالى: " واعلم أن إخراج المال في وقت القحط والضرورة أثقل على النفس، وأوجب للأجر وذلك أن النفس تبخل في وقت الشدة خوفاً من نفاد ما عندها، ولكن الأجر يعظم؛ لما في ذلك من إغاثة الملهوف، وإحياء النفوس.

وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأئمة فضائل كثيرة لإطعام الطعام ومن هذه الفضائل: أنه من خير الأعمال ومن أحبها إلى الله تعالى، ففي الحديث المتفق على صحته، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»، وفي صحيح الترغيب والترهيب عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً جاء إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: يا رسول الله! أيُّ الناس أحبُّ إلى الله؟ وأيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ فقال: "أحبُّ الناسِ إلى الله أنفعُهُم للنَّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى الله عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدْخِلُهُ على مسلمٍ، تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدَ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأنَّ أَمْشِي مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ -يعني مسجد المدينة-

شَهْرًا، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَقْضِيَهَا لَهُ؛ ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ".

ومن فضائل إطعام الطعام أنه من أسباب دخول الجنة، فقد روى الترمذي بسند حسن صحيح عن وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال أول ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه فكنت فيمن جاءه فلما تأملت وجهه واستبنته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب قال فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: "أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام"، وفي صحيح ابن حبان عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: يا رسول الله! علّمني عملاً يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ؟ قال: "أَعْتَقِ النَّسَمَةَ، وَفُكِّ الرِّقَبَةَ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ فَأُطْعِمِ الْجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا عَنْ خَيْرٍ"، وإطعام الطعام من أسباب النجاة من النار ففي الحديث المتفق على صحته عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا النار قال وأشاح ثم قال اتقوا النار ثم أعرض وأشاح ثلاثا حتى ظننا أنه ينظر إليها ثم قال اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة".

وورد التهريب من عدم إطعام الطعام، أو الحض على أو منعه: وقد جعل الله

تعالى ذلك من علامات المكذبين بالدين فقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ
بِالدِّينِ ۖ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۖ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۚ﴾ (٢)
﴿[الماعون: ١ - ٣]، وعاب على قوم لا يحضون غيرهم إن عجزوا هم
عن ذلك على إطعام المساكين فقال تعالى ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۚ وَلَا
تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۚ﴾ [الفجر: ١٧ - ١٨]، وجعل الله تعالى
ذلك من صفات أهل الشمال الذين مصيرهم الآخرة نار الجحيم فقال تعالى:
﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۚ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۚ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۚ إِنَّهُ
كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۚ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۚ﴾ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ۚ وَلَا
طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۚ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ۚ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٧] و مما وورد
فى السنة ما جاء فى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر
إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء يمنعه
ابن السبيل فيقول الله له يوم القيامة: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل
ما لم تعمل يداك.....الحديث»

عباد الله: إن المؤمن الرحيم يغتم غمًا شديدًا عندما يرى الجوع يفتك بإخوانه
المسلمين، ويرسم على وجوههم البؤس والحزن، وعلى أجسامهم العري
والذبول، فما يصبر على ذلك حتى يجود من خيره بما يستطيع، وقدوته في

ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي صحيح مسلم عن جرير رضي الله عنه - عن جرير رضي الله عنه قال: كنا في صدر النهار عند رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فجاءه قوم غرابةً مُجتابي النمار والعباء، مُتقلّدي السيوف، عامتهم من مُضر، بل كلهم من مُضر، فتمعر وجه رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما رأى ما بهم من الفاقة، فدخل، ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى، ثم خطب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: ١]، والآية التي في "الحشر": ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨﴾ [الحشر: ١٨] تصدّق رجلٌ من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُره، من صاع تمره، -حتى قال:- ولو بشِقِّ تمرّة. قال: فجاء رجل من الأنصار بصُرّةٍ كادت كُفّه تعجزُ عنها، بل قد عجزت. -قال:- ثم تتابع الناس حتى رأيتُ كَوْمَيْنِ من طعامٍ وثيابٍ، حتّى رأيت وجه رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ينهلُ كأنه مُذهبةٌ، فقال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "من سنَّ في الإسلام سنةً حسنةً، فله أجرُها وأجرُ من عمل بها من بعده، من غير أن ينقصَ من أجورهم شيءٌ، ومن سنَّ في الإسلام سنةً سيئةً كان عليه وزرها وزرُ من عمل بها من غير أن ينقصَ من أوزارهم

شيء" ، ذكر الماوردي في كتابه " أدب الدنيا والدين " أن أعرابياً أتى عمر رضي الله عنه فقال: يا عمرَ الخير جُزيتَ الجنة ... أكرسُ بُنيَّاتي وأمهنتُ وكن لنا من الزمان جُنَّة ... أقسم بالله لتفعلنَّه فقال عمر رضي الله عنه: فإن لم أفعل يكون ماذا؟ فقال: إذاً أبا حفصٍ لأذهبنَّه فقال: فإذا ذهبتَ يكون ماذا؟ فقال: يكون عن حالي لتُسالنَّه يوم تكون الأعطياتُ هنَّه وموقفُ المسئول بينهنَّه ... إما إلى نارٍ وإما جَنَّة، فبكى عمر رضي الله عنه حتى اخضلت لحيته، ثم قال: يا غلام، أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره، أما والله لا أملك غيره"، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، بعثه الله بالهدى واليقين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

عباد الله: وهذا العمل له فضل عظيم عند الله تعالى، وله آثار حسنة تعود على صاحبها في الدنيا والآخرة؛ فهو من أعظم أسباب تفريج الكربات عن الإنسان في دنياه وأخراه، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...»، وهو من أسباب النجاة من المكار والمهالك في الدنيا ؛ فقد ذكر الإمام الشوكاني في كتابه "البدر الطالع" أنه كان هناك رجل ذو دين وصدقة، فاتفق أنه بنى مسجداً يصلي فيه، وجعل يأتي ذلك المسجد كل ليلة بالسراج وبعشائه، فإن وجد في المسجد من يتصدق عليه أعطاه ذلك العشاء، وإلا أكله وصلى صلاته،

واستمر على ذلك الحال، ثم إنها اتفقت شدة ونضب ماء الآبار، وكانت له بئر، فلما قل ماؤها أخذ يحتقرها هو وأولاده، فخربت تلك البئر والرجل في أسفلها خرابًا عظيمًا، حتى إنه سقط ما حولها من الأرض إليها فأيس منه أولاده، ولم يحفروا له، وقالوا: قد صار هذا قبره، وكان ذلك الرجل عند خراب البئر في كهف فيها فوقعت إلى بابه خشبة منعت الحجارة من أن تصيبه، فأقام في ظلمة عظيمة، ثم إنه بعد ذلك جاءه السراج الذي كان يحمله إلى المسجد، وذلك الطعام الذي كان يحمله كل ليلة، وكان به يفرق ما بين الليل والنهار، واستمر له ذلك مدة ست سنين والرجل مقيم في ذلك المكان على تلك الحال، ثم إنه بدا لأولاده أن يحفروا البئر لإعادة عمارتها، فحفروها حتى انتهوا إلى أسفلها، فوجدوا أباهم حيًا، فسألوه عن حاله، فقال لهم: ذلك السراج والطعام الذي كنت أحمل إلى المسجد يأتيني على ما كنت أحمله تلك المدة، فعجبوا من ذلك فصارت قضية موعظة يتوعظ بها الناس في أسواق تلك البلاد.

فحرصوا عباد الله: على إطعام الطعام وتفقدوا أقاربكم وجيرانكم أرحماكم وأصدقائكم ومن عرفتم ومن لم تعرفوا وأفيئوا مما أفاء الله عليكم ومما تأكلون وتطعمون أهليكم، فهذه وصية نبيكم -صلى الله عليه وسلم-: ففي صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: "يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك"، وعند الطبراني يسند حسن عن أنس بن مالك رضي

الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم » ويعنى الإنسان بإكرام الضيف بتقديم أطيب ما عنده من الطعام، فهذا من الإيمان، واللقمة في في امرأتك لك بها أجر، وحضنا ديننا على إطعام المسكين، ومن أطعم صائما ففطره فله مثل أجره، وبالجمله ففي كل كبد رطبة أجر، وفي مسند أحمد بسند صححه الألباني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني أنزع في حوضي، حتى إذا ملأته لإبلي ورد علي البعير لغيري فسقيته، فهل في ذلك من أجر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ أَجْرًا»، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الصحابة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن لنا في البهائم أجرا فقال لهم صلى الله عليه وسلم " وفي كل كبد رطبة أجر " واعلموا أن ما تتفقونه من أموالكم في إطعام الطعام هو والله الباقي المدخر لكم الموفر لكم يوم القدوم على ربكم - عز وجل -، فقد روى الترمذي بسند حسن صحيح عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما بقي منها؟ قالت: ما بقي منها إلا كتفها قال: بقي كلها غير كتفها " ومعناه أنهم تصدقوا بها إلا كتفها، فما تنفقه من مالك إطعاما للفقراء والمساكين ستجده يوم القدوم على ربك أوفر ما يكون.

عباد الله: ومما تواجه به أزمة الغذاء والطعام حسن التدبير للمعيشة على المستوى العام، وعلى المستوى الخاص، على الحكومات، وعلى أفراد الشعوب، فعلى المستوى العام: أن يكون هناك استعداد غذائي ومالي تسد به الحاجات إذا طرأت، وتعالج به هذه المشكلات إذا نزلت، كما فعل نبي الله يوسف عليه السلام لما تولى خزائن مصر للعزير، فإنه لما عبر للملك رؤيا السبع البقرات السمان، والسبع السنبلات الخضر بسبع سنين مخصبات، والسبع البقر الأخرى، والسبع السنبلات اليابسات بسبع سنين مجذبات، وعرف الملك فضل عقله، وجودة رأيه، وعرف يوسف أهمية حسن التدبير الغذائي فيما سيأتي من السنوات؛ فإنه طلب من الملك أن يوليه أمر خزائن الدولة؛ ليحسن مدافعة هجوم السنوات المجذبات بحسن التدبير في السنوات المخصبات، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥ ﴾ [يوسف: ٥٥]، وقد كان تدبيره المالي: أنه زرع أرض مصر في السنوات السبع المخصبات زروعاً كثيرة، وجبى من الأطعمة شيئاً كثيراً، وأودع تلك الأغذية في مخازن أعدت لذلك، فلما جاءت السنوات السبع المجذبات صرف ذلك المخزون على الناس، وأذهب بحسن تدبيره الجوع عن الناس.

وأما التدبير الخاص فيكون على مستوى الأسرة بالتخفيف من الكماليات، والنظر إلى الضروريات، وعلى مستوى الأقارب والجيران وذلك بالاشتراك الغذائي واقتسام لقمة العيش بين الجميع وقت الأزمات والشدائد، ففي

الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أُرْمِلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ ؛ جَمَعُوا مَا كَانَ عَنْدهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ ". أيها المسلمون.

ومما تواجهه به الأزمة الغذائية: إحياء التعاون الاجتماعي بين المسلمين، فالأغنياء فتح لهم اليوم باب عظيم من أبواب البر، الذي تضاعف به الحسنات، وترفع به الدرجات، وتكفر به السيئات؛ فإن الصدقة في أيام المجاعات ليست كالصدقة في غيرها، بل لعلها-والله أعلم- أفضل منها في رمضان أيام الكفاية؛ لأن فيها إحياء لنفوس كاد الجوع أن يسوقها إلى المقابر.

فاضرب أيها الأخ المبارك لك بسهم بل بسهام في هذه الأجور الوفيرة والحسنات العظيمة فليأتين يوم يفرح فيه المنفق بإنفاقه، والمطعم بإطعامه، ويندم الشحيح على شحّه، والبخيل على بخله، ولكن لا ينفع الندم فقد فات وقت العمل ولم يبقَ إلا الحساب. الدعاء

أولياء الله

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

أيها المؤمنون: جاء في كتاب الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم أن لله سبحانه وتعالى من خلقه أولياء، ومن صحت ولايته فهو من أهل الجنة ولا ريب، والولي في لغة العرب خلاف العدو، وهو مشتق ومأخوذ من الولاء وهو الدنو والتقرب، فولي الله هو من والى الله بموافقة محبوباته والتقرب إليه بمرضاته، وهنا سؤال يجدر بكل مؤمن أن يعرف جوابه ألا وهو من هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟! وجواب ذلك جاء في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٦٢] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: "أي: يؤمنون بما يجب الإيمان به، ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه ،

والمراد بنفي الخوف عنهم: أنهم لا يخافون أبدا كما يخاف غيرهم؛ لأنهم قد قاموا بما أوجب الله عليهم، وانتهوا عن المعاصي التي نهاهم عنها، فهم على ثقة من أنفسهم، وحسن ظن بربهم، وكذلك لا يحزنون على فوت مطلب من المطالب، لأنهم يعلمون أن ذلك بقضاء الله وقدره، فيسلمون للقضاء والقدر، ويريحون قلوبهم عن الهم والكدر، فصدورهم منسرحة، وجوارحهم نشطة، وقلوبهم مسرورة، فالولاية تحتاج إلى شرطين إيمان وتقوى، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، فمن كان مؤمنا تقيا كان الله وليا، والإيمان إذا جمع مع التقوى في نص واحد يراد بالإيمان يدل على فعل الطاعات، ويراد بالتقوى ترك المنهيات، فأولياء الله حقا وصدقا هم من يفعلون المأمور ويبتعدون عن المنهيات والمحظورات.

أيها المؤمنون: ذكر الله تعالى حال أوليائه فقال عنهم: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ والآية القرآنية تذكر إن لأولياء الله البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ومن هذه البشريات لأولياء الله تعالى تكون بأشياء، منها: أولا: إعلام الولي بأن الله معه بنصره وتأييده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]. ثانيا: من البشارات للولي في الدنيا ما يراه المؤمن في النوم من الرؤى

الصالحة، أو ما يراه له غيره من الخير، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة» رواه البخاري عن أبي هريرة، وجاء في حديث آخر بيان المراد بالرؤيا الصالحة، فعند ابن ماجه بسند صحيح عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ قال: «هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له» ثالثا: ما يجريه الله عز وجل على يدي الولي من العجائب مما هو فوق قدرة البشر، كما وقع لمريم عليها السلام، وأصحاب الكهف، والغلام مع الساحر، والصبي الذي خاطب أمه في أصحاب الأخدود في قصة الأخدود إلى غير ذلك، وهذه الأمور ليست من شروط الولاية، بمعنى إذا لم يقع لا يكون وليا، فقد يقع وقد لا يقع. رابعا: تبشير الملائكة له برحمة الله تعالى عند خروج روحه وفي سكرات موته، وتبشره بأنها ستتولى أموره في دنياه وفي أخراه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣١] خامسا: إعلام الولي بما أعده الله عز وجل

له في الآخرة من النعيم والرضوان في الجنة دار المقام، كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]

أيها المؤمنون: ليست الولاية أمراً يدعيه مدع لنفسه متعاليا بذلك على عباد الله، أو طالبا بذلك شهرة مزعومة أو صيتا فانيا؛ يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]. إن الولاية أمر بين المؤمن وبين الله سبحانه وتعالى يجاهد المؤمن نفسه على تحقيقه راجيا بذلك فضل الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا فإن ولي الله حقا وصدقا لا يدعي ذلك لنفسه، بل لا يزال يرى نفسه مقصرا مذنبا مفرطا، قال الله جل وعلا في وصف عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [٦٠ - ٦١]، أي يقدمون ما يسرعون في الخيرات وهم لها سيقون ﴿[المؤمنون: ٦٠ - ٦١]، أي يقدمون ما يقدمون من طاعات وقلوبهم خائفة أن لا تتقبل منهم أعمالهم. قال عبد الله بن أبي مليكة رحمه الله: "أدركت أكثر من ثلاثين صحابيا كلهم يخاف النفاق على نفسه". ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه: "لأن استيقن أن الله تقبل مني صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها". ويقول الحسن البصري رحمه الله: "إن المؤمن جمع بين إحسان ومخافة، والمنافق جمع بين إساءة وأمن".

أيها المؤمنون: وقد ورد في مسألة والولاية حديث قدسي عظيم، جليل القدر رفيع المنزلة، قال عنه أهل العلم: إنه أجل حديث ورد في الولاية، وهو حديث رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»، ففي هذا الحديث إثبات أن الله تعالى أولياء، ومعنى قوله تعالى في هذا الحديث القدسي: «فقد آذنته بالحرب» يعني: أعلمته أنني محارب له؛ لأنه يحارب أوليائي فأنا أحاربه، وأنا خصمه، وويل لمن كان الله تعالى خصمه، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله تعالى بالمحاربة، ومن له طاقة بمحاربة ربي العزة والجلال؟

أيها المؤمنون: وفي هذا الحديث بيان أن الولاية على درجتين: الدرجة الأولى درجة المقتصدين: وهم من فعلوا الواجبات وتركوا المحرمات، وقد بينها سبحانه وتعالى بقوله «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه»، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "أفضل العبادة أداء

الفرائض، واجتناب المحارم، وذلك لأن الله عز وجل إنما افترض على عباده هذه الفرائض ليقربهم منه، ويوجب لهم رضوانه ورحمته، والدرجة الثانية ودرجة المقربين السابقين، وقد بينها جل وعلا بقوله: «وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»؛ فالسابقون من أولياء الله تعالى حافظوا على الفرائض واجتنبوا المحرمات والمنهيات، واجتهدوا في الإكثار من النوافل؛ حتى وصلوا إلى درجة محبة الله لهم وذلك في قوله: «حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه». وكل من أهل هاتين الدرجتين يدخل الجنة يوم القيامة بلا حساب ولا عذاب، ومن قصر عن هاتين الرتبتين ولم يبلغ بقصوره حد الكفر بالله جل وعلا فهو مسلم ظالم لنفسه، وهو معرض يوم القيامة لعقوبة الله جل وعلا، إلا أن العقوبة لمثل هذا إذا حصلت تكون للتمحيص والتطهير، ثم يكون مآله بعد ذلك دخول الجنات، أما المقتصدون من أولياء الله تعالى والسابقون بالخيرات فإن دخولهم إلى الجنة دخولا أوليا بدون حساب ولا عذاب، وقد جمع الله -جل شأنه- هذه الأصناف الثلاثة في قوله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ٣٢﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ

﴿[فاطر: ٣٢ - ٣٣] فقولهُ سبحانهُ وتعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿٣٣﴾ يتناول بعمومه الظالم لنفسه والمقتصد والسابق للخيرات إلا أن المقتصد والسابق بالخيرات يكون دخولهما إلى الجنة بلا حساب ولا عذاب، وأما الظالم لنفسه بالمعاصي والموبقات التي هي دون الكفر بالله جل وعلا فمآله إلى الجنة، لكنه قبل ذلك قد يمر بمرحلة تمحيص وتطهير وتنقية، فيكون دخوله للنار دخول تمحيص وليس دخول تخليد وتأبيد

أيها المؤمنون: وحتى لا تكون مسألة الولاية مجرد ادعاء يدعيه أى مدع فقد ذكر صفات من اتصف بها كان من أولياء الله تعالى ومن هذه الصفات **الصفة الأولى:** الإيمان بالله تعالى، وقد جاء ذكر هذه الصفة في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ والمراد بالإيمان الاعتراف المستلزم للقبول، ويشتمل هذا الإيمان على أمور أساسية وهى. قول باللسان واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، وقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك في حديث جبريل المشهور حينما سأله عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» راه مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه. **الصفة الثانية:** التقوى، وقد جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَكَاَنُوا يَتَّقُونَ﴾ وهى أن يجعل العبد بينه وبين عذاب الله

وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه، قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، يقول: "ما أولياء الله إلا المتقون، يعني الذين يتقون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، يقول: ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن أولياء الله المتقون". والتقوى التي اتصف بها أولياء الله تعالى تشمل على صفات قولية واعتقادية وعملية، وهي التي جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. **الصفة الثالثة:** المحافظة على العبادات والطاعات كالصلوات الخمس وصيام رمضان طاعة لله وإخراج الزكاة واجتناب الكبائر، جاء عند الحاكم بسند صحيح، ووافقه الذهبي، عن عبيد بن عمير عن أبيه أنه حدثه . وكانت له صحبة . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع: " «ألا إن أولياء الله المصلون من يقيم الصلوات الخمس التي كتبت عليه، ويصوم رمضان يحتسب صومه، يرى أنه عليه حق، ويعطى زكاة ماله يحتسبها ، ويجتنب الكبائر التي نهى الله عنها». ثم

إن رجلاً سأله فقال: يا رسول الله ما الكبائر؟ فقال: هن تسع: إشراك بالله، وقتل نفس مؤمن بغير حق، وفرار يوم الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربوا، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين المسلمين، واستحلال البيت الحرام، قبلتكم أحياء، وأمواتاً " ثم قال: " لا يموت رجل لم يعمل هؤلاء الكبائر، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة إلا كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في دار أبوابها مصاريع من ذهب. » الصفة الرابعة التحلي بالعلم الموروث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والدعوة إليه، وروى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري رحمه الله أنه تلا هذه الآية الكريمة: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]، فقال: "هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، ويروى عن الخليل بن أحمد في تهذيب الكمال أنه قال: "إن لم تكن هذه الطائفة . يعني أهل العلم . أولياء الله فليس لله ولي" وقال ابن عبد البر: "فمن الحب في الله حب أولياء الله، وهم الأنقياء العلماء الفضلاء، ومن البغض في الله بغض من حاد الله وجاهر بمعاصيه أو الحد في صفاته وكفر به وكذب رسله أو نحو هذا كله". وقال شيخ الإسلام ابن تيمية والقائمون بحفظ العلم الموروث عن رسول الله الريان الحافظون له من الزيادة والنقصان هم من أعظم أولياء الله المتقين وحزبه

المفلحين، بل لهم مزية على غيرهم من أهل الإيمان والأعمال الصالحات، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١] ' فأولياء الله هم الذين يتبعون رضاه بفعل المأمور وترك المحذور والصبر على المقدور ولزموا الصراط المستقيم وهو ما بعث الله به رسوله محمداً، وهو سبيل أولياء الله المتقين وحزب الله المفلحين وجند الله الغالبين فكل من آمن بالله ورسوله واتقى الله فهو من أولياء الله.

الصفة الخامسة: الإخلاص لله تعالى في أعمالهم: فأولياء الله تعالى يخلصون في أعمالهم لله تعالى فهم يخفون أعمالهم ولا يبرزونها للناس، بل قد لا يعرفهم الناس ولا يأبهون لهم، فعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر خرج إلى المسجد فوجد معاذاً عند قبر رسول الله يبكي فقال: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته من رسول الله قال: «اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة» رواه ابن ماجه والحاكم وقال: صحيح ولا علة له. "فمن كان مخلصاً في أعمال الدين يعملها لله كان من أولياء الله المتقين أهل النعيم المقيم، الصفة السادسة أنهم إذا رؤوا ذكر الله، عن ابن

عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله، من أولياء الله؟ قال: «الذين إذا رؤوا ذكر الله رآه البزار وصححه الألباني».

أيها المؤمنون: والولاية لله تعالى لها ثمرات، ومن هذه الثمرات: أن الله عز وجل يسدد الولي للحق والصواب، وهذا معنى قوله في الحديث: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها» فإذا وصل ولي الله تعالى إلى هذه المرتبة فإن الله تعالى يسدده في جميع حواسه، فلا ينظر إلا إلى ما يحب الله، ولا يستمع إلا إلى ما يحب الله، ولا يمشي إلا إلى ما يحب الله، وكذلك لا تبطش يده إلا في مرضاة الله؛ من جهاد، أو إزالة منكر، أو نصرة مظلوم ونحو ذلك، وكذلك لا تستمع أذنه إلا لما يحب الله تعالى، من سماع لكتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ونحو ذلك، وكذلك يتعبد الله تعالى في نظره، كأن ينظر كتاب الله تعالى والنظر في كتب العلم والفقه أو ينظر في ملكوت الله تعالى نظرة تفكر واعتبار و من أعظم ما تؤدي إليه الولاية: أن يستجيب الله دعاء وليه وهو ما جاء ذكره في قوله «ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»، وسيأتي معنا ذكر نماذج من أولياء الله تعالى الذين إذا سألوه أجابهم.

أيها المؤمنون: ومن الأخطاء التي يقع فيها كثير من الناس، أنهم يحكمون على ولاية فلان من الناس، بما يقع على يديه من خوارق العادات، وإن كان

عمله يخالف الشرع والدين وتجد عمدة كثير من الناس في اعتقادهم الولاية في شخص أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض الخوارق للعادة، مثل أن يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، أو يخبر في بعض الأوقات بشيء من الغيب، أو يخبر بعض الناس بما سرق منهم أو بحال غائب أو مريض، أو غير ذلك، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها من أولياء الله، بل قد اتفق أهل العلم على أن الرجل لو طار في الهواء ومشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعتة لرسول الله وموافقته لأمره ونهيه. قال الحافظ ابن حجر في معرض كلامه عما استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى قال رحمه الله: "وهو غلط ممن يقوله؛ فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق، وأولى ما ذكره أن يختبر حال من وقع له ذلك، فإن كان متمسكا بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته، ومن لا فلا" اهـ. ومثل هذه الأمور قد يكون صاحبها وليا لله، وقد يكون عدوا له، فإنها قد تكون لكثير من الكفار والمشركين واليهود والنصارى والمنافقين وأهل الزيغ والضلال، وتكون لهؤلاء من قبل الشياطين من باب استدراجهم للضلال، أو قد تكون من الله تعالى من باب فتنة الخلق واختبارهم،

ومما ينبغي أن يعلم أن فتنة المسيح الدجال هي فتنة خوارق العادات، فسوف يجري الله على يديه بعضا من خوارق العادات، كإحياء الموتى، وإنزال الأمطار، وإيجاده للخصب والجذب في بلد ما، وغير ذلك من خوارق العادات التي يجريها الله تعالى على يد الدجال فيدعي بها أنه الرب المعبود، فمن فتن بخوارق العادات، فقد أصابته فتنته، وكفر بعد إيمانه، وخاب وخسر، ومن لم يفتن بخوارق العادات، وعلم أنها تقع من البار والفاجر، علم أن المسيح الدجال كاذب في دعواه، فقد نجى من هذه الفتنة، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور فهو ولي الله، بل يعرف أولياء الله بصفاتهم وأحوالهم وأفعالهم التي دل عليها الكتاب والسنة كما أشرنا إلى ذلك سابق، قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي: قلت للشافعي: إن صاحبنا الليث كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة، فقال الشافعي: قصر الليث رحمه الله، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب. قلت ما سمعتم فا ستغفروا لله يافوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع إخوانه أما بعد:

أيها المؤمنون: كثير من الناس لا يستطيع أن يفرق خوارق العادات التي تقع على يد الساحر والكاهن والدجال، وبين التي تقع على أيدي أولياء الله تعالى؛ لهذا لزم تعريف الكرامة فنقول: عرف أهل العلم والكرامة فقالوا: بأنها أمر خارق للعادة، يظهره الله عز وجل على أيدي أوليائه، ليست مقرونة بدعوى النبوة، وهي ولا شك خارقة للعادة وهو إثبات وقوع الكرامات للصالحين وجواز وقوعها، لكنها لا تصل إلى درجة معجزة الأنبياء. والأولياء دون الأنبياء والمرسلين، فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم. وقد جاء ذكر جملة من الكرامات في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقعت لعدد من أولياء الله الصالحين. فمن الكرامات التي جاء ذكرها في كتاب الله تعالى، ما حصل لمريم عليها السلام، قال الله تعالى عن هذه الكرامة: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَئِي هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧] قال ابن عباس: أي ثمار

الجنة، فكانت تأتيها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، حيث كان هذا الرزق يأتيها وهي في المحراب، قال الربيع بن أنس: كان زكريا إذا خرج، أغلق عليها سبعة أبواب، فإذا دخل وجد عندها رزقا، وهذه كرامة بحد ذاتها ما أخبر الله تعالى، ومن هذه الكرامات ما حصل لسارة زوجة إبراهيم الخليل، حيث حملت وهي عقيم و كان زوجها إبراهيم الخليل في سن متأخر من عمره، قال الله عز وجل: ﴿وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ۗ﴾ (٧١) قَالَتْ يَوَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ۚ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ [هود: ٧١ - ٧٣] قال وهب ابن منبه إنها ضحكت من بشارة الملائكة لإبراهيم بالولد، وقال أهل التفسير: قال جبريل لسارة: أبشري أيتها الضاحكة بولد اسمه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فبشروها أنها تلد إسحاق، وأنها تعيش إلى أن ترى ولد الولد. فهذه المرأة سارة لا شك أنها من أولياء الله قد أكرمها الله بهذه الكرامة، وهي أنها حاضت وهي عجوز وولدت، مع أن بعلاها شيخ كبير. ومن الكرامات التي جاء ذكرها في كتاب الله تعالى ما أجراه الله تعالى على يد الرجل الصالح، والذي كان في مجلس نبي الله سليمان عليه السلام، وكان رجلا مسلما عالما من الصالحين، وكان عنده علم من الكتاب فأحضر عرش بلقيس لنبي الله سليمان عليه السلام من اليمن في طرفة قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ ۝﴾

قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ [النمل: ٤٠]

وقد قيل: إنه كاتب لسليمان وكان عابدا عالما من أولياء الله تعالى، قال ابن عباس: إنه كان يعلم اسم الله الأعظم، فسأل الله به فبصلاحه وبسؤاله أعطاه الله مطلوبه، فنقل ذلك العرش من اليمن إلى الشام بطرفة عين وهذا من الكرامات التي لذلك الرجل الصالح.

أيها المؤمنون: ومن الكرامات التي وقعت في الأمم السابقة وأخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما حصل لجريج العابد والذي اتهمه قومه بالزنا فأكرمه الله تعالى [أن أنطق الله الطفل الرضيع في مهده وأخبر القوم بأبيه الحقيقي، جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «...ان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته أمه وهو يصلي فقالت يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فأنصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت يا جريج فقال يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فأنصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت يا جريج فقال أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغي يتمثل بحسنها فقالت إن شئتم لأفتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت إليها فأتت راعيا كان يأوي إلى

صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم قالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال أين الصبي فجاءوا به فقال دعوني حتى أصلي فصلى فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من أبوك قال فلان الراعي قال فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبني لك صومعتك من ذهب قال لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا»، ومن الكرامات التي وقعت ما حصل للرجل الصالح صاحب الحديقة الذي كان يتصدق بثلاث خراجها للمساكين، فأكرمه الله تعالى بأن سخر له سحابه تسقي حديقة دو حدائق الآخرين، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «بيننا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا في سحابة اسق حديقة فلان ففتح ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ففتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له يا عبد الله ما اسمك قال فلان للاسم الذي سمع في السحابة فقال له يا عبد الله لم تسألني عن اسمي فقال إني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها قال أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلاثة وآكل أنا وعيالي ثلثا وأرد فيها ثلثه»، ومن

الكرامات التي وقعت في الأمم السابقة ما حصل للرجل صاحب الخشبة الذي استدان دين من رجل آخر فأعيتته الحيل في إيصال الدين لصاحبه، فأكرمه الله تعالى وأوصل الين لصاحبه عن طريق الخشبة التي وضع فيها المال، ففي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه «ذكر رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال انتني بالشهداء أشهدهم فقال كفى بالله شهيدا قال فأتني بالكفيل قال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال اللهم إنك تعلم أنني كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألني كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضي بك وسألني شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضي بك وأناي جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر وأناي أستودعها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطبا فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه قال

هل كنت بعثت إلي بشيء قال أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه قال فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف بالآلف الدينار راشدا» ومن الكرامات ما حصل للثلاثة أصحاب الغار، فأكرمهم الله تعالى بأن فرج عنهم الصخرة التي كانت على باب الغار، وخرجوا منه، ففي صحيح مسلم عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم فقال أحدهم اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي ولي صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بني وأنه نأى بي ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقامت عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أسقي الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء ففرج الله منها فرجة فأروا منها السماء وقال الآخر اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها فأبت حتى آتيتها بمائة دينار فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها فلما وقعت بين رجلها

قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقامت عنها فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة ففرج لهم وقال الآخر اللهم إني كنت استأجرت أجيرا بفرق أرز فلما قضى عمله قال أعطني حقي فعرضت عليه فرقه فرغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقرا ورعائها فجاءني فقال اتق الله ولا تظلمني حقي قلت اذهب إلى تلك البقر ورعائها فخذها فقال اتق الله ولا تستهزئ بي فقلت إني لا أستهزئ بك خذ ذلك البقر ورعائها فأخذه فذهب به فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي ففرج الله ما بقي فخرجوا من الغار يمشون »

أيها المؤمنون: هذا بعض ما حصل لم كان قبلنا من الأمم من كرامات، أما ما حصل من كرامات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، فقد حصل منها الكثير، فمن الكرامات المشهورة لعمر رضي الله عنه ما جاء في السلسلة الصحيحة بسند رجاله ثقات أن عمرو بن العاص رضي الله عنه، لما فتح مصر أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل، قالوا: أيها الأمير: إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها، قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كان اثنتي عشر خلون من هذا الشهر (وذكروا الشهر) عمدنا إلى جارية بكر من أبويها، فأرضينا أبويها أي: أعطيناهم المال وأرضيناهم وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل، لكي يفيض النيل،

والأ لا يفيض، فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا والنيل لا يجري قليلا ولا كثيرا، حتى هموا بالجلاء والذهاب من هذه الأرض، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب، فكتب عمر جوابا إلى عمرو بن العاص يقول فيه: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإن الإسلام يهدم ما قبله، وإني قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابي هذا، فألقها في النيل، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو أخذ البطاقة ففتحها، فإذا فيها، من عبد الله عمر ابن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد: فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك، قال: فألقى البطاقة، فلما ألقى البطاقة أصبحوا يوم السبت وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة، وقطع الله تعالى تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم، فلم يعودوا أبدا للإلقاء جارية في النيل، ومن تلك الكرامات ما حصل لأسيد بن حضير و عباد بن بشر ففي صحيح البخاري، عن أنس أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر تحدثا عند النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى ذهب من الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقلبان وبید كل منهما عصية فأضاعت عصي أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاعت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله، وفي

الصحيحين عن البراء قال كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال «تلك السكينة تنزلت للقرآن» ومن تلك الكرامات ما حصل لسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه، فمن كراماته أنه ما دعى الله دعوة الا استجاب الله له دعاءه، فعند أبي داوود بسند صحيح عن جابر بن سمرة قال : كنت قاعدا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه ناس من أهل الكوفة يشكون سعدا حتى قالوا له: إنه لا يحسن الصلاة فقال: عهدي به وهو حسن الصلاة فدعاه فأخبره فقال: أما صلاة رسول الله صلى الله عليه و سلم فقد صليت بهم أركد في الأوليين وأحذف في الآخرين فقال: ذاك الظن بك أبا إسحاق فبعث معه من يسأل عنه بالكوفة فطيف به في مساجد الكوفة فلم يقل له إلا خيرا، حتى انتهى إلى مسجد بني عبس فإذا رجل يدعى أبا سعدة فقال: اللهم إنه كان لا ينفر في السرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية قال: فغضب سعد وقال: اللهم إن كان كاذبا فأطل عمره، وشدد فقره، وأعرض عليه الفتن قال: فزعم ابن عمير أنه رآه قد سقط حاجباه على عينيه قد افتقر وافتتن فلم يجد شيئا، فيسأل كيف أنت أبا سعدة ؟ فيقول : شيخ كبير مفتون أجيبته في دعوة سعد، ومن الكرامات ما حصل لخبيب بن عدي لما وقع في الأسر، فساق الله له قطفا من عنب وهو في الأسر موثقا بالحديد، أخرج الإمام أحمد بسند صحيح

على شرط الشيخين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت... فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان قد قتل الحرث يوم بدر فمكث عندهم أسيرا حتى إذا اجمعوا قتله، استعار موسى من إحدى البنات من بني الحارث ليستحد بها فأعارته قالت فغفلت عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه قالت فأخذه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعا عرفه والموسى في يده فقال أتخشين أن أقتله ما كنت لأفعل إن شاء الله قال: وكانت تقول ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب قد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق في الحديد، وما كان الا رزقا رزقه الله إياه قال ثم خرجوا به من الحرم ليقتلوه فقال دعوني أصلي ركعتين فصلى ركعتين فقال لولا ان تروا ما بي جزعا من الموت لزدت قال وكان أول من سن الركعتين عند القتل هو ثم قال اللهم أحصهم عددا. ومن كرامات أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الثابتة قصة سفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم الذي حماه الأسد ولم يمسه بأذى، جاء في مشكاة المصابيح بسند صحيح، عن ابن المنكر أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطأ الجيش بأرض الروم، أو أسر فانطلق هاربا يلتمس الجيش فإذا هو بالأسد. فقال : يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من أمري كيت وكيت فأقبل الأسد

له بصبصة حتى قام إلى جنبه كلما سمع صوتا أهوى إليه ثم أقبل يمشي إلى جنبه حتى بلغ الجيش، ثم رجع الأسد.

عباد الله: ولا شك أن هذه الكرامات تدل على أن هناك من أولياء الله تعالى من يكرمه الله عز وجل بأن يخرق له العادة ، ويكون في هذا كرامة له في الدنيا قبل الآخرة، وعند الله لا شك أنه أبقى وأعلى، والمهم أن الإنسان يسلك سبيل الولاية، والصراط المستقيم، وهذه هي عين الكرامة.

الدعاء.....

﴿أَلْهَمَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

أيها المؤمنون: القرآن الكريم كتاب الله تعالى، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الالسنه، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من التمس الهداية فيه هداه الله، ومن التمس الهداية في غيره أضله الله، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم من استنار بنوره قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه الضياع إلى النار، قال تعالى ﴿الرَّكَتَبُ أَهْكَمْتُ أَيْنَهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١]. هذا الكتاب المبارك: اشتملت آياته على مواعظ للقلوب، وبيان حقائق الوجود، والإخبار بالمغيبات، هذا القرآن خاطب القلوب والعقول والوجدان، فما أسعد هذه الأمة بكتاب رب العالمين، وهذا الكتاب المحفوظ

بحفظ الله تعالى القائل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [٩] الحجر:

[٩] وقد بلغنا كما أنزله الله، هو بين أيدينا، وفي صدور أهل الحظ منا، و نحن المأمورون بالعمل بما فيه قال تعالى ﴿ كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [٢٩: ص: ٢٩]، فتعالوا معاشر المؤمنين والمؤمنات، نفتح كتاب ربنا تبارك وتعالى، لنتناول سورة مكية من قصار سوره المفصلة، فيها وعيد وتهديد، على التباهي بالكثرة من المال والجاه والولد. فهيا بنا نتدبر آيات هذه السورة، ونعيش مع هدي ربنا، وموعظة خالقنا، لنعيش مع هذه السور العظيمة سورة التكاثر و التي تعالج ما في النفس البشرية من حب التملك والأنانية والاستئثار على الغير، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۚ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۚ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۚ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۚ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۚ ۝٨ ﴾ [التكاثر: ١ - ٨]، والتكاثر يقع فيما يزيد على حاجة الإنسان في المال والمتاع وغيرهما، وهذا التكاثر صار من سمات هذا العصر الذي تربي فيه كثير من البشر على الأثرة والأنانية، ولسوف يقودهم ذلك نحو الهلاك والبوار في الدنيا والآخرة.

أيها المؤمنون: أعظم شيء يسترق العبد ويسلبه عقله في هذا الزمن لهو في الدنيا، وكثرة التفكير فيها، وكيفية الحصول عليها، والتزود منها، والاستمتاع بها. لهذا جاء في بداية هذه السورة المباركة ذم الله المتكاثرين من متاع الدنيا الزائل ولذاتها الفانية، قال تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ وكل من شغله وألهاه التكاثر بأمر من الأمور عن الله والدار الآخرة؛ فهو داخل في حكم هذه الآية، والله تعالى قد نبهنا إلى عدم الاغترار بالحياة الدنيا وبين لنا حقيقتها، في كثير من الآيات، قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠] وقال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُمْ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وكثيرا ما يقرن الله تعالى في كتابه الكريم بين اللهو واللعب في وصف الدنيا كما في هاتين الآيتين، وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ﴾ [محمد: ٣٦]، ومما ذكره العلماء من الفروق بين اللعب واللهو ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله حيث قال: "اللهو للقلب واللعب للجوارح، واللعب قد يكون في أمر مباح بل قد يكون في أمر معين على الجهاد وهو من الطاعة كما كان الحبشة يلعبون بالحراب في المسجد، وكذلك في ملاعبة الرجل زوجته، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لجابر بن عبد الله: «فهلا بكر تلاعبها وتلاعبك»، رواه البخاري

ومسلم، وقد تكون الملاعبة في الحرام، وتضييع الأوقات وترجيئها في معصية الله تعالى، كما هو حال أكثر الألعاب في هذا الزمان مما يشغل عن الله وذكره، ويحوي أنواعا من المحرمات كالميسر القمار وغيرهما" فاللهو أن ينشغل الإنسان بأمر تافه، ويترك الأمر المهم وأن يحرص الإنسان على الأمور الفانية، و يعرض عن الأمور الباقية الدائمة، ومن اللهو أن تترك أيها الإنسان ما خلقت من أجله وهو عبادة ربك وذكره، وأن تعيش لاهثا وراء ما خلق من أجلك، لهذا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩]، ثم بين الله تعالى في سورة أخرى حقيقة الخاسرين بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٥]، فاحذر عبد الله أن تغفل عن ذكر الله، واحذر أن تشغلك الدنيا فلا تجد وقتا للآخرة فهي الأبقى وصدق الله القائل: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦] فلا تلهك الدنيا عن الصلاة، لا تلهك الدنيا عن الإحسان لبني الإنسان، لا تلهك الدنيا عن فعل الخير، روى الإمام مسلم في صحيحه عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: "أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ: ﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فقال صلى الله عليه وسلم «يقول ابن آدم:

مالي، مالي، قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟». وفي صحيح مسلم أيضا عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "يقول العبد: مالي، مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأبقى وما سوى ذلك فهو ذاهب، وتاركه للناس". وعند أحمد يسند ضعيف عن أبي أمامة رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عرض علي ربي عز وجل لي جعل لي بطحاء مكة ذهابا فقلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو نحو ذلك فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»، وكان صلى الله عليه وسلم يحذر أمته من التكاثر من الدنيا والانهماك في حطامها الزائل، ففي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين فقالوا أجل يا رسول الله قال: «فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما

بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم»
وفي صحيح مسلم من حديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال: «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وحب المال»،
وفي الصحيحين من حديث عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف
ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب »

أيها المؤمنون: والتكاثر في الدنيا، والانشغال بها عن العمل الصالح
والحقوق والواجبات، يورث للعبد في الدنيا الشقاء والهم والغم، وفي الآخرة
يورث له الحسرة والندامة، خرج الإمام أحمد وابن ماجه بسند صحيح، من
حديث زيد بن ثابت، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من كانت الدنيا
همه، فرق الله أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأتها من الدنيا إلا ما كتب
له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته
الدنيا وهي راغمة»، وقد بين صلى الله عليه وسلم لأئمة حقيقة الحياة الدنيا
وأهم مطالب الإنسان فيها، فقد جاء عند ابن ماجه بسند حسن عن سلمة بن
عبيد الله بن محصن الأنصاري عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه و
سلم: «من أصبح منكم معافى في جسده آمنا في سربه عنده قوت يومه
فكأنما حيزت له الدنيا»، وبين لأئمة النظرة المثلى للدنيا وأهلها، فقد جاء
عند أحمد في مسنده لسند صحيح على شرط الشيخين عن أبي هريرة قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله» قال أبو معاوية عليكم، وفي صحيح ابن ماجه عن اسهل بن سعد الساعدي قال أتى النبي صلى الله عليه و سلم رجل فقال يا رسول الله دلني على عمل إذا أنا عملته أحبني الله وأحبنى الناس فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك» ويروى أن بعض الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام: يا روح الله، علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه، قال: أبغضوا الدنيا يحبك الله”

أيها المؤمنون: التكاثر في أمور الدنيا والمنافسة فيها، من أهم الأسباب التي تجعل الإنسان لا يبالي من أين يكسب المال وفيما ينفقه، فحسبه أن يتمتع بهذا المال حلالا كان أم حراما، وينسى أن الله عز وجل سيسأله عن كل نعيم تنعم به في هذه الدنيا، فالمال والتكاثر به: حلاله حساب، وحرامه عقاب، عن أبي بردة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، لهذا كان من أبرز الأشياء التي يتكاثر بها الناس في حياتهم الدنيا التكاثر في الأموال نقدا وعينا، كالعقار والمساكن والأثاث والمراكب والمزارع؛ حيث نجد التنافس

المسحور على هذه الدنيا، وسعي كل إنسان أن يكون أكثر مالا من غيره؛ وقد ذكر الله تعالى لنا في كتابه الكريم أمثلة للمتكاثرين بأموالهم في حياتهم الدنيا، فهذا قارون فقد كان من أكبر من تكاثر بأمواله وكنوزه، فقد منحه الله أموالاً وكنوزاً كالتلال، فبدلاً من أن يشكر الله قادته أمواله وكنوزه، للإعراض عن الله تعالى والكفر به، وأخذ يسعى في الأرض فساداً وجعل يتكاثر بماله الذي كان يعجز الرجال الأشداء عن حمل مفاتيح خزائنه، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ الْكُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۖ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ۖ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝٧٧﴾ [القصص: ٧٦ - ٧٧]، وقد فتن بكثرة أموال قارون ضعفاء الإيمان من قومه عندما رأوه متكاثراً ومتنعماً بأمواله، فقالوا ما حكاه الله تعالى عنه: ﴿يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٧٩﴾ [القصص: ٧٩]. فلما خسف الله به الأرض عرفوا أن النعيم والسعادة والحظ ليس في جمع المال كثرتها وإنما في طاعة الرحمن: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَاتِبُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَاتِبُ اللَّهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۝٨٢﴾ [القصص: ٨٢]، وممن تكاثر بأمواله صاحب الجنين الذي ذكره الله تعالى

في سورة الكهف، فحينما نصحه الرجل المؤمن عندما نصحه بالإيمان بالله تعالى وطاعته، فرد عليه ذلك الرجل الظالم لنفسه متفاخرا عليه، ومتكاثرا بما آتاه الله تعالى، فكفر بلقاء الله تعالى، وأنكر قدرته سبحانه وتعالى وقد ذكر الله تعالى هذه القصة في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝٣٢﴾ كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأْتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ۝٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝٣٥﴾ [الكهف: ٣٢ - ٣٥] وكانت عاقبة هذا التكاثر والتفاخر أن دمر الله جنتيه وأن أحاط كما قال تعالى: ﴿وَأُحِيط بِشَمْرِهٖ فَاصْبَحَ يُغْلِبُ كَفْيَهٗ عَلَى مَا أَفْنَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْنِي لِمَ أُشْرِكُ بِرَبِّيَ أَحَدًا ۝٤٢﴾ [الكهف: ٤٢]، وبين الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، أن من أسباب إعراض المترفين عن دعوة الرسل هو تفاخرهم وتكاثرهم بالأموال والأولاد كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ۝٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ۝٣٥﴾ [سبأ: ٣٤ - ٣٥]، إن المال في نفسه وذاته ليس مذموما، بل هو من أكبر أسباب القوة والمنعة والعزة، وقد ملك الصحابة وكثير من السلف الصالح المال، ولكن لم يشتغلوا به ولم يلهمهم عما خلقوا لأجله، بل شغلوا المال في طاعة الله وصرفوه ثمنا لجنة الله

في الآخرة، فالمال إن لم ينفع صاحبه ضره؛ كأن يجمعه من أي كسب لا يراعي حلالا ولا حراما، وينفقه في الحرام، فإنه مسئول عن اكتسابه وإنفاقه، ولن ينتفع إلا بالقليل من ماله، ثم هو لوارثه؛ فغرمه عليه وغنمه لغيره.

أيها المؤمنون: ومن التكاثر المذموم: التكاثر في الأولاد: وكثرة الأولاد ليست من علامات القبول والرضا، بل قد يكون الأولاد سببا في شقاء الوالدين وبؤسها قال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧] والأولاد من متاع هذه الدنيا ومن فتن هذه الدنيا يقول سبحانه: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٥]. وقد يكون منهم الأعداء قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن: ١٤]، والوليد بن المغيرة ممن تكاثر وافتخر بماله وولده فأعرض عن دين الله تعالى، وعن دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد آتاه الله عشرة من الأبناء، كان يحضر بهم المحافل ويتباهى بهم في المجالس، ولكنه نسي أن الذي خلقه فردا بلا ولد هو الله تعالى، قال الله تعالى في وصفه: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ۖ سَآرَهُمْ هُمْ سَعُودًا ۖ ﴾ [المدثر: ١١ - ١٧] فكفر بنعمة المال والولد، وسخر

ماله وولده لمحاربة دين الله عزوجل الله، فكان جزاؤه ما أخبر الله تعالى عنه في قوله ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا بُقْي وَلَا نَذْرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ [المدثر: ٢٦ - ٣٠] ويدخل في المكاثرة بالأولاد التكاثر بالأحساب والأنساب والتفاخر بهما، وهذا مصداقاً قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة، والنائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب».

أيها المؤمنون: ومن التكاثر المذموم: التكاثر بالاتباع: وهذا النوع منشؤه حب الشهرة والثناء والمباهاة، وكلها أمراض وآفات ومهلكات، وقد لقن الله المؤمنين درساً عظيماً في غزوة حنين عند أعجب بعض المؤمنين بكثرتهم العددية وتناسى البعض منهم أن النصر من عند الله تعالى وليس بكثرة العدد والعدة قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، فكانت تلك الكثرة وبالا على المسلمين في أول الأمر، ثم نصرهم الله تعالى بعد ذلك؛ حتى لا يكون للصحابه تعلق بهذه القضية. ومن علامات التكاثر بالاتباع، محبة الشخص

أن يجتمع حوله كثير من الأتباع، وتوقيرهم له، وخدمتهم له، فيزهوا بكثرة الأتباع ويفرح إذا عظمت الأعداد التابعة له، ويضيق ويتبرم إذا قلت الأعداد عنده، وقد كان السلف الصالح يتوقون هذه المزالق أشد التوقي، ويتحاشون الوقوع فيها. قال الحسن رحمه الله قال: "لا يغرنك كثرة من ترى حولك؛ فإنك تموت وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك". وعن سليم بن حنظلة قال: أتينا أبي بن كعب رضي الله عنه لنتحدث إليه، فلما قام قمنا ونحن نمشي خلفه، فرهقنا عمر؛ فتبعه فضربه بالدرة!! قال: فاتقاه بذراعيه. فقال: يا أمير المؤمنين ما تصنع؟! قال: أو ما ترى؟! فقال: "فتنة للمتبع؛ ومذلة للتابع". وخرج ابن مسعود من منزله فتبعه جماعة، فالتفت إليهم وقال: "علام تتبعوني؟ فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بابي ما تبعني منكم رجلان". وفي رواية قال: "ألكم حاجة؟ قالوا: لا، قال: ارجعوا؛ فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبع" وكان السلف الصالح يحاربون ذلك أشد المحاربة. قال حماد بن زيد: كنت أمشي مع أيوب السختياني، فيأخذ في طرق؛ إني لأعجب له كيف يهتدي لها فرارا من الناس أن يقال: هذا أيوب، هذا أيوب. وقال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: كنت أجلس يوم الجمعة، فإذا كثر الناس أي عليه فرحت، وإذا قلوا حزنت، فسألت بشر بن منصور، فقال: هذا مجلس سوء فلا تعد إليه، وهكذا كانوا يحذرون الكثرة من حولهم، أي: الكثرة التي تفضي إلى اغترار الإنسان.

أيها المؤمنون: ومن التكاثر المذموم التكاثر بالعلم، والعلم الذي لا يورث صاحبه خوفاً وخشية من الله تعالى، فعلم صاحبه هذا حاله، فهو ضلال وجهالة؛ لأن العلم إن لم يتبعه عمل صالح فهو حجة على صاحبه وندامة يوم القيامة. ولذلك نعى الله سبحانه على المتكثرين في العلم بلا عمل فقال سبحانه عن بني إسرائيل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥] وقد ذم رسول الله صلى الله عليه وسلم المتكثرين من العلم بلا عمل، فقد جاء في مسند الإمام أحمد بسند حسن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة». وأخب صلى الله عليه وسلم أن وأول من تسعر بهم النار يوم القيامة: قارئ القرآن وصاحب المال، والمجاهد الذين فعلوا هذه الأعمال الجليلة مكاثرة ورياء، جاء عند الترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي قال: بلى يا رب قال: فماذا عملت بما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له: كذبت

وتقول له الملائكة: كذبت ويقول الله له: بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك؛ ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع ١ عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله له: كذبت وتقول له الملائكة: كذبت ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جواد فقد قيل ذلك؛ ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله: في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله له: كذبت وتقول له الملائكة: كذبت ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك؛ يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة» .

أيها المؤمنون: ومن التكاثر المذموم: التكاثر في أمور مما ظاهره العلم كالحرص على كثرة الشهادات العلمية لنيل الجاه والشهرة؛ ولذلك فإنه ينبغي حتى لطالب العلم أن ينتبه لذلك، روى الترمذي بسند حسن صحيح، عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «ما ذُنُوبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ، بَأْفَسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» قال الإمام الزهري رحمه الله: "ما رأينا الزهد في شيء أقل منه في الرئاسة، وترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال؛ فإذا نوزع الرئاسة حامى عليها وعادى عليها، ومن لطيف ما ورد في هذا المعنى ما جاء عن حمزة الكناني رحمه الله قال: خرجت حديثا واحدا عن النبي صَلَّى

الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مائتين طريق، فداخني من ذلك من الفرح غير قليل، وأعجبت به، فرأيت ليلة من الليالي في المنام يحيى بن معين وكان من كبار المحدثين وأعلام الأمة، فقلت له: يا أبا زكريا، خرجت حديثاً واحداً عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مائتي طريق، قال: فسكت عني ساعة، ثم قال: أخشى أن يدخل هذا تحت: ﴿أَلْهَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ (١) [التكاثر: ١]. قلت ما سمعتم فاستغفروا الله يافوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع إخوانه أما بعد:

أيها المؤمنون: أما التكاثر بالأعمال الصالحة الأخروية فهو مطلوب شرعا، قال الله عز وجل: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، فليكثر الإنسان من الصدقات، وليكثر من العبادات، ومما ينبغي علينا أن نكثر من الخير، أن نكثر من الصلاة، وأن نكثر من الصيام، وأن نكثر من الصدقة، وأن نكثر من قراءة القرآن، وأن نكثر من الدعوة إلى الله، وأن نكثر من الأعمال الصالحة عموما، فإن هذه الكثرة إذا قارنها بالإخلاص ورافقها المتابعة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، صارت من أسباب النجاة يوم القيامة، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» وفي صحيح مسلم أيضا عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ويقول صلى الله عليه وسلم عن سنة الفجر عن «ركعتي الفجر أنها خير من الدنيا وما فيها»، رواه مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضى الله

عنها إذا كان هذا حال ثواب سنة فكيف بصلاة الفجر؟، وفي مسند أحمد بسند صحيح لغيره عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالبائة وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول: « تزوجوا الودود الولود اني مكاثر الأنبياء يوم القيامة»، فحثنا صلى الله عليه وسلم على تكثير النسل؛ لأن ذلك من أسباب مفاخرته بأمتة يوم القيامة، فالتكاثر المطلوب هو التكاثر في طاعة الله تعالى وهذا هو السلطان سلطان العبودية لله والتذلل بين يديه، يقول إبراهيم بن أدهم عليه رحمة الله: والله إنا لفي نعيم وفي سعادة وفي لذة لو علم بها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف. ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ ، أي حتى متم وحملتكم إلى المقابر، وعبر سبحانه وتعالى عن دخول القبر بالقبر بالزيارة؛ لأن القبر محل مؤقت، ينزل فيه الإنسان ضيفا على أمه الأرض ثم يرحل إما إلى جنة أو إلى نار كما قال تعالى ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (٥٥) [طه: ٥٥] والقبر ينادي كل يوم أنا بيت الوحدة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود، فاجعل لك يا ابن آدم في مؤنسا، اقرأ كتاب الله فهو نورك وأنيستك في قبرك، نور بصلاة الليل وافرشه بعمل صالح، ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ أي ستعلمون حقيقة وجودكم، ستعلمون قيمة الحياة، ستعلمون قيمة الوقت، سيعلم من ضيع الصلاة قيمتها وفضلها، وسيعلم من ظلم ومن اعتدى عاقبة ظلمه واعتدائه، ويتمنى العودة للعالم كما قال تعالى:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا ۚ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] كلا يا ابن آدم انتهت الحياة، وانقضت المهلة، وفرعون ممن علم هذه الحقيقة عند الموت، وحاول الإيمان في لحظات عمره الأخيرة، لكن بعد فوات الأوان كما حكى الله تعالى عنه أنه قال في لحظاته الأخيرة: ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ ۚ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَآنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۚ ۞ ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۚ ۞ ﴾ [يونس: ٩٠ - ٩٢] آمن وهو يغرق، استقام وهو يموت، فجاءه الرد من خالق الخلق قائلاً له: ﴿ ءَاكُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۚ ۞ ﴾، علم حقيقة ما كان عليه في دنياه، والروح قد بلغت الحلقوم، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۚ ۞ ﴾ [النساء: ١٨] والتوبة تكون مقبولة إذا كانت في زمن الإمهال، وفي وقت لم تبلغ فيه الروح الحلقوم قال تعالى ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ۚ ۞ ﴾

حَكِيمًا ﴿١٧﴾ [النساء: ١٧] ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ
الْيَقِينِ﴾ وعلم اليقين هو علم من غير شك فيعلم الإنسان علم اليقين أن
الذي جاء به محمد حق و أن الجنة حق و أن النار حق وأن الصراط حق
وأن الساعة وهو يراها حق، ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾
ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ ويصف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حال النار
التي سيرها الناس يوم القيامة، «يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف
زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»، رواه مسلم فما ظنكم بنار
لها سبعون ألف زمام يجرها مع كل زمام سبعون ألف ملك، ما ظنكم بنار
سأل عنها حبيبنا صلى الله عليه وسلم. جبريل عليه السلام.. فقال يا جبريل
صف لي النار وانعت لي جهنم فقال: «إن الله أمر بجهنم فأوقد عليها ألف
عام حتى ابيضت ثم أمر فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أمر فأوقد
عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفأ
لهيبها والذي بعثك بالحق لو أن قدر إبرة فتح من جهنم لمات من في
الأرض كلهم جميعا» رواه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عندها يسأل
الإنسان عن نعم الله عليه في الدنيا، وذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ
عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ نعم سيسأل الإنسان عن كل نعمة أنعم الله بها عليه نعمة
العقل نعمة البصر نعمة السمع، نعمة الصحة، نعمة الحركة، نعمة الزوجة،

نعمة الأولاد نعمة المال، نعمة الهناء، نعم و نعم لا تعد و لا تحصى، سيسأل الإنسان عن كل ذلك و لكيس من أعد للسؤال جوابا وللجواب صواب، يختم الله سبحانه وتعالى هذه السورة العظيمة بقوله: ﴿ ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨] وكل ما أنعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان فهو نعيم، ونعم الله سبحانه وتعالى على عباده لا تحصى، وقد جاء في سبب نزول هذه الآية العظيمة كما في الصحيحين أن الرسول تلمس ذات يوم طعاما في بيته فلم يجد طعاما، فخرج من بيته وهو جائع وإذا به يجد في طريقه أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب فيسألهم الرسول عن سبب خروجهما من البيت، فيقولان: والله يا رسول الله ما أخرجنا إلا الجوع، فيقول لهم الرسول: «اذهبوا بنا إلى فلان من الأنصار علنا أن نجد عنده طعاما»، فلما وصلا إلى بيت الأنصاري ورآهم كبر من الفرح وقال: والله ما أحد أحسن مني ضيفا اليوم، فذبح لهم شاة وأكلوا وشربوا وشبعوا، فلما شبع قال: «والله لتسألن يومئذ عن النعيم». فصلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، شبع مرة واحدة في أشهر طويلة، ومع ذلك يتحرى السؤال من الله عز وجل ونحن نشبع مرات في اليوم واللييلة، ومع ذلك نتسخط على نعم الله عز وجل، فنسأل الله تعالى أن لا يحرمننا خير ما عنده بشر ما عندنا، ونسأله جل وعلا أن لا يعاملنا بما نحن أهله وأن يعاملنا بما هو أهله، فهو أهل التقوى وأهل المغفرة. وعن ابن عباس قال: «النعيم صحة الأبدان والأسماع

والأبصار، يسأل الله العبيد فيم استعملوها، وهو أعلم بذلك منهم، وذلك قوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) [الإسراء: ٣٦] وقال سعيد بن جبير: "يسألون عن الصحة والفراغ والمال" فمن أدى حق الله في النعم، وشكر المنعم، واستعملها في مرضيه ومحابه، فقد نجا وفاز، ومن لم يشكر النعم، وكفر بالمنعم، عذب على الجحود، فالواجب على العبد أن يشكر هذه النعم، وشكر النعم يكون بثلاثة أمور: باللسان والقلب والجوارح، فاللسان يلهج بالشكر والثناء على الله بهذه النعم، والقلب يعترف ويقر بأن هذه النعم من عند الله، والجوارح تستمر في طاعة الله عز وجل شكرا لله.

أيها المؤمنون: وهذا النعيم الذي سيسأل عنه العباد هو كل نعيم حسي ومعنوي يناله العبد، ونعم الله تعالى على عباده لا تحصى، وكلما كثرت النعم كثرت السؤال، وليست النعم التي يسأل عنها العباد يوم القيامة محصورة في النعم المادية المحسوسة، بل حتى النعم المعنوية من الأمن في الأوطان، راحة البال، وانسراح الصدر، وعافية الجسد، والأنس بالأهل والولد والصحب، كلها وغيرها نعم يسأل عنها العباد ضمن ما يسألون عنه من النعيم يوم القيامة. فأكثرُوا من أعمال الآخرة، وتقللُوا من الدنيا، وابتعدُوا عن المكاثرة بها حتى تكون النجاة يوم القيامة.

الدعاء

المجموعة الخامسة

خطب شهر جمادى الأول،

وتشتمل على الخطب الآتية:

١- رفقا بالقوارير

٢- صلاة الفجر

٣- ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾

٤. ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾

رفقا بالقوارير

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. أما بعد:

أيها المؤمنون: كانت المرأة في الجاهلية مهانة في قومها، حتى إنهم كانوا عندما يرزقون البنات يقومون بوأدهن، وليس ذلك إلا تحقيرا من شأنها، وخوفا من أن يلحقهم العار والفقر بسببها، و كانت تشتري وتباع كالمتاع، وكانت تورث ولا ترث، وكانت تُمْتَلِك ولا تَمْلِك، وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن الرجل، وكانوا يرون للزوج الحق في التصرف بمالها من دونها، وكانت تكره على الزواج وعلى البغاء، وكانوا يعاملونها كأنها سلعة للمتعة وقضاء الشهوة فقط، روى البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته: "أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبدا حتى يتبين حملها

من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر، يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر ليل بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتكم الذي كان من أمركم، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحببت باسمه فيلحق به ولدها، ولا يستطيع أن يمتنع عنه الرجل، والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثيرون فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها وهن البغايا، كن ينصبن على أبوابهن الرايات تكون علما، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها، جمعوا لها ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطته به، ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم". وهذا من إكرام الإسلام للمرأة، أن جعل النكاح، والزواج بصورته الحالية، هو السبيل الوحيد لصون عفتهم من أي عبث، أو إكراههم على أفعال تحط من قدرها. عباد الله: أنقذ الله المرأة بالإسلام فقد جاء ليصون حقوقها، ويضعها في المكانة اللائقة بها، ففي خطبة الوداع، التي تعد الوثيقة الأهم في تاريخ الإسلام، والتي اشتملت على جملة من المعاني والأخلاق الإنسانية العظيمة التي أرسى النبي صلى الله عليه وسلم قواعدها لتكون الأساس الذي يقوم

عليه المجتمع المسلم، خص فيها المرأة بقدر كبير من الاهتمام، وقرر لها الكثير من الحقوق والواجبات، فعند ابن ماجة بسند حسن عن سليمان بن عمرو بن الأحوص حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال: "استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان، ليس تملكون منهن شيئا غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا، إن لكم من نساءكم حقا ولنساءكم عليكم حقا، فأما حقكم على نساءكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن" ولم يكن النبي ليوصي بتلك الحقوق للمرأة إلا لعظم دورها، فهي نصف المجتمع وأم للنصف الآخر، وإذا صلحت المرأة صالح سائر المجتمع، فهي الركن الركين الذي يركز عليه المجتمع المسلم، ليست شيئا هامشيا، بل مرتكزا أساسيا، لا غنى عنه أبدا.

عباد الله: جاءت الشريعة الإسلامية العادلة الكاملة، ورغبت في تربية البنات، أعظم ترغيب، ففي صحيح البخاري عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت جاءتني امرأة ومعهما ابنتان لها فسألته فلم تجد عندي شيئا غير تمر واحدة فأعطيتها إياها فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئا ثم قامت فخرجت وابنتاها فدخل علي النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته

حديثها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار" وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عال جارتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه، وعند أبي داود بسند حسن لغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن وأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة" كما رغب الإسلام الإنسان في الإنفاق على أهله وعياله وبناته، حتى صار مقدما على الإنفاق في سبيل الله، وفي سائر وجوه البر والطاعة، على عكس أهل الجاهلية الذين كانوا يقتلوا البنات خشية الفقر والعار، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار صدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك"، فانقلب التشاؤم والنفور، من إعالة البنات والأخوات، إلى تفاؤل، واستبشار، وسرور، ولم يزل الإسلام يوصي بهن في كل حال، أمهات وبنات وزوجات وأخوات، حتى جعل صحبة الأم وبرها، مقدما على صحبة الأب و بره، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رجل يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أذنالك أذنالك" وعند أبي داود بسند صحيح عن أنس

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إنما النساء شقائق الرجال "

عباد الله: وقد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل في الأوامر والنواهي، وفي الثواب والعقاب المترتب على ذلك في الدنيا والآخرة قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]، وساوى بينهما في الجزاء وفي الأجر، دون تمييز للرجل على المرأة، أو تقليل لما تقوم بها، فالعمل الصالح يقبل من الذكر والأنثى على حد سواء، بين الرجال والنساء اتفاق في عموم التكاليف الشرعية، في العقائد، والعبادات، والمعاملات، والحدود، والأوامر والنواهي، وفي الثواب والعقاب المترتب على ذلك في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٥] وساوى الإسلام بين الرجال والنساء في الخطاب، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى قوله تعالى: ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فهذه النصوص ونحوها، تدل على الاتفاق في الأحكام العامة والتكاليف الشرعية بين الرجال والنساء .

أيها المؤمنون: وبلغ من تقدير النبي للمرأة، أنه وصفها بـ "القوارير"، ومعلوم أن القارورة تصنع من الزجاج، ولا بد من التعامل معها برفق ولين، وإلا فإن التعامل العنيف يؤدي إلى كسرها، وليس هناك أكثر ما يكسر المرأة من الكلمة الجارحة، والإهانات المتكررة، وعدم تقديرها كإنسانة ذات مشاعر، وربما أبكتها الكلمة، وأسعدتها ابتسامه، ففي الصحيحين عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى على أزواجه وسواق يسوق بهن يقال له أنجشة فقال: "ويحك يا أنجشة رويدا سوقك بالقوارير" وكان يقصد الصحابيات اللاتي يركبن الجمال، فقد كان أنجشة حادي، أي يقود الإبل بصوت جميل وكلمات شعرية "كأنه يغنى" فكانت الإبل تسرع وتهتز طربا عند سماعها هذا الحداء، فخشي عليهن من إسراع الأبل بهن، وهذا من أروع التشبيهات البلاغية، قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث إن النبي شبه النساء بالقوارير لرقتهن ولطافتهن مما يستدعي مراعاة ذلك في التعامل معهن. وأنجشة هو صحابي جليل، فاز بشرف الحداء والتغني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكان يحدو لخير خلق الله ومن معه، رضي الله عنهم أجمعين، ومن عجيب أثر الصوت الحسن على الحيوان أن النوق كانت تطرب لسماع حوائه طربا يجعلها تحت السير، وتقطع المسافات الطوال، دون أن تحس بالتعب والإرهاق، فتمشي مشيا حثيثا يجعلها تهتز هذا شديدا، وقال أبو عمر في الاستيعاب "أنجشة" هو ذلك العبد الأسود الذي كان يسوق

أو يقود بنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فالمرأة تتسم بالرقّة وطبيعة تركيبتها الإنسانية تتسم بالضعف في كل شيء، فلزم لهن معاملة خاصة تراعي ذلك، تحترم مشاعرها، وتتعامل بها برقي وإحسان، فلا جرح لمشاعرها بالكلمة، ولا اعتداء عليها باللفظ أو الضرب، معاملة هينة لينّة، فإن أكثر من يستميل قلب المرأة هو تقديرها، وإظهار الحب لها.

أيها المؤمنون: وجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم معيار الخيرية في الأزواج قائما على حسن معاملتهم لزوجاتهم، جاء عند الترمذي بسند صحيح عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"، ودعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفق في الأمر كله، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه" وما ضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحدا من خدمه ولا من زوجاته، ففي صحيح مسلم - أيضا - عن عائشة قالت: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل" فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الأسوة الحسنة الذي يجب على الأزواج أن يقتدوا بسيرته الكريمة العطرة في معاملته لزوجاته وفي سائر معاملاته، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١]
[، قلت ما سمعتم فا ستغفروا لله يا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أما بعد:

عباد الله: لا يستطيع الرجل أن يعيش وحده في الحياة، إذ لا غنى له بحال عن المرأة، فكل شيء في الحياة يحتاج إلى ما يقابله، قال تعالى ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩] . ولكي تستمر دورة الحياة، وإعمار الكون، شرع الله زواج الرجل من المرأة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ عَائِلَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١] ، فالمرأة هي السكن الذي يستقر إليه الرجل ويستريح من معاناة الحياة وكبدها، ولن تكون هناك سعادة بين الزوجين إذا لم تقم الحياة بينهما على المودة والرحمة فإذا تزجت المرأة برجل فمن رفق الإسلام بالمرأة أن أوجب الإسلام لها حقوقا على زوجها او من هذه الحقوق حسن عشرتها وطيب معاملتها: فيجب على الزوج إحسان معاملة زوجته من إكرامها والرفق بها والتلطف في معاملتها، وهذا يؤدي إلى

تأليف قلوبهما، قال تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]، جاء عند الترمذي بسند صححه الألباني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي"

أيها المؤمنون: لو اكتشف أحدنا أن زوجته تشك في بعض تصرفاته وربما تلصقت على أقواله أو أفعاله أو تبعت خطواته هنا أو هناك، يدفعها إلى ذلك الريبة وسوء الظن، ماذا سيصنع بها زوجها؟ وما موقفه من هذه الأنثى الضعيفة التي تجرح كبريائه بشكها، وتهدد قوامته برصدها ومتابعتها؟ أيلطمها ويسبها؟ أم يتفوه بطلاقها؟ أم يبادلها الشك والريبة ويضع تصرفاتها تحت مجهره وبين عينيهِ؟ ربما فعل أحدنا ذلك كله أو بعضه، ولكن دعونا نعرض ذلك على محمد ابن عبد الله وننظر كيف تُلطف في معاملته لأهله وأحسن إليهن، ففي صحيح مسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قائلة: ألا أحدثكم عن النبي وعني؟ قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه، فوضعهما عند رجله وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويدا وانتعل رويدا، وفتح الباب فخرج ثم أجافه . أي أغلقه . رويدا، فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع، فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرع فهرول فهرولت، فأحضر فأحضرت . أي أسرعت أشد من

الهرولة . فسبقته، فدخلت فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال: "ما لك يا عائش حشيا رابية؟" . أي مالك ونفسك مرتفع من أثر الهرولة وأنت نائمة؟! . قالت: قلت: لا شيء قال: "لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير" قالت: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته، قال: "فأنت السواد الذي رأيت أمامي؟" قلت: نعم، فلهمني في صدري لهداة أوجعتني ثم قال: "أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله" قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله . ولم يكتف بهذا بل بين لها السبب الذي دعاه إلى ما صنع بكل أريحية وسعة صدر وفي آخر الليل ..ال: "فإن جبريل أتاني حين رأيت، فناداني فأخفاه منك فأجبتة فأخفيته منك ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت، فكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم"

ومن حقوق النساء على الرجال كسوتهن والإنفاق عليهن عند الولادة، بعكس المرأة، في القانون الغربي، ملزمة بالإنفاق على نفسها، كالرجل على حد سواء، ولا يوجد قانون يفرض على الرجل الإنفاق عليها، بخلاف المرأة في التشريع الإسلامي، فإن على أوليائها فرض النفقة عليها، فإن فقدوا، أو عجزوا، فرض لها من بيت المال ما يسد حاجتها قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣] كما أنه حرم على معشر الرجال أن يرثوا النساء بالإكراه أو أخذ المهور المقدمة لهن، أو

ممتلكاتها عنوة، فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]. ومن حقوقها: أن يعلمها أمور دينها، ويحثها على الطاعة، قال الله -تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦] ، والمعنى: تنهون أهليكم عما نهاكم الله عنه، وتأمرهم بما أمركم الله به، فيكون ذلك وقاية بينهم وبين النار. ومن حقوق الزوجة على زوجها التلطف بالزوجة وملاعبتها وتقديرها: فيجب على الزوج أن يتلطف مع زوجته، وليكن له في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة في ذلك، ففي الحديث المتفق على صحته عن عائشة رضي الله عنها قالت: "والله لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بحرابهم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن حريصة على اللهو".

ومن حقوق الزوجة: أن يغض الطرف عن بعض أخطائها ما لم يكن فيه إخلال بشرع الله: وهذا لا يكون إلا من خلال الموازنة بين حسناتها وسيئاتها، فإن رأى منها ما يكره؛ فإنه يتذكر ما يعجبه ويحببه من صفاتها، وأما أن

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

الزوج يتعامى عن محاسن زوجته ويغفل عنها، ثم هو لا يرى إلا تقصيرها وصفاتها السيئة فليس هذا من المعاشرة بالمعروف، وهو نفسه فيه عيوب وتقصير. ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر " ومن حقوق الزوجة على زوجها: أن يظهر أمامها بالمظهر الحسن، فيكون طيبا في رائحته وهيئته، وفي كلامه وأفعاله، وأما ما يفعله بعض الأزواج حيث يأتي من خارج المنزل وربما كان يعمل طول النهار وقد علاه العرق وظهرت منه الروائح الكريهة، ثم يريد مضاجعة زوجته، فليس هذا من حقوق الزوجة، ولذلك فينبغي للزوج أن يتهيا لزوجته بالاغتسال والتنظيف في بدنه وثيابه ويستعمل ما يزيل الرائحة من فمه كالسواك أو الفرشاة والمعجون، وأن يستعمل الطيب، وكما أن الزوج يحب أن يجد من زوجته الرائحة الطيبة والمظهر الحسن فكذاك لتجد ذلك منه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي لأن الله -تعالى- يقول: ﴿وَهُنَّ مُثَلُّوْنَ عَلَىٰ هُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. إن علينا أن نهتم بهذا الموضوع الاهتمام اللائق لأن به بإذن الله صلاح الأسرة التي هي نواة صلاح المجتمع الإسلامي وبها تستقيم حياة الرجل وزوجته وأولاده،

الدعاء.....

صلاة الفجر

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

أيها المؤمنون: مما لا يخفى أن الصلاة عمود الدين؛ وهي الركن الثاني للإسلام بعد الشهادتين، وهي صلة العبد برب العالمين، فرضها الله من فوق سبع سموات على النبي بغير واسطة؛ وذلك لأهميتها وعظيم مكانتها، وجعلها الله تعالى قرينة الإيمان في مواضع كثيرة من القرآن العظيم، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، بل سماها إيمانا، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم. وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته؛ فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر» رواه النسائي والترمذي وصححه الألباني. وقد وعد النبي

صلى الله عليه وسلم من حافظ عليها بالجنة عهدا من رب العالمين، فعن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة» رواه أحمد والنسائي وصححه ابن حبان والألباني، ولقد حافظ المسلمون على هذه الصلاة طوال تاريخهم الإسلامي المجيد، حتى جاء عصرنا الحاضر فتهاون بها كثير من أبناء المسلمين بها، واختلفت أحوالهم في التهاون والتضييع لها، فهم بين مضيع لها بالكلية، ومضيع لأركانها وواجباتها، ومضيع لأوقاتها، ومضيع لجماعتها في المساجد حيث ينادى بها.

أيها المؤمنون: وليكن حديثنا هذا اليوم مع المضيعين لصلاة الفجر والمتهاونين بها،

ذلك انه من الظواهر الملفتة التخلف عن صلاة الفجر في المسجد مع الجماعة، وقضاءها بعد فوات وقتها، فكيف يهنا المسلم بالنوم والناس في المساجد مع صلاة الفجر يعيشون، وإلى لذيذ خطاب الله يستمعون؟! فلماذا يحرم المسلم نفسه بركات الفجر المنتزلة وخيراته المتواترة؟! ، إن صلاة الفجر تشكو من قلة المصلين فيها، مع أنها صلاة مباركة مشهودة، أقسم الله بوقتها فقال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١-٢]، وقد سمي الله هذه الصلاة العظيمة: قرآن الفجر، فقال سبحانه: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ

الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾

[الإسراء: ٧٨] ففي هذه الآية الكريمة، يأمر الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه من المؤمنين بإقامة الصلاة والمعنى: أي حافظوا على أداء الصلوات في أوقاتها، ثم قال تعالى: ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي غروب الشمس، وقبل زوالها، فتكون هي صلاة الظهر وما بعدها، وقوله تعالى: ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ أي إذا أقبل الليل بظلمته، وفيه صلاة المغرب والعشاء، ثم قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ أي حافظ على صلاة الفجر ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ﴿٧٨﴾ ، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: "يعني صلاة الفجر". وسميت صلاة الفجر ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ لأن الصلاة لا تصح إلا بقراءة القرآن، وهذا من تسمية الشيء باسم جزئه كتسمية الصلاة ركوعا وسجودا، روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي قال: «فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح»، يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ﴿٧٨﴾. فصلاة الفجر مجتمعا للملائكة ومحفلا من محافل الخير والطاعة والعبادة، تشهدها ملائكة الليل والنهار، ويشهدها الصالحون من عباد الله، وذلك فيه تنويه بشأن صلاة الفجر ومنزلتها بين الصلوات، وفي الصحيحين أن النبي قال: «يتعاقبون

فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بكم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون». يا له من تقرير مشرف يُرفع عنك لملك الملوك يا من تصلي الفجر في جماعة في مسجد من مساجد الله، نعم وسيرفع اسمك إلى الملك جل وعلا، ويكفيك هذا فخرا وشرفا حتى تحافظ على صلاة الفجر في جماعة.

أيها المؤمنون: إن لصلاة الفجر فضائل كثيرة ومن هذه الفضائل:

. **الفضيلة الأولى:** من صلى الفجر في جماعة فكأنما صلى الليل كله، جاء في صحيح مسلم عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله»، وروى مالك بسند صحيح أن عمر بن الخطاب فقد سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح، فمر على الشفاء أم سليمان فقال لها: لم أر سليمان في الصبح! فقالت: إنه بات يصلي فغلبته عيناه، فقال عمر: لأن أشهد صلاة الصبح في جماعة أحب إلي من أن أقوم ليلة. **الفضيلة الثانية:** أن من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله وحفظه، فما ظنكم بمن كان في جوار الله تعالى؟! وأنتم ترون الناس يطمئنون ويأمنون أشد الأمن حين يكون أحدهم في جوار عظيم من عظماء الدنيا، فإن كان في جوار الله لهو أشد

أمانا وأعظم اطمئنانا، ففي صحيح مسلم من حديث جندب بن عبد الله أن النبي قال: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء، فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم». نعم؛ إنها ذمة الله، ليست ذمة ملك من ملوك الدنيا، إنها ذمة ملك الملوك ورب الأرباب وخالق الأرض والسموات، ومن فيهن ذمة الله التي تحيط بالمؤمن بالحماية له في نفسه وولده ودينه وسائر أمره، فيحس بالطمأنينة في كنف الله وعهده وأمانه في الدنيا والآخرة، ويشعر أن عين الله ترعاه. **الفصل الثالثة:** أن من صلى الفجر في جماعة أصبح طيب النفس نشيطاً؛ فيبارك الله له في يومه ورزقه، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام بكل عقدة يضرب عليك ليلاً طويلاً، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت عقدتان، فإذا صلى انحلت العقد فأصبح نشيطاً طيب النفس». هذا فضل المحافظة على صلاة الفجر، وزد على ذلك أن الوقت وقت بركة في الرزق، فعند الترمذي بسند حسن عن صخر الغامدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها». وكان إذا بعث سرية أو جيشاً؛ بعثهم من أول النهار. وكان صخر رجلاً تاجراً، فكان يبعث تجارته من أول النهار، فأثرى وكثر ماله. وقد رأى ابن عباس ابناً له نائماً نوم الصبح فقال له: قم،

أَتَنَامُ فِي السَّاعَةِ الَّتِي تَقْسَمُ فِيهَا الْأَرْزَاقُ؟"، قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: وَنَوْمَةُ الصَّبْحِ تَمْنَعُ الرِّزْقَ؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ تَقْسَمِ فِيهِ الْأَرْزَاقُ. **الفضيلة الرابعة:** صلاة الفجر نور لصاحبها يوم القيامة، فعن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله: «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه ابن ماجه بسند حسن، وعند الطبراني بإسناد حسن عن أبي الدرداء عن النبي قال: «مَنْ مَشَى فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِنُورِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ». فهنيئاً ثم هنيئاً لأهل صلاة الفجر، الذين ما إن سمعوا النداء يدوي: "الصلاة خير من النوم"، إلا هبوا وفزعوا وإن طاب المنام، وتركوا الفراش وإن كان وثيراً؛ ملبيين النداء. نعم يخرج الواحد منهم إلى بيت من بيوت الله -تعالى- مقتدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان إذا خرج لصلاة الفجر قال هذا الدعاء حين «اللهم اجعل في قلبي نورا واجعل في لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل خلفي نورا وأمامي نورا واجعل من فوقني نورا ومن تحتي نورا اللهم وأعظم لي نورا»، أخرجه مسلم، والنور يوم القيامة للناس على قدر السير في الظلم للصلاة في المساجد، فمن كثر سيره في ظلام الليل إلى لصلاة الفجر أو العشاء، عظم نوره وعم ضياؤه يوم القيامة، جاء عند الطبراني بسند صحيح الحاكم والألباني. "عن مسروق عن عبد الله قال: «يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " إِلَى أَنْ يَقُولَ : " فَيُعْطُونَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ وَمِنْهُمْ مَنْ

يعطى نوره فوق ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه حتى يكون آخر من يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ مرة إذا أضاء قدم قدمه وإذا طفى قام قال : فيمر ويمرون على الصراط والصراط كحد السيف دحض مزلة فيقال لهم : امضوا على قدر نوركم فمنهم من يمر كانهض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كشد الرجل يرمل رملا فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه تخر يد وتعلق يد فيخلصون فإذا خلصوا قالوا : الحمد لله الذي نجانا منك بعد ما أراناك لقد أعطانا الله ما لم يعط أحد " قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

﴿١٢﴾ [الحديد: ١٢]. الفضيلة الرابعة: صلاة الفجر ضمان لدول الجنة، ففي البخاري ومسلم عن أبي موسى أن رسول الله قال: «من صلى البردين دخل الجنة»، والبردان هما الصبح والعصر. وهل يعمل المسلم في هذه الدنيا الأعمال الصالحة وهدفه من ذلك رضوان الله تعالى ثم الجنة، فليحرص على أداء صلاة الفجر في المسجد مع جماعة المسلمين؛ لينال هذا الضمان من النبي صلى الله عليه وسلم بدخول الجنة. الفضيلة الخامسة: صلاة الفجر حاجز عن النار، النجاة من سخط الله تعالى وعذابه في النار أعظم أمنيات المسلم الصادق مع ربه، ومن الطرق الموصلة لذلك محافظته على

صلاة الفجر، روى مسلم في صحيحة عن أبي زهير عمارة بن ربيعة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» يعني: الفجر والعصر. الفضيلة السادسة: ومن صلى الفجر في جماعة فهو مؤهل لرؤية الله في الآخرة؛ ففي الحديث المتفق على صحته عن جرير رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة، يعني البدر، فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] .

أيها المؤمنون: وقد بلغ من منزلة صلاة الفجر أن بين النبي صلى الله عليه وسلم فضلها، وبين أنها خير من الدنيا وما فيها، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها». الله أكبر! إذا كانت سنة الفجر خيراً من الدنيا وما فيها، فكيف بأجر الفريضة؟، ووصفها أنها صلاة الأبرار الذينهم وفد الرحمن في وقت الفجر، فعند الطبراني بإسناد حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توضأ ثم أتى المسجد فصلى ركعتين قبل الفجر ثم جلس حتى يصلي الفجر كتبت صلاته يومئذ في صلاة الأبرار، وكتب في وفد الرحمن» لهذا خص رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

وسلم سنتها القبلية بالمحافظة عليها حضرا وسفرا دون سائر الرواتب، وذلك لفضيلتها وما فيها من الأجر والثواب، قال ابن القيم رحمه الله: "وكان رسول الله في السفر يواظب على سنة الفجر والوتر أشد من جميع النوافل دون سائر السنن، ولم ينقل عنه في السفر أنه صلى سنة راتبة غيرها"، وكان ابن تيمية رحمه الله يقول: "سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل والوتر خاتمته". قلت ما سمعتم فا ستغفروا الله يافوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع إخوانه أما بعد:

أيها المؤمنون: وصلاة الفجر وصية النبي والصحابة من بعده لأمة الإسلام فعن رجل من النخع قال: سمعت أبا الدرداء حين حضرته الوفاة قال: أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله، سمعت رسول الله يقول: «من استطاع منكم أن يشهد الصلاتين: العشاء والصبح ولو حبواً فليفعل» رواه الطبراني في الكبير وهو حديث حسن. ولقد عمل الصالحون بهذه الوصية تعلقت قلوبهم بصلاة الفجر لما علموا من جليل فضلها وسوء عاقبة التخلف عنها، فكانوا أحرص الناس عليها، حتى لقد قال عبد الله بن مسعود: "ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يتهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف". وكان علي بن أبي طالب يمر في الطريق منادياً: "الصلاة، الصلاة"، يوقظ الناس لصلاة الفجر، وكان يفعل ذلك كل يوم. وتزوج الحارث بن حسان في ليلة من الليالي فحضر صلاة الفجر مع الجماعة، فقليل له: أخرج وإنما بنيت بأهلك الليلة؟ فقال: والله إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جمع لامرأة سوء. وقام عبد الرحمن بن

مهدي ليلة حتى جهد، فلما طلع الفجر رمى بنفسه على الفراش فنام عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس، فقال: هذا مما جنى علي الفراش، فجعل على نفسه أن لا يجعل بينه وبين الأرض شيئاً شهرين. ومكث الإمام مدين بن أحمد الحميري دهرًا إلى حين وفاته لا تقوته التكبيرة الأولى من صلاة الصبح، ويمكث في مصلاه وهو على طهارة إلى أن يركع الضحى وربما جلس بعد ذلك. وحين اشتكى الإمام سعيد بن المسيب عينه قالوا له: لو خرجت إلى العقيق فنظرت إلى الخصرة لوجدت لذلك خفة، يدعونه للتنزه في ضواحي المدينة حيث الخصرة والجو الطليق، فقال لهم: فكيف أصنع بشهود العتمة والصبح؟! وبقي الشيخ الغرناطي نحواً من عامين أو أزيد يخرج للصلوات الخمس يهادى بين رجلين لشيء كان برجله حتى كان بعض أصحابه يقول: الغرناطي حجة الله على من لم يحضر الجماعة. وكان الصالحون يرون فوت صلاة الفجر في الجماعة خطباً جلاً يستحق العزاء. قال حاتم الأصم: فانتنتي صلاة الجماعة، فعزاني أبو إسحاق البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف؛ لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا. فلنحرص على المحفظة على صلاة الفجر في وقتها في المسجد مع الجماعة؛ لننال هذه الفضائل والأجور.

أيها المؤمنون: كما أن للمحافظ على صلاة الفجر جماعة أجورا عظيمة؛ فإن لمن ضيعها أثارا مدمرة وعقوبات وخيمة: ومن عقوبات التهاون بصلاة الفجر ما يلي:

أولها: الاتصاف بصفات المنافقين، قال تعالى عن حال المنافين مع الصلاة عموماً وبالأخص صلاة الفجر: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾ [النساء: ١٤٢]، وجاء في الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة العشاء والفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا». ويقول ابن عمر: "كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر أسأنا به الظن، وها هو ابن مسعود يقول: "لقد رايتنا وما يتخلف عن صلاة الفجر إلا منافق معلوم النفاق"، .

ثانيا: أن الشيطان يبول في أذنيه وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشيطان قد استولى عليه واستخف به، حتى جعله مكانا للبول، نعوذ بالله من ذلك، ففي صحيح البخاري عن أبي وائل عن عبد الله قال: ذكر عند النبي رجل، فقيل: ما زال نائما حتى أصبح ما قام إلى الصلاة، فقال: «بال الشيطان في أذنه». قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "واختلف في بول الشيطان فقيل: هو على حقيقته، وقيل: هو كناية عن سد الشيطان أذن الذي

ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر، وقيل: معناه ملأ سمعه بالأباطيل، وقيل: هو كناية عن ازدياد الشيطان به، وقيل: معناه أن الشيطان استولى عليه واستخف به حتى اتخذ كالكنيف المعد للبول. وخص البول لأنه أسهل مدخلا في التجاويف وأسرع نفوذا في العروق فيورث الكسل في جميع الأعضاء". وهذه معان كيفما قلبتها وجدت بعضها شرا من بعض " إنتهى كلامه رحمه الله تعالى.. وقال ابن حزم رحمه الله: "لا ذنب بعد الكفر أعظم من تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها، ومن قتل امرئ مسلم بغير حق".

ثالثها: الخبث والكسل طوال اليوم لمن نام عن صلاة الفجر، جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام بكل عقدة يضرب عليك ليلا طويلا، فإذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، وإذا توضأ انحلت عقدتان، فإذا صلى انحلت العقد فأصبح نشيطا طيب النفس».

رابعها: كسر رأسه في قبره ويوم القيامة؛ فقد ثبت في البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم - رأى في رؤيا له رجلا مستلقيا على قفاه، وآخر قائم عليه بصخرة يهوي بها على رأسه فيشدخ بها رأسه فيتدهده الحجر، فإذا ذهب ليأخذه فلا يرجع حتى يعود رأسه كما كان، يفعل به مثل المرة الأولى، وهكذا حتى تقوم الساعة، فسأل -صلى الله عليه وسلم- عنه جبريل فقال: «هذا الذي يأخذ القرآن ويرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة». خامسها: الويل

والغي لمن ترك صلاة الفجر، الوارد في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [٤] والويل قال عنه عطاء بن يسار: "الويل واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره". و مستحق للغي في النار الوارد في قوله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [٥٩: مريم]، والغي، قال ابن مسعود والبراء بن عازب: "واد في جهنم من قيح". لأنه يسيل فيه قيح أهل النار وصديدهم، وهو بعيد القعر، خبيث الطعم.

أيها المؤمنون: من أراد أن يوفقه الله للقيام لصلاة الفجر فعليه أن يأخذ بأسباب ذلك ، ومن هذه الأسباب أولاً: النوم مبكراً وترك السمر: فالنوم المبكر خير، والكلام بعد صلاة العشاء ورد النهي عنه من نبينا صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح، إلا ما استثناه الدليل من مسامرة الزوج زوجته، والجلوس مع الضيف، ومدارسة العلم؛ أما إذا خشي فوات صلاة الفجر فلا يجوز. ثانياً: ابتعد عن المعاصي في النهار كي تستطيع أن تقوم للصلاة، وذلك بحفظ الجوارح عما لا يحل لها؛ بالبعد عن النظر الحرام، وكذلك اللسان والسمع وسائر الأعضاء، فمن نام على معصية ارتكبها من غيبة مسلم أو خوض في باطل أو نظرة إلى حرام أو خلف وعد أو أكل حرام عوقب بالحرمان من شهود الفجر؛ لأن من أساء في ليله عوقب في نهاره، ومن أساء في نهاره عوقب في ليله. ثالثها: لا تنس عاقبة الصبر ومجاهدة النفس

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

للقيام لصلاة الفجر، فمن عرف حلاوة الأجر هانت عليه مرارة الصبر،
والعاقل الفطن له في كل ما يرى حوله عبرة، فمن سهر الليالي بلغ المعالي،
ومن استأنس بالرقاد استوحش يوم المعاد، "ألا إن سلعة الله غالية! ألا إن
سلعة الله الجنة!". ثالثاً: اضبط منبه الساعة على الوقت المحدد لصلاة
الفجر، واحرص على آداب النوم، كالنوم على طهارة، وأداء ركعتي الوضوء،
والمحافظة على أذكار النوم، والاضطجاع على الشق الأيمن، ووضع الكف
الأيمن تحت الوجه، وقراءة المعوذتين في الكفين ومسح ما استطاع من
الجسد بهما، وغير ذلك من الآداب.

أيها المؤمنون: بعد ما سمعتم عن الفضائل العظيمة لصلاة الفجر والتي كل
واحدة منها كافية في أن تستيقظ وتقوم لتصليها مع المسلمين ألا تحب أن
تكون من رجال الفجر؟! أولئك الرجال الذين ما إن سمعوا النداء يدوي: الله
أكبر، الله أكبر، الصلاة خير من النوم، هبوا وفرعوا وإن طاب المنام، وتركوا
الفرش وإن كانت وثيرة، ملبين النداء، فخرج الواحد منهم إلى بيت من بيوت
الله تعالى، فيا عباد الله: لا تفرط في الصلاة عامة، وصلاة الفجر خاصة،
وشمر عن ساعد الجد، اسأل الله أن يوفقني وإياكم لذلك .

الدعاء.....

﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

أيها المؤمنون: إن الشريعة الإسلامية جاءت بحفظ الحقوق والعدل بين الناس، ومن حكمة الله تعالى أن شرع طرقا لإثبات الحقوق والحدود عندما يتنازع فيها الناس، ومن هذه الطرق لإثبات الحقوق شهادة الشهود، والشهادة هي طريق لإنصاف المظلوم، وردع الظالمين، وقد رفع الله شأن الشهادة، فوصف نفسه يشهد بصدق ما أنزله على رسول، وشرف بها ملائكته فقال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦]، وأقد أمر الله تعالى بالإشهاد عند إبرام العقود وحصول الدين، وأمر الشهود بالإدلاء بشهاداتهم عند الحاجة إليها وأن لا يتخلفوا عن ذلك قال تعالى: ﴿...وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [البقرة: ٢٨٢]،

وأمر الله تعالى بالإشهاد على الوصية حال الموت، وأمر الله الشهود أن لا يكتموا شهادة الله في ذلك، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِن أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾

﴿المائدة: ١٠٦﴾، ففي هذه الآية أضاف الله تعالى الشهادة إلى نفسه؛ تشريفا لها وتعظيما لأمرها؛ لأنها تفرز الحقوق وتبين الحق من الباطل فقال تعالى: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهْدَةَ اللَّهِ إِنَّآ إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾، وجعل من مهمات النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة الشهادة على جميع الأمم، فقال تعالى مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]. ولأهمية الشهادة في اثبات الحقوق فقد أمر الإسلام بأدائها على الوجه الصحيح يقول الله تعالى في محكم آياته وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءِثْمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾ [البقرة: ٢٨٣]، فالشهادة هي التي تميز الحق من الباطل، وتبين الدعاوى الصادقة من الكاذبة، وحسم النزاع بين المتخاصمين، جاء في صحيح البخاري، عن ابن أبي مليكة أن امرأتين كانتا تخرزان في بيت أو في الحجرة فخرجت إحداهما

وقد أنفذ بإشفى في كفها (أي جرحتها) فادعت على الأخرى فرفع إلى ابن عباس فقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعطى الناس بدعواهم لذهب دماء قوم وأموالهم ذكروها بالله واقرعوا عليها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]

[فذكروها فاعترفت فقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اليمين على المدعى».

أيها المؤمنون: لا بد أن تكون الشهادة مبنية على علم وبيان وأن تنشأ عن ثقة واطمئنان، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، أي يعلمون بقلوبهم ما تشهد به ألسنتهم، فلا يجوز للإنسان أن يشهد إلا بما تأكد من صحته، إما برؤية أو سماع من المشهود عليه ونحو ذلك، مما يفيد العلم لدى الشاهد وما لا يعلمه لا يجوز له أن يشهد به؛ وجاء عن إخوة يوسف، قال تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١]، رى البيهقي يسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الشهادة، قال: «هل ترى الشمس؟» قال: نعم، قال: «على مثلها فاشهد أو دع»، ولهذا لا يجوز للمسلم، أن يشهد لمجرد الظن أو لمجرد السماع، بل لا بد أن تكون متيقنا

عالمًا بالأمر قبل أن تشهد عليه؛ لأن هذه الشهادة مكتوبة عند الله تعالى وسوف يسأل عنها يوم القيامة قال تعالى: ﴿سَتُكَنَّبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۝١٩﴾ [الزخرف: ١٩] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

أيها المؤمنون: وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم نماذج من قول الزور، منها قول المشركين في رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته أنها أساطير الأولين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ۝٤﴾ [الفرقان: ٤]، وأخبر سبحانه وتعالى أن من يقع في الظهار ويحرم على نفسه زوجته بقوله أنت على كظهر أمي، فقله هذا لو من ألوان قول الزور قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢﴾ [المجادلة: ٢]، وقد نزه الله تعالى عباده المؤمنين عن قول الزور، وجعل من أبرز صفاتهم الابتعاد عن قول الزور وشهادة الزور فقال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِالْغَوِّ مَرُّوا كِرَامًا ۝٧٢﴾ [الفرقان: ٧٢]. فلا يحل للمسلم أن يكون شاهد زور، فشاهد الزور يغرر بالحكام، ويفسد الأحكام، ويساعد أهل الإجرام، كم أخبرت شهادة الزور من بيوت عامرة، وضيعت حقوقا واضحة، وأزهقت أرواحا بريئة؟! كم

فرقت بين المرء وزوجه؟! كم منعت صاحب الحق من حقه، وجرات المفسدين على الفساد فشهادة الزور مما يتنافى مع صفات أهل الإيمان، وعلى المسلم الحق أن يشهد شهادة الصدق ولو على نفسه، أو أقرب الناس إليه، ولا تأخذه في شهادة الحق لومة لائم، ولا يصرفه عن الحق طمع أو خوف أو محاباة، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١٣٥﴾ [النساء: ١٣٥]

أي اشهد بالحق ولو عاد ضرر ذلك عليك، وإذا سئلت عن الأمر فقل الحق فيه ولو عادت مضرته عليك. فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجا ومخرجا من كل أمر يضيق عليه. وإن كانت الشهادة على والديك وقاربك فلا تراهم فيها؛ فإن الحق حاكم على كل أحد، ولا تراع غنيا لغناه، ولا فقيرا لفقره في أمر الشهادة؛ فالله أولى بهما منك وأعلم بما فيه صلاحهما؛ فالله أرحم بعباده منكم فقد تظنون أن في الشهادة عليهم مضرة، وفي الحقيقة أن الشهادة عليهم فيها رحمة بهم ومصلحة لهم في تخليصهم من المظالم وتطهيرهم من المآثم، ولا شك أن شهادة الزور وكتمانها تعاون على الباطل، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿نَعَاوُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُونِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢]

٢ [المائدة: ٢]

أيها المؤمنون: وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن حال الناس مع الشهادة بعد القرون الثلاثة المفضلة، ففي الصحيحين عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»، وقد كان صلى الله عليه وسلم يحارب كل صورة من صور الزور، فالصائم الذي يصوم ويشهد الزور، فالله عني عنه وعن صيامه، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»، والمرأة التي تتظاهر بعتاء زوجها دون أن يعطيها شيئاً هي شاهدة زور في ذلك، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة قالت: يا رسول الله أقول: إن زوجي أعطاني ما لم يعطني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»،

فلا يجوز للإنسان أن يتحمل شهادة على جور أو أمر محرم، وليكن قدوته في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ثبت في الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال: نحلني أبي نحلاً، فقالت أمي عمرة بنت رواح: لا أرضى حتى تشهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه ليشهده على صدقتي. فقال: " «أكل ولدك نحلت مثله؟ " قال: لا.

فقال: " «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» . وقال: " «إني لا أشهد على جور» " قال فرجع أبي فرد الصدقة. هكذا يبين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن المؤمن لا يشهد على جور وظلم، فهذا دليل على أن الإنسان لا يجوز له أن يشهد على الجور؛ لأن شهادته ستكون وسيلة لثبوته، فيكون معيناً على الجور، وقد كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم بعض المواقف التي يحصل فيها كذباً وتغيب فيها الشهادة الحقة، فكان صلى الله عليه وسلم يقف في وجهها ويتصدى لها، فعند أبي داود بسند صحيح، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتاع فرساً من أعرابي، فاستتبعه إلى منزله ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشي، وأبطأ الأعرابي بالفرس، فطفق رجال يعترضون الأعرابي، يسأومونه بالفرس، لا يشعرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتاعه، فنادى الأعرابي النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس وإلا بعتته. فقام النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع نداء الأعرابي، فقال: «أو ليس قد ابتعته منك؟» قال الأعرابي: لا، والله ما بعتكه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بلى قد ابتعته منك» فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدا. فقال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على خزيمة فقال: «بم تشهد؟» قال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة شهادة رجلين. وزاد رزين فقال

الأعرابي: أهذا رسول الله؟ فقال أبو هريرة: كفى بك جهلا أن لا تعرف نبيك، صدق الله ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧]، فاعترف الأعرابي بالبيع.

أيها المؤمنون: شهادة الزور كبيرة من كبائر الذنوب، جاء النهي عنها مقروناً بالنهي عن الشرك؛ وذلك لعظمها، قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠] وجاء في الصحيحين عن عبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس، فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور»، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت. وهذا الحديث الشريف يبين خطر هذا الذنب العظيم الذي بادر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالكلام عليه قبل أن يسأله فقال «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» ثلاث مرات وعندما أراد أن يذكر قول الزور جلس بعد أن كان متكئا، قال الإمام ابن حجر الهيتمي في الزواج: "وجلوسه صلى الله عليه وسلم بعد أن كان متكئا يشعر بأنه اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان متكئا، ويفيد ذلك تأكيد تحريم الزور وعظم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعا على الناس، والتهاون بها أكثر، فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق

يصرف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرها، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطعاً، بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد، بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالباً، وحكى بعضهم الإجماع على أن شهادة الزور كبيرة ولا فرق بين أن يكون المشهود به قليلاً أو كثيراً فضلاً عن هذه المفسدة القبيحة الشنيعة جداً، وصح عند الترمذي، وضعه الألباني عن خريم بن فاتك الأسدي رضى الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فلما انصرف قام قائماً فقال: « عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ». ثلاث مرات ثم تلا هذه الآية: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْتَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ وقال ابن عباس رضى الله عنهما: شهادة الزور من أكبر الكبائر، وكتمانها كذلك. وقد قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَاِنَّهٗ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ أي: فاجر قلبه. قال الإمام الذهبي: " إن شاهد الزور قد ارتكب عظام: أحدها: الكذب والافتراء. والله سبحانه وتعالى قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨] ثانيها: أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه (أحياناً) بتلك الشهادة الكاذبة . ثالثها: أنه ظلم الذي شهد له بأن ساق إليه المال الحرام فأخذه بشهادته، بالإضافة إلى حجة الباطلة أخذ بها حق غيره التي فوجبت له النار، ففي

الصحيحين عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج إليهم فقال: « إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليحملها أو يذرها». رابعها، أنه أباح ما حرم الله تعالى، وعصمه من المال والدم والعرض، انتهى كلامه، فحكم الحاكم لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً، فقد ينهى النزاع بشهادة كاذبة يظن القاضي أنها صحيحة، فليس له إلا الظاهر، وهي في الباطن كاذبة، شهادة زور تحمل شاهدها ذلك، وتجراً المشهود على أخذ الحرام بتلك الشهادة الكاذبة، فالحرام حرام لا تحله الشهادة الكاذبة، وقد أوجب الله لشاهد الزور النار، فشاهد الزور إن لم يتب إلى الله تعالى ومات مصراً على ذلك لن تزولا قدماه في عرصات القيامة حتى يوجب الله له النار، صح في مستدرك الحاكم، وضعه غيره، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لن تزول قدم شاهد الزور حتى يوجب الله له النار»، وهذا الوعيد إنما هو لعظم شهادة الزور وضررها على الأفراد والمجتمعات؛ ولما يترتب عليه من الكذب والفجور والظلم وهدر الحقوق ونشر البغضاء والضغينة فبسببه انتزعت أملاك بغير حق وأكلت أموال ظلماً وانتهبت حقوق بالباطل، كم برئ بسبب شهادة الزور أصبح متهم وكم من متهم بسبب شهادة الزور أصبح بريئاً وكم من قضايا

باطلة ودعاوى كاذبة ألبت لباس الزور فأصبحت قضايا مصدقة، وقضايا حقيقية أصبحت بشهادة الزور باطلة مكذبة، وكم من شخص ظلم في حقه أو أودع السجن وهو برئ بسبب قول الزور وشهادة الزور. فهي تقلب الحق باطلا والباطل حقا، ناهيك عما يترتب عليها من ضياع حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل؛ ولذلك اتفقت الأديان السماوية كلها على تحريمها، فضلا عن أنها تأبأها العقول السليمة والأفهام المستقيمة فيا من شهدت زورا لقد ظلمت نفسك وظلمت الناس وبعث آخرتك بدنيا غيرك فأنت من الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، فكم خربت بشهادتك بيوتا عامرة وضيعت بها حقوقا واضحة، لذلك كان لك الجزاء عند الله النار وبئس القرار. فتحفظوا يا عباد الله في شهادتكم، وتحرزوا مما تنطق به ألسنتكم، قلت ما سمعتم فا ستغفروا الله يافوز المستغفرين

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم -الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع إخوانه أما بعد:

أيها المؤمنون: الأصل في الشهادة أن تكون سنداً لجانب الحق، ومعيّنة للقضاء على إقامة العدل، والحكم على الجناة الذين تتحرف بهم أهوائهم وشهواتهم، فيظلمون أو ييغون، أو يأكلون أموال الناس بالباطل، فإذا تحولت الشهادة عن وظيفتها، فكانت سنداً للباطل، ومضللة للقضاء، حتى يحكم بغير الحق، استناداً إلى ما تضمنته من إثبات، فإنها تحمل حينئذٍ إثم جريمتين كبيرتين في آن واحد. **الجريمة الأولى:** عدم تأديتها وظيفتها الطبيعية الأولى. **الجريمة الثانية:** قيامها بجريمة، تهضم فيها الحقوق، ويظلم فيها البراء، ويستعان بها على الإثم والبغي والعدوان، وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم، آكل الربا وشاهديه وكتابه؛ لأن كتابة عقود الربا والشهادة عليها وسيلة لإثباتها وإعانة على تعاطيها، روى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله آكل الربا و موكله و شاهده و كاتبه»

أيها المؤمنون: تجرأ الكثير من الناس في هذا الزمان على قول الزور وشهادة الزور، وسبب تجرؤهم على هذه الشهادة ؛ إما لينفع شخصا في نظر الشاهد لقربته أو لصداقته أو لعصبية، أو ليضر شخصا؛ إما لعداوته، أو من أجل أن يتقرب بها إلى شخص لنفع بها دنيويا، إن هذا الذنب الخطير والشر المستطير موجود ومنتشر للأسف الشديد في أوساط كثير من المجتمعات المسلمة، فكم سمعنا عن أناس يجلسون على أبواب المحاكم يبيعون ذممهم ويعرضون شهادتهم ولا يستحون أن يقولوا " تريد شهادة" أو " تريد أحدا يشهد معك" فيشهد معه في أمر لم يره ولم يعلم به مقابل ثمن بخس يتحصله أو عوض دنيوي يأكله أو لأجل صداقة أو قرابة أو عداوة للطرف الثاني أو لأجل مجاملة أو محابة أو خوف منه وقد تكون سلفا فيشهد له في قضيته على أن يشهد له في قضيته. يشهد أحدهم شهادة مزورة أو يجمع أقوالا ملفقة أو يوشي بوشايات كاذبة، لا يخافون الله فيها ولا يخشون عقابه عليها؟! لقد نسي هؤلاء لقاء ربهم وظلمة قبرهم ونسوا أن الحقائق قد تقلب في الدنيا لكنها عند الله في الآخرة لن يحق فيها إلا الحق ولن يصح منها إلا ما كان حقا، فالحق في ميزان رب العالمين وأحكم الحاكمين سبحانه وتعالى لا تتفع في رده شهادة المزورين ولا فصاحة المحامين ولا تزوير المدلسين والمزورين، وشهادته مكتوبة عليه وسيسأله الله عنها يوم لا ينفع مال ولا بنون يقول الله جل جلاله ﴿سَتُكَبَّرُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]

، ولا شك أن هذا ناتج عن قلة الإيمان، والبعد عن آداب وتعاليم الإسلام الحنيف.

أيها المؤمنون: يظن كثير من الناس أن شهادة الزور مقتصرة على التي في المحاكم وعند القضاة، وهذه صورة من صور شهادة الزور وأهمها، والشاهد والمشهود له مجرمان فيه غاية الإجرام، والشاهد أشد إجراماً لأنه يبيع دينه بدنياه غيره وأشد إجراماً منهما القاضي أو الحاكم إذا كان يعلم أن شهادة الشاهد كاذبة كما هو حال بعض الشهود الذين يرابطون عند أبواب المحاكم فيترددون على القاضي مراراً وتكراراً في قضايا مختلفة ولأناس مختلفين، وهناك صور متنوعة لشهادة الزور، ومن أعظم الزور تلك الشهادات المزورة التي تعطى لمن ليس أهلاً لها كالشهادات التي تعطى لمن نجح بالغش أو لمن لم يدرس أصلاً وكذلك شهادات الخبرة في مجال معين لمن ليس كذلك، ومن شهادات الزور الشهادة في مجال التزكيات فإذا طلب تزكية شخص تبادر الكثير إلى تزكيته دون علم منهم بحاله وسلوكه، ودون اعتبار لما يترتب على هذه التزكية من مخاطر. فقد يتولى هذا الشخص المزكى منصباً يسيء فيه إلى المسلمين. أو يستغل هذه التزكية للتغريب بالمسلمين وأخذ مالا يستحق ومن الزور تلك التقارير المزورة التي يرفعها بعض المدراء والمشرفين في أمور يعلمون علم اليقين أنها غير صحيحة كالتقارير التي تعطى لبعض الأشخاص للحصول على إجازة من العمل أو الحصول على مساعدة من

جهة معينة أو التقارير التي يرفعها بعض الأطباء بمرض من ليس بمريض أصلاً أو إعطاء الطالب تقريراً يمنعه من الذهاب إلى المدرسة أو دخول الامتحان أو غير ذلك من الزور والبهتان، ومن أنواع شهادة الزور تلك التوقيعات التي يوقعها بعض المسؤولين في بعض الإدارات بأن فلاناً تم انتدابه لمدة كذا وكذا أو أنه مصاب بمرض كذا وكذا أو أنه موجود ومداوم عندهم في الإدارة والأمر ليس كذلك فهذا زور وتزوير من الطرفين وأكل للمال بالباطل. ومن الزور ما يفعله بعض المهندسين أو المشرفين على المشاريع حيث يشهد بعضهم أنها حسب المواصفات المتفق عليها وهي في الحقيقة ليست كذلك وهو يعلم بذلك وهذا زور يترتب عليه نتائج خطيرة على البلاد والعباد ومن شهادة الزور ما يفعله بعض الدالين والمروجين للسلع حيث يصفونها بأوصاف يعلمون أنها كذب وغير موجودة في السلعة أو ينفون عنها عيوباً هي موجودة فيها أو يشهدون أن فلاناً قد وضع على البضاعة سعراً أكثر من الذي وضعته من أجل أن يخدعوا المشتري حتى يزيد في الثمن وهذه خيانة وبيع للأمانة ومحقق لبركة البيع والشراء. ومن الزور ما يفعله بعض أصحاب المحلات التجارية من كتابة لفواتير مزيفة وغير حقيقية أو إعطاء الزبون فاتورة بيضاء ليكتب فيها ما يريد أو كتابة فواتير بمبلغ غير المبلغ الفعلي الذي استلمه صاحب المحل، ومن الزور في الشهادة، الشهادة لشخص أنه يستحق من مال الصدقات والزكوات وكان

والواقع خلاف ذلك، فمن أن هذا الشخص محتاج ومستحق، وهو ليس كذلك. فهذه الشهادات من الزور المحرمة كل ذلك من الزور والإعانة على الإثم والعدوان والله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢] وعلى كل حال فالزور موجود ومنتشر على كافة الأصعدة والمستويات وما ذكر من النماذج والأمثلة كاف لمن ظن أن الزور مقتصر على شهادة الزور المعروفة في المرافق التي يتحاكم الناس إليها.

أيها المؤمنون: وكما أن من شهد زورا قد اقتترف إثما عظيما فكذلك من كتم الشهادة وهو يعلمها، ولم يشهد بها مع قدرته على ذلك، فقد اقتترف أيضا كبيرة من الكبائر يقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠] فإذا كان كتم الشهادة جريمة كبرى، فكيف بشهادة الزور؟ روى مسلم في صحيحه عن زيد بن خالد الجهني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بخير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها»، فشهادة الزور هي الشهادة الكاذبة التي ليس لها أساس من الصحة أو يشهد الإنسان بما ليس له به علم إما بدافع المحبة لمناصرة المشهود له بالباطل وإما بدافع الطمع بما يعطيه المشهود له من مال أو من باب تبادل المنافع والمصالح، وهنا نخاطب شاهد الزور، فنقول له: . يا شاهد الزور، كن على يقين بأن الذي شهدت له لو

سئل عنك لقال عنك: خائن، يبيع ضميره بعرض من الدنيا، ولا أمانة له، وإنه كذاب. يا شاهد الزور، كن على يقين أنك ساقط من نظر من شهدت له؛ لأنه يعلم أنك كاذب في شهادتك. يا شاهد الزور، أنت رفعت رأس من شهدت له على خصمه، وخفضت رأسك أمامه، وداس على كرامتك، لأنك بعت كرامتك بعرض من الدنيا، وجعلك من شهدت له في موضع نقيصة وخذلان يا شاهد الزور، اتق الله، وتب إلى الله تعالى قبل أن توقف بين يدي الله تعالى أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، الذي سيقص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء. تب إلى الله تعالى قبل أن تساق إلى جهنم مع المجرمين، فوالله لو علمت ما أعد الله لشاهد الزور من الخزي العاجل والعذاب الأليم لتمنيت أن يقطع لسانك قبل أن تتطق بشهادة الزور، وكلمة الزور. يا شاهد الزور، لقد ظلمت نفسك، وبعث آخرتك بدنياك ودنيا غيرك، تذكر يا شاهد الزور قول الله تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣] لقد أفسدت في الأرض فقلبت بشهادتك الباطل حقا، والظالم مظلوما، لقد أفسدت الأحكام الشرعية، وأفسدت على الحكام، وساعدت أهل الإجرام. تذكر يا شاهد الزور قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «شاهد الزور لا تزول قدماه حتى يوجب الله لهما النار» رواه الحاكم، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. لأنك ضيعت

الحقوق، وأسقطت العدالة، وزعزعت الثقة والأمانة، وأفسدت دينك ودنياك وأخرتك.. ونقول لشاهد الزور: تذكر يا أخي عواقب شهادتك في الدنيا والآخرة قبل شهادتك، تذكر قول الله تعالى: ﴿سَتُكْنَبُ شَهَدَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ ۝١٩﴾ [الزخرف: ١٩] فأنت مسؤول عن شهادتك يوم القيامة، تذكر أن شهادتك للزور قد آذيت بها بعضا من عباد الله المؤمنين ظلماً وعدوانا والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨] وربما تكون شهادك للزور سبباً لفتنة بعض المؤمنين وهنا نذكرك بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَوْا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝١٠﴾ [البروج: ١٠] فاتقوا الله يا عباد الله، وأصلحوا ما فسد من أحوالكم، وعالجوا ما مرض من نفوسكم، وتخلقوا بأخلاق نبيكم صلوات الله وسلامه عليه فلا خير إلا دلنا عليه، ولا شر إلا حذرنا منه. ولا يحملنكم الهوى وطاعته الشيطان على الوقوع في شهادة الزور، فإنها مما يسخط الله، ويوردكم موارد العطب والهلاك، ولا تظنوا أن ما خفي على الناس يخفى على الله، فستنطق الجوارح وتشهد على أصحابها. قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾ [النور: ٢٤] ، وتحروا الصدق والعدل في أقوالكم وأعمالكم، تقلحوا وتتجوا.

﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

أيها المؤمنون: فإن كثيرا من الناس في هذا الزمان قد استهانوا بكثير من المحرمات، وارتكاب بعض المخالفات الشرعية، إما جهلا وإما تجاهلا، ومما تساهل به كثير من الناس في هذا الزمان، ووقع فيه كثير منهم؛ التساهل في الأيمان، فتجد الواحد يحلف بالله في كثير من أحاديثه وأقواله، وفي بيعه وشرائه، وفي كل أمر يعد به غيره، فتراه يحلف بالله على أتفه الأسباب بلا سبب يقتضيه، فهذا يحلف بالإيمان الفاجرة على القليل من المتاع، والآخر يحلف الأيمان المتعددة على الحقيق من حطام الدنيا الفاني، والثالث يحلف الإيمان المغلظة على تحصيل منفعة يظنها، أو دفع مضرة يتوقعها، ومن الناس من لا يصدق غيره إلا إذا حلف له يمينا مغلظا وهذا إن دل فإنما يدل على خلو هذا القلب من تعظيم حرمت الله؛ قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠] فشأن اليمين عند

الله عظيم، والتساهل بها أمر جسيم؛ فليست اليمين مجرد كلمة تمر على اللسان، ولكنها عهد وميثاق سيسأل عنه العبد يوم القيامة.

أيها المؤمنون: أمرنا الله تعالى أن نحفظ أيماننا؛ تعظيماً له سبحانه وتعالى،

وأن لا نكثر من الحلف إلا عند الحاجة الملحة فقال تعالى: ﴿وَأَحْفَظُوا

أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد: لا تحلفوا.

فلا ينبغي للإنسان التسرع إلى الحلف باليمين إلا عند الحاجة، وقال الإمام القرطبي: "المعنى: أقلوا الأيمان لما فيه من البر والتقوى، فإن الإكثار يكون

معه الحنث، وقلة رعي لحق الله تعالى"، قال بعض أهل العلم: حفظ اليمين

في أمور ثلاثة: أن يحفظها بأن لا يحلف إلا عند الحاجة ولا يتسرع،

ويحفظها بأن لا ينقضها إلا لمصلحة، ويحفظها بأن يكفر عند الحنث. إن

كثرة الحلف من صفات أهل الكفر والنفاق؛ لأن كثرة الحلف يدل على

استخفافهم بخالقهم، وعدم تعظيمهم؛ قال الله تعالى عن الكافرين: ﴿وَلَا تَطْعَمُ

كُلَّ حَلَالٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠]، وقال في وصف المنافقين: ﴿أَتَّخِذُوا

أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢]

أي جعلوا الأيمان وقاية يتوقون بها ما يكرهون، ويخدعون بها المؤمنين..

وقال عنهم أيضاً ﴿أَتَّخِذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [١٦]

[المجادلة: ١٤] فبين سبحانه في هذه الآيات، أن الحلف الكاذب من صفات

المنافقين، ومن قبلهم، حلف إبليس لآدم زوجه، ليخدعهما باليمين؛ قال الله عنه: ﴿وَقَسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِمَنِ النَّصِيحَتَيْنِ﴾ [الأعراف: ٢١]. أي أقسم لهما أنه يريد لهما النصح والمصلحة. ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢] أي خدعهما بذلك القسم، وأوقعهما في المعصية والمصيبة.

أيها المؤمنون: مما لا شك فيه أن التعدي على مال المسلم أمر محرم كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩] ، يعظم الجرم و يشتد الإثم ،إذا كان المرء يتوصل إلى أخذ حق أخيه بالحلف الكاذبة ، والأيمان الفاجرة، فيحلف أنه مستحق لهذا المال، وهو كاذب في حلفه، وإنما عظم ذلك؛ لأنه استخف بالجبار، ولم يوقر الله ويقدره حق قدره؛ ولأن الحاكم يقضي له بهذا المال، فيكون له نوع مستمسك، وحق في الظاهر، وإذا بحثنا عن الأسباب التي أدت إلى انتشار الحلف بالله تعالى، والاستهانة بهذه القضية الخطيرة عند الناس اليوم لوجدنا لها عدة أسباب منها: أولاً: أن عظمة الله تعالى في نفوس كثير من المسلمين قد تلاشت أو قاربت، أصبح الله سبحانه وتعالى ليس له مهابة في قلوب كثير من المسلمين، فهم يحلفون به في أي ساعة من ساعات الليل والنهار، سواء كان الأمر يستأهل الحلف أو لا يستأهل الحلف، وهذه قضية خطيرة لها مساس مباشر بالعقيدة الإسلامية، إن من أسماء الله تعالى أنه العظيم، هذا الاسم العظيم الذي جهلته قلوب كثير من المسلمين، هذا الجهل هو الدافع

لانطلاق الحلف على ألسنة كثير من الناس. ثانيا: انعدام ثقة الناس بعضهم ببعض، فترى هذا لا يصدق هذا إلا بالحلف، ويقول له إذا قال له الخبر بقضية عادية بأسلوب عادي: تقسم بالله أن هذا صحيح؟ لأن الثقة بين الناس قد انعدمت، وفشى الكذب حتى لم يميز الصادق من الكاذب، والأمين من الخائن، ومع انتشار القسم صار حتى القسم شيئا عاديا، لا يصدق بمن يقسم. وهذه المسألة الخطيرة تحتاج إلى علاج، وتحتاج إلى تبیین شيء من أحكامها؛ لعل الله تعالى يوقظ تلك الأفئدة النائمة، وتلك العقول الخاملة التي سيطر عليها تبرد الإحساس، وانعدمت عظمة الله -تعالى- بين جنبتي نفوس كثير من الناس.

أيها المؤمنون: إن اليمين التي تجري على ألسنة الناس ليست نوعا واحدا، بل ثلاثة أنواع: يمين لغو، ويمين منعقدة، ويمين غموس؛ فأما النوع الأول: **يمين اللغو:** فهي الحلف من غير قصد اليمين، كقول الرجل: حينما يسأل عن حاله: أنا والله بخير؛ فهو لا يقصد أن يحلف لك، ولذلك لا يؤاخذ عليه، ولا كفارة فيه، ومن حلف على شيء يظن صدقه فظهر خلافه فهو من باب الخطأ ولا كفارة فيه؛ لأنه من اللغو، ومن حلف على يمين واستثنى في يمينه كمن قال: والله لأسافرن اليوم إلى مكان ما وحدده ثم قال إن شاء الله؛ فلا شيء عليه ولا كفارة ليمينه لو لم يسافر، وذلك لما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف على يمين

فقال: إن شاء الله فهو بالخيار، إن شاء أمضى، وإن شاء ترك» رواه الإمام أحمد والنسائي بسند صحيح. قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥]. وقال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩]. يعني: لا يعاقبكم الله أيها المسلمون إذا حنثتم أو نكثتم ما عقدتم، فيما لا تقصدون عقده من الأيمان، ولكن يعاقبكم فيما قصدتم عقده بقلوبكم

النوع الثاني: اليمين المنعقدة: وهي اليمين التي يقصدها الحالف، ويؤكد ويصر عليها؛ فهي يمين متعمدة مقصودة وليست لغوا يجري على اللسان. وهي يمين على أمر مستقبل أن يفعله أو يتركه، كأن يقول: والله لأفعلن كذا، فهذه اليمين واجبة الوفاء بها، إذا كان الحلف على فعل أمر واجب، أو على ترك شيء محرم. وهذه اليمين يجوز لصاحبها حنثها والتكفير عنها إذا دعت لذلك الحاجة، ومن ذلك يجوز حنث الأيمان المنعقدة التي تحول بين العبد وبين فعل الطاعة وفعل الخير، وهي من الأيمان المنهي عنها، ويقع فيها كثير من الناس، وذلك بأن يحلف المسلم عن الامتناع عن فعل الخير، من صلة للأقارب والأرحام، وصدقة على المساكين والمحتاجين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ

اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ [النور: ٢٢]. فقد جاء في قصة الإفك، وبراءة

الصديقة بنت الصديق مما اتهمت به، أن أبا بكر لما علم أن مسطح بن أثاثة كان من الذين وقعوا في اتهام العفيفة الطاهرة عائشة رضي الله عنه زوج النبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن النفقة عنه، وكان ينفق عليه لقربته منه، فقال: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد ما قال لعائشة، فأنزل هذه الآية، فقال أبو بكر: بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فأرجع إلى مسطح النفقة التي كان يجريها عليه. وعلى هذا من وقع في مثل هذا الحلف؛ فإنه يشرع له أن ينقض يمينه، ويفعل ما حلف على تركه، ويكفر عن يمينه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا

وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ [البقرة: ٢٢٤] أي لا تجعلوا أيمانكم بالله مانعة لكم من البر وصلة الرحم إذا حلقتكم على تركها. ومن هديه عليه الصلاة والسلام لأئمة في مثل هذه المسائل، أن يفعلوا ما حلفوا على تركه من الخير، ويكفروا عن أيمانهم؛ ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه»

أيها المؤمنون: يشرع الحنث في اليمين المنعقدة إذا كان حنثها خيراً من المضي في الحلف، جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط من الأشعريين أستحمله فقال: «

والله لا أحملكم ما عندي ما أحملكم ثم لبثنا ما شاء الله فأتى بابل فأمر لنا بثلاثة ذود فلما انطلقنا قال بعضنا لبعض: لا يبارك الله لنا أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نستحمله فحلف أن لا يحملنا فحملنا فقال أبو موسى: فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فقال «ما أنا حملتكم بل الله حملكم إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير»، ويستفاد من هذا الحديث أنه يستحسن في اليمين المنعقدة أن يستثني الحالف ويقول: إن شاء الله عقب يمينه مباشرة؛ حتى لا تلزمه اليمين ولا تجب عليه كفارة إذا حنث. فمن قال: والله إن شاء الله سأفعل كذا ولم يكن واجبا عليه فلم يفعله فلا كفارة عليه، والحنث في الأيمان المنعقدة من رحمة الله بعبادة ومن فضله عليهم، قال تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحریم: ٢]، أي شرع لعباده التحلل من إثم اليمين بالكفارة؛ لأنه لو لم يشرع ذلك لوجب على الإنسان أن يفي بما حلف عليه، وقد يكون عليه في ذلك إثم أو مشقة، فخفف الله عن العبد ذلك بالكفارة. وهذه الكفارة قد بينها الله تعالى في سورة المائدة في قوله -تعالى-: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتَهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٨٩]

﴿المائدة: ٨٩﴾ ، فمن لزمته كفارة يمين، فهو مخير فإن شاء أطعم عشرة مساكين، وإن شاء كساهم، وإن شاء أعتق رقبة، فإن عجز عن الطعام أو الكسوة أو العتق، فلم يستطع واحدا منها، لزمه صيام ثلاثة، فأما الإطعام فهو أن يصنع أو يشتري طعاما وسطا كافيا لعشرة مساكين، أو يعطي كل مسكين كيلو ونصف الكيلو من الطعام من حنطة أو أرز، أو مما يؤكل طعاما في بلده في حال الاختيار. وأما الكسوة فهي أن يكسو كل مسكين بما يسمى كسوة في تلك البلاد، وهذا يختلف باختلاف عادة البلدان، فقد يكون قميصا وبنطالا، وقد يكون ثوبا وطاقية، وقد يكون إزارا ورداء. فإذا عجز الحائث عن ذلك صام ثلاثة أيام متتابة أو متقطعة، وإن كان التتابع أفضل، ومما ينبغي التنبيه عليه أن من الناس من إذا أراد التكفير عن يمينه؛ صام ثلاثة أيام مباشرة وهذا خطأ؛ لأن الصيام يكون للفقير العاجز عتق رقبة، أو عن إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم .

النوع الثالث: اليمين الغموس: وهي من كبائر الذنوب وهي اليمين الكاذبة، التي يحلف صاحبها أيمانا كاذبة متعمدة؛ لأكل أموال الناس بالباطل، وروى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص، أن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: يا رسول الله: ما الكبائر؟ قال: «الإشراك بالله»، قال: ثم ماذا ؟ قال: «ثم عقوق الوالدين»، قال: ثم ماذا ؟ قال: «اليمين الغموس»، قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: «لذي يقتطع مال

امرئ مسلم، هو فيها كاذب» ، وفي رواية الترمذي بسند حسن صحيح عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين واليمين الغموس، واليمين الغموس، والذي نفسي بيده لا يحلف رجل على مثل جناح بعوضة إلا كانت كيا في قلبه يوم القيامة» واليمين الغموس توجب لصاحبها أن يحل عليه سخط الله وغضبه، جاء في الصحيحين، واللفظ لمسلم: عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من حلف على يمين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ». قال: فدخل الأشعث بن قيس فقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ قالوا كذا وكذا. قال صدق أبو عبد الرحمن في نزلت ، كان بيني وبين رجل أرض باليمن فخاصمته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: « هل لك بينة ». فقلت لا. قال « فيمينه ». قلت إذا يحلف. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك « من حلف على يمين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ». فنزلت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٧٧] وفي الحديث دليل على أن حكم الحاكم في الظاهر لا يبيح الحرام بسبب الأيمان الكاذبة، ودلت الآية على ذم كل من باع دينه

وأمانته ويمينه بشيء من متاع الدنيا الزائل. واليمين الغموس سميت غموساً؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم العظيم، ومن ثم يستحق صاحبها أن يدخله الله تعالى نار جهنم، روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة»، فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ قال: «وإن قضيباً من أراك»، ومما ينبغي أن يعلم أن اليمين الغموس لا كفارة لها عند الجمهور؛ لأن الذي أتى به حالفها أعظم من أن تمحوه الكفارة، وفي هذا زجر لمن تسول له نفسه ويزين له شيطانه أن يقول: أحلف، وبعد ذلك أكفر، والكفارة سهلة علي!. فمن حلف يمين غموس فأكل بها حق إنسان بالباطل؛ فلا تتحل تلك اليمين بالكفارة أبداً، وإنما تتحل بالتوبة ورد المظلمة، لا كفارة لها إلا ذلك، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "كنا نعد من الذنب الذي ليس له كفارة اليمين الغموس

أيها المؤمنون: إن المشاهد للواقع يجد بعض الناس قد تهاونوا في شأن اليمين الغموس الكاذبة، فصاروا يحلفون بالله تعالى كاذبين من غير خوف من الله ولا وجل؛ فتجد بعض الرجال يحلف كاذباً لأخذ حقوق الناس كالأراضي والأموال، ولا يفكر في لقاء ربه وقد حلف به كاذباً، وقد أصبح ذلك ظاهرة في بعض البلاد، بل من الدواهي أن صارت اليمين الغموس وسيلة للتكسب يتكسب بها بعض من لا يخافون الله حيث يقفون على أبواب

بعض المحاكم ليبيعوا شهادة الزور لمن يطلبها ويحلفون على شهادتهم كاذبين، ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۖ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [المطففين: ٤ - ٥] فيا ويل من فعل ذلك، ويا خسارته يوم القيامة، واليمين الغموس من الذنوب التي يعجل الله تعالى لصاحبها العقوبة في الدنيا قب الآخرة، روى البيهقي بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس مما عصي الله به هو أعجل عقابا من البغي، وما من شيء أطيع الله فيه أسرع ثوابا من الصلة، واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع» أي أن اليمين الغموس الفاجرة تترك الديار مقفرة لا شيء فيها، وخالية من سكانها إذا اتفقوا على التجرؤ على الأيمان الفاجرة، والحالف يفتقر ويمحق الله ماله، ويفرق الله شمله ويغير عليه ما أولاه من نعمه، وكم في التاريخ والواقع، من أمثلة تدل على العاقبة السيئة للحالفين اليمين الغموس، خاصة في أموال الناس ودمائهم. فقد روى البخاري عن ابن عباس قصة تبين أثر اليمين الكاذبة خلاصتها: أن رجلا من قريش استأجر في الجاهلية رجلا من بني هاشم ليكون معه على إبله في رحلة له، فمر بالأجير رجل يحتاج عقل بعير فأعطاه، فلما نزلوا عقل الإبل كلها إلا بعيرا، فقال صاحب الإبل: لم لم تعقل هذا البعير؟ قال: ليس له عقل، قال: فأين عقله؟! فحذفه بعصا كان فيها أجله، فمر به رجل من أهل اليمن فقال: أتشهد الموسم؟ قال: نعم، فأوصاه أنه إن جاء مكة أن يقول لأبي طالب: إن فلانا قتله بعقل.

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

فرجع ذلك القرشي إلى مكة فسأله أبو طالب عن صاحبهم، فأخبره أنه مرض فأحسن إليه حتى مات. ثم إن ذلك اليمني وافى الموسم فبحث عن أبي طالب فأخبره الخبر، فذهب أبو طالب إلى القاتل فخيره بين ثلاث: إما أن يدفع الدية مائة من الإبل، وإما يحلف قومه خمسين يمينا أنه ما قتل، وإما أن يقتل بصاحبهم. فاختر قومه اليمين، فاجتمع الخمسون رجلا، فجاءت امرأة فأدت عن ابنها إلى أبي طالب بغيرين حتى لا يحلف، وجاء رجل ففدى نفسه عن يمينه ببعيرين كذلك، قال ابن عباس: وجاء ثمانية وأربعون فحلفوا، فوالذي نفسي بيده ما حال الحول ومن الثمانية جميعا. ومن الثمانية والأربعين عين تطرف. يعني: ما دارت السنة إلا وقد مات أولئك الحالفون الكاذبون جميعا. قلت ما سمعتم فا ستغفروا الله يافوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم -الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع إخوانه أما بعد:

أيها المسلمون، هناك مسائل مهمة تتعلق باليمين ينبغي أن نعرفها، فمن تلك المسائل: أولاً: إن اليمين مشروعة ولا مانع منها؛ فقد أقسم الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه؛ كقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا

أَنْتُمْ نَطِقُونَ ﴿٢٣﴾ الذاريات: ٢٣ [الذاريات: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَالْضُّحَىٰ

﴿١﴾ وَالْأَيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ [الضحى: ١ - ٣]، وأقسم رسول

الله صلى الله عليه وسلم في أحوال مختلفة، جاء عند النسائي بسند صحيح

عن هريرة يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي

بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده» وفي الصحيحين

عن عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر يقولاً بعث رسول الله صلى الله عليه

وسلم بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن الناس في إمرته فقام رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال: «إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة

أبيه من قبل وايم الله إن كان لخليفاً للإمرة وإن كان لمن أحب الناس إلي

وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده» ثانياً: اليمين يختلف حكمها باختلاف

موضوعها الذي جاءت له؛ فقد تكون اليمين واجبة إذا كان المقصود بها

إثبات الحق لصاحبه، وذلك حينما يتوقف إثبات الحق على اليمين، وقد تكون

اليمين محرمة إذا كانت على فعل محرم، أو ترك واجب، مثل لو حلف رجل

على ترك الصلاة، أو شرب الخمر. وتكون اليمين مستحبة إذا توقف عليها

فعل مستحب، وكذلك تكون مكروهة إذا توقف عليها فعل مكروه

ثالثاً: إن على المسلم إذا أراد أن يحلف: أن لا يحلف إلا بالله تعالى وحده،

ولا يحلف بغيره، فيقسم باسم من أسماء الله تعالى؛ مثل: والله، ورب الكعبة،

أو أقسم برب العالمين، أو يقسم بصفة من صفاته تعالى؛ مثل: وعزة الله،

وقدرة الله، والذي رفع السماء بلا عمد، ونحو ذلك من الصفات. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بيننا أيوب يغتسل عريانا فخر عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحتشي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى، وعزتك، ولكن لا غنى بي عن بركتك». وعلى هذا لا يحل للمرء أن يحلف بغير الله تعالى، وإنما يحلف المخلوق بالخالق، ولا يحلف بشيء من الخلائق؛ من الملائكة أو الأنبياء أو الصالحين أو الأولياء أو العظماء أو الآباء، وفي صحيح البخاري عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت». قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها ذاكرا ولا آثرا، وقال عبد الله بن مسعود: "لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا". قال ابن تيمية رحمه الله تعالى معلقا على كلام ابن مسعود: "لأن حسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق، وسيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك"؛ فلنحذر -يا عباد الله- من الحلف بغير الله -عز وجل-. وجاء عند الترمذي بسند حسن عن ابن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله؛ فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك». وفي

رواية للحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كل يمين يحلف بها دون الله شرك». رابعاً: للحلف بغير الله تعالى صوراً متعددة، فمنها: الحلف بالأمانة، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك جاء عند أبي داود بسند صحيح وعن بريدة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بالأمانة فليس منا قال العلماء: معناه: ليس على هدينا، و طريقتنا ومنها: الحلف بغير ملة الإسلام كأن يقول: هو يهودي أو نصراني إن فعل كذا وكذا، أو أنه إن لم يفعل كذا وكذا فهو يهودي أو نصراني، جاء في صحيح البخاري عن ثابت بن الضحّاك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بملة غير الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال» وعند الحاكم بسند صحيح لغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف على يمين فهو كما حلف إن قال هو يهودي فهو يهودي وإن قال هو نصراني فهو نصراني وإن قال هو بريء من الإسلام فهو بريء من الإسلام ومن دعى دعاء الجاهلية فإنه من جثاء جهنم قالوا يا رسول الله وإن صام وصلى قال «وإن صام وصلى» ومن الحلف بغير الله تعالى : الحلف بالنبي، أو الشرف، أو رؤوس الأولاد، أو الرتبة العسكرية، أو الحياة أو العيش، أو حق فلان وعلان، أو غير ذلك. فمن حلف بصورة من هذه الصور ونحوها معتقداً أن للمحلف به منزلة مثل الله تعالى فهو مشرك شركاً

أكبر. وإن كان لا يعتقد ذلك ولكن كان في قلبه من تعظيم المحلوف به ما حمله على أن يحلف به دون أن يعتقد أن له منزلة مثل منزلة الله فهو مشرك شركاً أصغر ولا ريب أن الحالف بغير الله على كل حال آثم، وليس هناك كفارة على اليمين بغير الله في حال الحنث عند أكثر العلماء؛ لأنها لم تتعد يميناً شرعية، وذهب بعضهم إلى الكفارة. ولكن عليه أن يقول: لا إله إلا الله، ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف فقال في حلفه: باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله. ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليصدق» وقد كان أهل الجاهلية قد جرى على ألسنتهم الحلف باللات والعزى، فلما أسلموا ربما جروا على عادتهم من ذلك من غير قصد منهم، فكان من حلف بذلك فكأنه قد راجع حاله إلى حالة الشرك، وتشبه بهم في تعظيمهم غير الله، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم من عرض له ذلك بتجديد ما أنساهم الشيطان أن يقولوا: لا إله إلا الله، فهو كفارة له؛ إذ ذلك براءة من اللات والعزى ومن كل ما يعبد من دون الله، وذلك واجب عليه مع إحداث التوبة، والندم على ما قال من ذلك، والعزم على ألا يعود، ولا يعظم غير الله "خامساً: الحلف الكاذب منفق للسلعة ممحق للبركة، وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب»، أي: جعل الحلف بالله وسيلة لترويج بضاعته وسلعته، فيكثر من الأيمان الكاذبة ليخدع

الناس فيشتروا منه اعتمادا على يمينه الكاذبة، فتراه يحلف بالله أنه اشترى السلعة بكذا وكذا ويحلف أنه أعطي فيها كذا وكذا أن ربحه في السلعة كذا وكذا، وهو كاذب في كل ذلك، وإنما يريد التغرير بالمشتري ليصدقه بموجب اليمين، فيكون هذا الحالف عاصيا لله آخذا للزيادة بغير حق، فيعاقبه الله بمحق البركة من كسبه، وربما يتلف الله ماله كله، جاء في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم: رجل حلف على سلعته لقد أعطي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب، ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقطع بها مال رجل مسلم، ورجل منع فضل مائه فيقول الله: اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك»؛ فلنحذر الباعة من الكذب في اليمين لترويج السلع، قال الخطابي: «وخص وقت العصر لتعظيم الإثم فيه، وإن كانت اليمين الفاجرة محرمة في كل وقت؛ لأن الله عظم شأن هذا الوقت بأن جعل الملائكة تجتمع فيه، وهو وقت ختام الأعمال، والأمور بخواتيمها، فغلظت العقوبة فيه لئلا يقدم عليها تجرؤا، فإن من تجرأ عليها فيه اعتادها في غيره، وكان السلف يحلفون بعد العصر وجاء ذلك في الحديث أيضا». سادساً: أن البعض يحلف بالطلاق وعلى أتفه الأسباب؛ فمثلاً ترى أحدهم إذا أراد أحد الناس أن يستضيف رجلاً عنده تجده يحلف بالطلاق حتى يلزمه بالحضور، بهذه السهولة يعرض زوجته وأولاده للتشريد والضياع من

أجل وليمة؟ فليس من الرجولة بشيء أن يعرض أحدا أسرته للشتم والانفصال من أجل أمر لا يستحق. إن الذي يحلف بالطلاق إنسان لا يحب زوجته ولا يحب أولاده؛ لأنه بتصرفه هذا يبيع أسرته ويهدم علاقة متينة دامت سنين، يبيعها بأبخس الأثمان. إن شأن الطلاق عند الله عظيم؛ فلا ينبغي التلاعب به ولو كه بالألسن لأتفه الأسباب، حتى تجرأ كثير من الشباب العزاب بالحلف بالطلاق، استهتارا واستخفافا بحدود الله عز وجل. **سابعاً:** أن البعض قد يعد زوجته أمرا ويحلف لها على تحقيقه، ثم ينقض عهده دون سبب، ولا يكفر عن يمينه ظنا أن هذا من الكذب المباح على الزوجة، وإنما الكذب المباح على الزوجة ما كان فيه إصلاح بين الزوجين ودوام لعشرتهما؛ فليس من الكذب المباح أن تعد زوجتك شيئا ولا تريد أن تقي به لها أو تخبرها بأنك اشتريت لها الشيء الفلاني بسعر كذا فتغالي بالسعر ترضية لها؛ لأن ذلك قد ينكشف لها فيكون سببا لكي تسيء ظنها بك؛ فتسوء العلاقة بينكما، وذلك من الفساد لا الإصلاح المنشود. فكيف إذا حلفت لها يميناً على أمر ما تعدها به، وأنت في قرارة نفسك لا تريد الوفاء به؛ فلا شك أن هذا من الإثم، ويجب التكفير عن ذلك اليمين. **ثامناً:** يستحب للمسلم أن يبر يمين أخيه المقسم إذا لم يكن في إبراره معصية لله، أو ضرر على نفسه، فلو قال لك أخوك المسلم: والله إنك ستأخذ كذا، وليس عليك ضرر في ذلك فإنه يستحب لك أن توافقه؛ لأن هذا من حق المسلم على أخيه المسلم، ففي

حديث البراء رضي الله عنه في الصحيحين قال: «أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا باتِّباع الجنائز وعبادة المريض، وإجابة الداعي ونصر المظلوم، وإبرار القسم ورد السلام وتشميت العاطس» ولولا أنه عليه الصلاة والسلام ذكر في هذه السبع الخصال بعض الأشياء المستحبة باتفاق كإفشاء السلام لكان إبرار المقسم واجبا. تاسعا: ويجب العلم بأن اليمين التي يقولها الواحد منا أمام القضاء هي على نية المستحلف وليس على نية الحالف، ولا يجوز التورية فيها؛ فقد ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اليمين على نية المستحلف»، وفي رواية أخرى في صحيح مسلم أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يمينك على ما يصدقك عليه صاحبك" فإذا ادعى رجل على رجل حقا فحلفه القاضي فحلف وورى فنوى غير ما نوى القاضي، انعقدت يمينه على ما نواه القاضي ولا تنفعه التورية؛ قاله الإمام النووي. عاشرا: إن حلف الإنسان محرما على نفسه شيئا حلالا بقصد حث نفسه على الامتناع من ذلك فإن ذلك الشيء لا يصير حراما بتحريمه على نفسه، فإذا قال: والله لا آكل هذا الطعام أو لا أشرب هذا الشراب، ثم أكل أو شرب فعليه كفارة يمين ويبقى الطعام حلالا. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٢﴾ [التحریم: ١ - ٢] وقد نزلت الآيتان في تحریم رسول الله صلى

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

الله عليه وسلم على نفسه العسل، في قصة مشهورة، فينبغي للمؤمن أن يعظم اليمين، خاصة في باب الأموال والحقوق، ولو كانت يسيرة، ويوقر الله، ويكون صادقا، ولا يحلف إلا على حق ثابت كالشمس، وقد كان كثير من أهل الورع يتوقون الحلف في الخصومة عند الحاكم، ولو أفضى ذلك بهم إلى التنازل عن حقهم، خشية الوقوع في الوعيد، فمن الواجب على المؤمن أن يحذر الكذب بالأيمان، وغير الأيمان إذا حلف، وإذا حلف على ذلك صار آثما أكثر، ولا سيما إذا اقتطع بها حق أخيه، بأن يحلف: أنه ليس عنده لفلان شيء، وهو عنده له مال، يحلف أنه ما أخذ منه شيئا، وهو قد أخذ منه، هذا ظلم، كذب وظلم، الدعاء.....

المجموعة السادسة

خطب شهر جمادى الثاني،

وتشتمل على الخطب الآتية:

١- الزواج في الإسلام

٢- المرأة الصالحة

٣- الحقوق الزوجية

٤- الطلاق ... هادم البيوت

الزواج في الإسلام

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فإن العلاقة الزوجية بين الزوجين نعمة من نعم الله تعالى أنعم الله بها على بني الإنسان، وميزهم بها عن غيره من المخلوقات ذات الزوجية الذكرية والأنثوية، خاصة فيما يتعلق بالمعاشرة الزوجية، فالمسألة ليست قضاء للشهوة كما تقضيها سائر الحيوانات الغير مكلفة، بل هي علاقة تتبني على تعاليم ربانية واضحة، فلا يصح للإنسان أن يصرفها كيف يشاء بعيدا عن توجيه ومجده ومعطيها سبحانه وتعالى، والزواج وما ينبج منه من عشرة زوجية آية من آيات الله تعالى، فالمرأة تترك بيت أبيها وأختها وسائر أهلها وترضى بالإيصال برجل غريب عنها تساهمه السراء والضراء وتكون له زوجة ويكون لها زوجا تسكن اليه ويسكن اليها ويكون بينها المودة والرحمة، وإنما يفقه هذا المعنى من يتأمل الحالة التي تكون بين الرجل والمرأة حيث يجد أن المرأة أضعف من الرجل وأنها تقبل عليه وتسلم نفسها إليه وضمانها في ذلك هو

ميثاق من الله وعهده ﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]، وقد امتن الله سبحانه وتعالى علينا في كتابه أن خلقنا معشر الرجال والنساء من نفس واحدة وخلق منها زوجها. وهذه النفس الواحدة هي أبينا آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] وقال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزمر: ٦] ، فالله تعالى خلق أمنا حواء من ضلع من أضلاع أبينا آدم عليه السلام كما دلت على ذلك الأحاديث النبوية، وهذا يعني أن المرأة في الأصل قطعة من الرجل، ولذلك حنت إلى الرجل وحن الرجل إلى اليها، حنين الشيء إلى مادته وأصله، ولو خلق الله تعالى النساء من مادة أخرى غير التي خلقت منها، لكان بين الرجال والنساء من التباين والتباعد ما الله عليم، وهذا الخلق على هذا النحو من أعظم آيات الله سبحانه وتعالى، كما قال جل وعلا: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٩٨]، فالرجال والنساء من نوع واحد وليسوا من نوعين مختلفين، فأصلهم واحد وهو آدم وزوجته قطعة منه، والمرأة وقد تحملت في الخلق والتكاثر ما لم يتحمل الرجل، حيث

كان رحمها مستقرا ومستودعا للنطفة، ومكانا لاكتمال خلق جنينها الصغير .
وقد تحمل الرجل في مقابل ما تحملت المرأة الكدح في سبيل العيش والرعاية،
وبهذا توزعت الاختصاصات وتحمل كل صنف من هذا الجنس الواحد جانبا
من جوانب استمرار الحياة وبقائها.

أيها المؤمنون: من رحمة الله سبحانه وتعالى أن جعل التكاثر في بني آدم
عن طريق النقاء الرجال بالنساء عن طريق الزواج، وهذا الزواج يكون فيه
اللقاء الحميم واللذة الكاملة وذلك لتتم اللحمة والتعاطف والحب بين الأزواج
والزوجات، والحياة الزوجية جعلها الله تعالى آية من آياته سبحانه وتعالى،
كما جعل هذه الحياة سكنا لكلا الزوجين، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ
لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١] ومعنى: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي من
نطف الرجال ومن جنسكم. وقيل: المراد حواء، خلقها من ضلع آدم؛ قاله
قتادة. ﴿أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا﴾ أي نساء تسكنون إليها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً﴾ المودة والرحمة عطف قلوب بعضهم على بعض. وقال السدي:
المودة: المحبة، والرحمة: الشفقة؛ وقال ابن عباس: المودة حب الرجل امرأته،
والرحمة رحمته إياها أن يصيبها بسوء، وقد امتن الله على عباده بنعمة
الزواج ما ينتج عنها من أبناء وحفدة فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ

أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ

يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ [النحل: ٧٢]، فالسعادة النفسية ومتاع

الدنيا الحقيقي إنما يكون في الحب الشرعي بين الزوج وزوجته وبين الأب والأم وأولادهما، وبين الأبناء وآبائهم وجدودهم، وهذا لا يكون إلا في ظل الزواج الذي رغب فيه الإسلام الحنيف.

أيها المؤمنون: ولما كان الإسلام دين الفطرة، فإنه قد حث على الزواج لكل قادر عليه، وحرّم التبتل، والتبتل هو الانقطاع عن الزواج عبادة تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى بالصبر على ذلك والبعد عما في الزواج من متعة وأشغال، ابتغاء رضوان الله سبحانه وتعالى، وهذا غير مشروع في الإسلام، بل دعا الإسلام إلى الزواج ورغب فيه ونهى عن التبتل، وقد دل على هذا أحاديث كثيرة منها ما جاء في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو آذن له **لاختصينا**،. بل قد جاء حديث آخر يبين أن ترك الزواج مع القدرة عليه مخالفة لسنة الإسلام وهديه ففي الحديث المتفق على صحته عن أنس بن مالك رضي الله عنه: "أن ثلاثة نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: أصلي ولا أنام، وقال بعضهم: أصوم ولا أفطر، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وأتزوج

النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني"، فترك الزواج ولتبتل والرهبانية ليست من دين محمد صلى الله عليه وسلم في شيء.

وقد جاءت أحاديث أخرى تحت على الزواج وتبين أن الزواج عون للعبد على طاعة الله ومرضاته، جاء في صحيح البخاري عن عبد الرحمن بن يزيد قال دخلت مع علقمة والأسود على عبد الله فقال عبد الله كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم شبابا لا نجد شيئا فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" ففي هذا الحديث ما يدل على أن الزواج معين على العفة وصون الجوارح عن الزنا بكل أنواعه وأشكاله التي جاء ذكرها في حديث الصحيحين فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه" ولا يخفى ما في ترك الزواج من الآثار النفسية السيئة المدمرة على كل من الرجل والمرأة وهو ما عبر عنه القرآن بالعنت حيث قال تعالى في شأن إباحة الزواج من الإماء: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٥]، وهو الإرهاق النفسي الذي يصاحب الكبت الجنسي، وقال ابن الإمام ابن القيم في ذلك: "استدل على تفضيل النكاح على التخلي لنوافل العبادة بأن الله تعالى عز وجل اختار النكاح

لأنبيائه ورسله، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا
وَذُرِيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]، وقال في حق آدم: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، واقتطع من زمن كليمة
عشر سنين في رعاية الغنم مهر الزوجة، ومعلوم مقدار هذه السنين العشر
في نوافل العبادات، واختار لنبيه محمد أفضل الأشياء فلم يحب له ترك
النكاح بل زوجه بتسع فما فوقهن، ولا هدي فوق هديه. ولو لم يكن فيه إلا
سرور النبي يوم المباهاة بأمته، ولو لم يكن فيه إلا أنه بصدد أنه لا ينقطع
عمله بموته، ولو لم يكن فيه إلا أنه يخرج من صلبه من يشهد بالله
بالوحدانية ولرسوله بالرسالة، ولو لم يكن فيه إلا غض بصره وإحسان فرجه
عن التفاته إلى ما حرم الله تعالى، ولو لم يكن فيه إلا تحصين امرأة يعفها الله
به ويثيبه على قضاء وطره ووطرها فهو في لذاته وصحائف حسناته تتزايد،
ولو لم يكن فيه إلا ما يثاب عليه من نفقته على امرأته وكسوتها ومسكنها
ورفع اللقمة إلى فيها، ولو لم يكن فيه إلا تكثير الإسلام وأهله وغيظ أعداء
الإسلام، ولو لم يكن فيه إلا ما يترتب عليه من العبادات التي لا تحصل
للمتخلي للنوافل، ولو لم يكن فيه إلا تعديل قوته الشهوانية الصارفة له عن
تعلق قلبه بما هو أنفع له في دينه ودنياه، فإن تعلق القلب بالشهوة أو
مجاهدته عليها تصده عن تعلقه بما هو أنفع له، فإن الهمة متى انصرفت
إلى شيء انصرفت عن غيره، ولو لم يكن فيه إلا تعرضه لبنات إذا صبر

عليهن وأحسن إليهن كن له سترا من النار، ولو لم يكن فيه إلا أنه إذا قدم له فرطين لم يبلغا الحنث أدخله الله بهما الجنة، ولو لم يكن فيه إلا استجلابه عون الله له فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة حق على الله عونهم المجاهد في سبيل الله والمكاتب الذي يريد الأداء والناكح الذي يريد العفاف" رواه الترمذي يسند حسن

أيها المؤمنون: وأما في الاستمتاع البدني بين الزوجين فهدى الإسلام في هذا أحسن هدى، فقد جاء في الأمر العام بالاستمتاع بالنساء على أي كيفية كما قال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، غير أن الله سبحانه وتعالى نهى عن إتيان النساء وقت الحيض؛ لما في هذا من الأذى والضرر على الزوجين كليهما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ولقد جاءت السنة الصحيحة بجواز الاستمتاع بالحائض في غير مكان الحيض، وجاءت السنة والآثار الصحيحة أيضا بحرمة إتيان النساء في أدبارهن، وهذا من كمال الإسلام وطهارته، ومن سمو تعاليم الإسلام في أمور العلاقات الزوجية، أن جعل من المباشعة والمعاشرة بين الزوجين عبادة يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، ففي صحيح مسلم عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وفي بضع أحدكم صدقة (والبضع من المباشعة، والمباشعة: الجماع) قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال رأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر" وهذا الحديث دليل على أن الزواج ليس من المباح الملهي وإنما هو من المباح الذي يتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى، وبلغ من عناية الإسلام بالزواج بأن جعل آداباً متعلقة بأمور الزواج والمعاشرة الزوجية منها التسمية عند اتیان الأهل، جاء في صحيح البخاري، عن ابن عباس النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فقضى بينهما ولد لم يضره" بل إن النفقة التي ينفقها الرجل على زوجته وأبنائه مما يثيبه الله عليها ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك"، وفي هذا الحديث بيان أن النفقة على الأهل أحب النفقات وأعظمها أجراً عند الله سبحانه وتعالى ولا يحصل المسلم على هذا الأجر إذا ابتغى بهذه النفقة وجه الله سبحانه وتعالى واحتسب ذلك، لما جاء في الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال جاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا بمكة وهو يكره أن يموت بالأرض التي

هاجر منها قال: "يرحم الله ابن عفراء قلت يا رسول الله أوصي بمالي كله قال لا قلت فالشطر قال لا قلت التث قال: "فالتث والتث كثير إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس في أيديهم وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك وعسى الله أن يرفعك فينتفع بك ناس ويضر بك آخرون ولم يكن له يومئذ إلا ابنة" ومن عناية الإسلام بالحياة الزوجية أن نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إفشاء أسرار الحياة الزوجية ونشر أخباره وهذا من كمال الأدب والأخلاق، وأخبر صلى الله عليه وسلم إن من يفعل ذلك مثله هذا كمثل شيطان وشيطانة لقي أحدهما بالطريق فقضى حاجته منها والناس ينظرون إليه، وهذا معناه أن الخبر في أمر النكاح كالعيان، جاء في مسند الإمام أحمد بسند حسن عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال والنساء قعود فقال: "لعل رجلا يقول ما يفعل بأهله ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها ؟ فأرم (أي: سكتوا ولم يجيبوا) القوم فقلت: إي والله يا رسول الله إنهن ليفعلن وإنهم ليفعلون . قال : " فلا تفعلوا فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون " وبهذه الأخلاق والآداب يرسى الإسلام قواعده النظيفة الكاملة، في أمور الزواج والعشرة الزوجية، قلت ما سمعتم فا ستغفروا لله يافوز المستغفرين

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع إخوانه أما بعد:

فإن العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة سنة إلهية، وغريزة أودعها الله في الجنسين الذكر والأنثى اللذين يشكلان الركيزتين الأساسيتين لهذه العلاقة، ولهذا لم يترك الشارع الحكيم هذه العلاقة دون توجيه وبيان لأهداف هذه العلاقة الزوجية، وما تمليه ضرورة هذا الاقتران من حقوق بحيث تستمر هذه العلاقة وتقاوم الصعاب الدنيوية، ولا تتكسر أمام موجات الحياة الصغيرة، وهنا يطرح سؤال ينبغي أن يسأله كل مريد للزواج قبل أن يقدم عليه. لماذا نتزوج؟ وما الحكمة من هذا الزواج؟ والجواب: وهناك ثلاثة حكم و أهداف اجعلها نصب عينيك قبل أن تقدم على الزواج.

أولاً: قضاء الوطر بالحلال: قضاء والوطر بالزواج مطلوب شرعاً كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، والوطر هو حاجة الزوجين لأن يستمتع أحدهما بالآخر، ومن الآيات الدالة على مشروعية النكاح قوله تعالى: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ

وَرَبِعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا نَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ [النساء: ٣]، وقضاء الوطر بالحلال المشروع لا ينافي التعبد الكامل بل إن النبي صلى الله عليه وسلم سيد العابدين والمتقين يقول: "حبب إلى من الدنيا النساء والطيب وجعل قرّة عيني في الصلاة"، رواه أحمد في مسنده بإسناد حسن عن أنس، فمحبة الطيب والنساء لم تمنعه صلوات الله وسلامه عليه أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم للعالمين وأن يكون سيد العابدين المتقين، ولذلك فقد وسع الله عليه في ذلك، حيث قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ اللَّاتِيَّاتِ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَلْلِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ [الأحزاب: ٥٠]، وبين سبحانه وتعالى أنه لا حرج ولا ضيق على النبي في هذا المباح والذي أباحه الله تعالى حيث قال تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ [الأحزاب: ٣٨]، والشاهد من هذا كله أن متع الزواج الحسية والنفسية من خير ما خلق الله من متاع

لعباده في الدنيا، وابتغاء هذا المتاع وفق شرع الله من الأسباب التي توصل إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى وطاعته.

ثانياً: الحصول على النسل: أمرنا سبحانه وتعالى بابتغاء النسل عند

معاشرة النساء حيث قال سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ

هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ

عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِّرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] ،

وابتغاء ما كتب الله هو طلب الولد على قول من أقوال المفسرين لهذه الآية،

وقد رغب الإسلام بالتناسل وابتغاء النسل من الزواج؛ لأن الله تعالى جعل

استمرار النوع الإنساني على ظهر هذه الأرض منوطاً بالترواج، قال جل وعلا

عن نفسه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ

نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ [السجدة: ٧ - ٨]، وجعل الله سبحانه

وتعالى الإضرار بالنسل من أكبر الفساد في الأرض كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ

النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ۚ وَهُوَ أَلَدُّ

الْخِصَامِ ۝٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۚ وَاللَّهُ

لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ۝٢٠٥﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥]، والنسل الذي يصلح لعمارة

الأرض وخلافتها وسكناها هو النسل الذي يأتي بطريق الزواج الشرعي لا

عن طريق الزنا والسفاح، فالنسل السوي هو نسل النكاح. وأما نسل السفاح

فهو مسخ يشوه وجه الحياة ويشيع فيها الكراهية والمقت. ولا يخفى على الكثير منا في هذا العصر ما يعانيه العالم اليوم من أولاد السفاح الذين خرجوا إلى الأرض بأجسام بشرية وبنفوس حيوانية مريضة مشوهة، قد فقدت الحنان في طفولتها فغابت عنها معاني الرحمة والإنسانية. فالنكاح بأصوله وحدوده وقواعده كما شرعه الله سبحانه وتعالى وهو الوسيلة السليمة لاستمرار النوع الإنساني وبقائه في هذه الحياة، و بقاء النسل الإنساني سبب لاستمرار الخلافة في الأرض وعمارتها كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكَ خَلِيفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣٩] ، ولا يمكن أن يكونوا خلائف في الأرض إلا بنسل مستمر، ولا يتحقق ذلك إلا بالزواج المشروع وفق شرع الله تعالى وهديه

أيها المؤمنون: ولأهمية الزواج لبقاء النسل فقد جعله من سنن المرسلين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨] ، قال الإمام القرطبي وهو يتحدث عن هذه الآية: فيها مسألتان: الأولى: قيل: إن اليهود عابوا على النبي صلى الله عليه وسلم الأزواج وعيرته بذلك، وقالوا: ما نرى لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح، ولو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن النساء، فأنزل الله هذه الآية وذكرهم أمر داود وسليمان، فقال: ﴿

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴿٣٨﴾ [الرعد: ٣٨] أي: جعلناهم بشرا يقضون ما أحل الله من شهوات الدنيا. الثانية: هذه الآية تدل على الترغيب في النكاح والحض عليه، وتنتهى عن التبتل وهو ترك النكاح، وهذه سنة المرسلين كما نصت عليه هذه الآية.

ثالثا: بلوغ الكمال الإنساني: قضاء الوطر والحصول على النسل يعملان عملهما في نفس الإنسان وفكره وقواه النفسية والبدنية فيشعر بالرضا والسعادة والراحة النفسية والجسدية حيث تتصرف طاقته وغريزته بأنظف الطرق وأطهرها، وينشأ بين الزوجين الحب الحقيقي القائم على الود والرحمة والمشاركة، لا ذلك الميل الحيواني القائم على تفريغ الشهوة وبلوغ اللذة دون وجود الوفاء والرحمة، وبذلك يصل الإنسان إلى الكمال الإنساني، فلا يبلغ الرجل كماله الإنساني إلا في ظل الزواج الشرعي الذي يتوزع فيه الحقوق والواجبات الزوجية توزيعا ربانيا قائما على العدل والإحسان والرحمة لا توزيعا عشوائيا قائما على الأثرة وحب الذات، وتوزيع المسؤوليات في الحياة الزوجية بين الزوجين ينمي قدرة الرجل على بلوغ كما له الإنساني؛ وذلك بأن يجعل له هدفا ساميا في الحياة وهو إسعاد زوجته أو حمايتها والسعي في سبيل أبنائه وذريته. وبالمسؤوليات الملقاة على الزوجة نحو الزوج تكمل شخصية المرأة. وقد دلت الإحصائيات الحديثة على أن المرأة لا تكمل نفسيا وجسديا وعقليا أيضا إلا بعد ولا دتها فإذا كانت هذه الزوجة التي رزقت بأولاد في ظل

أسرة متماسكة وفي ظل تربية سليمة وأهداف نبيلة بلغت المرأة كمالها الإنساني الذي قدره الله لها. وبهذا نفسر التمزق والطيش تسيطر على النساء العوانس ممن حرمن نعمة الزواج والأولاد ولذلك جاء الإسلام بالقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة فأمر المسلمين أمرا لازما بتزويج العوانس والأرامل حيث قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]، والأيامى جمع أيم، والأيم هي التي مات زوجها، والأمر هنا للمسلمين عامة وأولي الأمر خاصة. فالعنوسة وكثرة الأيامى اللاتي لا يتزوجن من أكبر مشكلات المجتمع، فعلى المجتمع المسلم العمل للقضاء على هذه الظاهرة بالزواج، والخلاصة، أن الزواج آية من آيات الله في هذا لوجود، وأن كلا من الرجل والمرأة لا يكتمل وجودهما الإنساني إلا في ظل الزواج الإسلامي السلم، فلنشجع الزواج في أوساط المجتمع المسلم، ولنعمل على تيسير أموره بين شباب المسلمين؛ لينعم الجميع بالسعادة والعيش الهنيء.

الدعاء.....

المرأة الصالحة

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

أيها المؤمنون: الأسرة هي الخلية الأساسية لبناء المجتمع الذي أراد الله قيامه لعمارة الكون وتحقيق خلافته في الأرض، قال تعالى " يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء " ولتكوين هذه الخلية في الإسلام طريق واحد هو الزواج، وقد رغب الإسلام بزواج الصالحين من الرجال والنساء؛ لأن صلاحهم سوف يمتد لأبنائهم بحول الله وقوته، قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِعُ عِلْمُهُ ﴾ [النور: ٣٢]، فمراعات أمر الصلاح مهم في الرجال والنساء حال الإقدام على الزواج بواحد منهم، وتتأكد مسألة الصلاح في المرأة كونها المدرسة الأولى لتنشئة الأبناء والبنات، قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَتُ قَتِينَتْ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤] فالصالحات ' أي اللواتي لا يهدرن قوامة

الرجل ويطعن أزواجهن، وصدر وصفهن بالفاء العاطفة التي تفيد الترتيب مع سرعة المبادرة فقال تعالى في وصفهن ﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾: أى يمتثلن مباشرة إذا أمر الزوج بالمعروف وفى قدر الاستطاعة، وقال في وصفهن ﴿قَنِئَتْ﴾: أى طائعات لربهن، والمرأة التي تعصى ربها يسهل عليها أن تعصى زوجها، لذلك ذكر صفة الصلاح في المرأة كأول صفة وهى كالأساس لبقية الصفات بعد ذلك، ثم ذكر أن من صفات المرأة الصالحة حفظها للغيب فقال تعالى: ﴿حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾، فهن حافظات للغيب: أى لغيبه أزواجهن، فإذا غاب الأزواج عنهن حفظنهن في أموالهم وأعرضهم، وصح عند الطبراني عن عبد الله بن سلام قوله صلى الله عليه وسلم «خير النساء من تسرك إذا أبصرت وتطيعك إذا أمرت وتحفظ غيبك في نفسها ومالك» ، هذه هى صفات خير التي ذكرها الله في كتابه الكريم،

أيها المؤمنون: وقد ذكر صلى الله عليه وسلم صفات أخرى تدعو الناس للزواج بالمرأة وهى أروع صفات، يريدها الناس في المرأة في كل زمان ومكان فقال صلى الله عليه وسلم كما في الحديث المتفق عليه " تنكح المرأة لأربع: لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك " ولا مانع أن تضم صفة أو صفتين أو أكثر إلى ذات دين جميلة أفضل من ذات دين فقط، وذات دين جميلة وغنية أفضل من ذات دين جميلة فقط وهكذا،

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، جاء صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم "الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة" وفي مسند أحمد بسند صحيح قال صلى الله عليه وسلم: " ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة، وعند البيهقي بسند صحيح قال صلى الله عليه وسلم " وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك خير ما اكتنز الناس" والمرأة الصالحة واحدة من أسباب السعادة في الدنيا، كما أن المرأة السوء واحدة أسباب الشقاء، جاء في مسند الإمام أحمد بسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سعادة ابن آدم ثلاثة ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح ومن شقاوة ابن آدم المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء"، والمرأة الصالحة البكر خير مما سواها لأسباب ذكره النبي صلى الله عليه وسلم، فعند ابن ماجه بسند صحيح عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عليكم بالأبكار فإنهن أنتقن أرحاما وأعذب أفواها وأقل خبا وأرضى باليسير" وأقل خبا " أي: خداعا.

أيها المؤمنون: وكما يستحب الزواج بالصالحات من النساء وفي المقابل لابد من التبصر في حال الخاطب الذي يتقدم للمرأة المسلمة، فلا يوفق عليه إلا

إذا كان صالحا، جاء عتد الترمذي بسند حسن، عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض"، ولا بد من السؤال عن حال الخاطب القادم على الزواج وجمع المعلومات عنه من المصادر الموثوقة حتى لا يفسد البنت الصالحة إذا تزوجت برجل غير صالح، وقد يكون الرجل صالح في دينه، مستقيما في خلقه، لكن عنده بغض الأمور التي قد لا ترغب المرأة وجودها في زوجها، وحينئذ لابد من المشورة عليها بالأصلح، ففي صحيح مسلم حديث فاطمة بنت قيس لما طلقت، قالت: «فلما حلت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان، وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد، فكرهته، ثم قال: انكحي أسامة، فنكحته، فجعل الله فيه خيرا، واغتبطت به" فبين لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحوال الرجلين ثم دلها على الأكمل والأفضل، وهو ما حصل فكان فيه الخير والبركة

ومن الصفات المرغوبة في المرأة أن تكون ودودة وولودة، والمعنى: أن تكون كثيرة الود والمحبة لزوجها؛ فإن ذلك أدوم لبقاء العشرة وديمومتها، وكذلك ينبغي أن تكون ولودة للأبناء؛ فإن ذلك من مقاصد الزواج وأهدافه، عن معقل بن يسار قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني

أصبحت امرأة ذات حسب وجمال وإنما لا تلد أفأ تزوجها قال لا ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة فقال: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم" رواه أبو داود بإسناد حسن صحيح، فهناك هناك ارتباطا وثيق بين الود وبين ولادة المرأة، فالعلاقة بين الرجل والمرأة إذا أنجب منها الولد أقوى وأمتن من العلاقة بين الرجل وامرأة لا ينجب منها ولذلك جمعهما معا الودود الولود.

أيها المؤمنون: إن أردتم أن تتعرفوا على المرأة الصالحة، التي جمعت مع صلاحها المال والجمال والحسب والنسب، وكانت ودودة ولولادة فإليكم خبر سيدة النساء إنها خديجة بنت خويلد رضى الله عنها، وهى أول زوجة تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، وقد فضل الله تعالى السيدة خديجة بنت خويلد بالعديد من الفضائل التي تميزها عن غيرها، فهي من خير نساء الجنة، جاء في مسند الإمام أحمد بسند إسناده صحيح عن ابن عباس رضى الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون" وقد تخلقت واتصفت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها بالعديد من الأخلاق الفاضلة الكريمة، فكانت تلقب بالطاهرة ، رغم أن البيئة والمجتمع المحيط بها كان ملئيا بالفواحش والمنكرات، فكانت البغايا من النساء يضعن العلامات الحمراء التي تدل على مكانهن، إلا أن خديجة رغم ما أحاط بها عرفت بالعفة والطهارة في هذا لجانب، كما عرفت بالحكمة

والعقلانية، ومن المواقف التي تدل على رجاحة عقلها استعانتها بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم في أمور تجارتها؛ لما عرفت عنه من الصدق والأمانة، فعرضت عليه أن يعمل معها في التجارة، وأن يتولى أمر القوافل، فخرج تاجرا بأموالها، ورافقه غلاما لها اسمه ميسرة، فسمت أم المؤمنين خديجة عن أمانته صلى الله عليه وسلم، في معاملاته، ورأت البركة في تجارتها على غير صورة سابقة، كما أخبرها غلامها ميسرة بأخلاق الرسول وشمائله العظيمة، فقد روى لها ما رآه في طريق الذهاب والعودة عن الغمامة التي كانت تظلل النبي صلى الله عليه وسلم حين يشتد الحر، وعن خلق النبي صلى الله عليه وسلم وسلوكياته في التجارة، وأخبرها بأنه كان لا يعرض شيئا عنوة على أحد، وأنه كان أميناً في معاملاته، فأحبه تجار الشام وفضلوه على غيره. كل هذه الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم جعلت السيدة خديجة - رضي الله عنها - ترغب في الزواج من النبي صلى الله عليه وسلم ، فعرضت نفسها عليه، وبعثت إليه من يخبره برغبتها في الزواج منه، لما رأت فيه من جميل الخصال وسديد الأفعال. وفكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمر، فوجد التي تدعوه إلى الزواج امرأة ذات شرف وكفاءة، من أوسط قريش نسبا، وأطهرهم قلبا ويدا، فلم يتردد. ، فتم العقد بين الرسول وخديجة بحضور بني هاشم ورؤساء مضر، وكان عمر السيدة خديجة حينها أربعين سنة، وهي أول امرأة تزوجها الرسول. . وقد تزوج النبي -صلى الله عليه

وسلم- من السيدة خديجة قبل البعثة بخمسة عشر سنة، وكان عمره حينئذ خمسة وعشرون عاما، وعمر السيدة خديجة -رضي الله عنها- أربعين عاما. **أيها المؤمنون:** وتميزت السيدة خديجة بنت خويلد بنصرتها للرسول عليه الصلاة والسلام، وتقديمها الغالي والنفيس في سبيل ذلك، فكانت أول من آمن وصدق الرسول، كما أنها نصرته في أصعب المواقف والظروف والأحوال، ففي الحديث المتفق عليه، لما عاد الرسول عليه الصلاة والسلام من الغار مرتجفا خائفا بعد نزول الوحي عليه لأول مرة، فعملت السيدة خديجة على تهدئته والتخفيف من روعه بخير الكلام ولين اللسان، وأخبرته قائلة: "كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"، فأخذته إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان نصرانيا، فبشرهم بأن ما جاءه وأصابه هو الناموس الذي أنزله الله على موسى -عليه السلام-، ويدرك النبي صلى الله عليه وسلم حجم المسؤولية التي ألقته العناية الإلهية على كاهله، وأنه سيؤذى ويخرج ويقاقل، وأدركت أم المؤمنين خديجة معه مقدار الواجب الكبير الذي تتحمله للوقوف إلى جانب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فوقفت إلى جانبه، وساندته في كل ما أهمه وأغمه، وواظبت على حماية الرسول -صلى الله عليه وسلم- ليلا ونهارا، إلى جانب أنها كانت تحرسه خوفا من غدر قريش به، وإذا كانت خديجة في جاهليتها مشغولة في تجارتها وتنمية أموالها والمحافظة على

مكانتها، فهي اليوم مشغولة بالدعوة وكيف تكسب لها أنصارا، وعندما أسلم أبو بكر رضي الله عنه، وانضم إلى موكب المؤمنين، وسمعت مقالته وهو في بيتها يعلن تصديقه لمحمد صلى الله عليه وسلم دون توان أو تردد لم تملك نفسها إلا وهي تهتف بأبي بكر مهنئة له وتقول: الحمد لله الذي هداك يا ابن أبي قحافة. فجميع المؤمنين أبنائها وهي أم المؤمنين.

أيها المؤمنون: وتمر الدعوة بمراحلها الصعبة، ويقف أهل مكة موقف العداء الشديد من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته، نالوه بالإساءة ووالوه بالسخرية ورموه بكل ما يكره من بذيء القول وفاحش الكلام. نعتوه بالجنون والسفه، واتهموه بالكهانة والسحر. في كل يوم كانت عقول أهل مكة تتفتق عن مزيد من وسائل المكر والخبث والحرب ضد النبي وأصحابه. وكان رسول صلى الله عليه وسلم وزوجه خديجة والنفر القليل من المؤمنين معه يقابلون كل ذلك بإيمان أرسخ من جبال مكة، وبعزيمة أثبت من الدنيا وما فيها. وعندما رأت قريش أن كل ما استعملته من وسائل مع النبي وصحبه، من السخرية والاستهزاء، ومن الإرهاب والتعذيب، ومن الدعاية الكاذبة والمغرضة ولم يجدها نفعا، ولم يصرف الناس عن دعوة الإسلام، ولم يحل بينها وبين الظهور والانتشار. بل رأت أن دخول بعض العناصر القوية في الدعوة الجديدة قد زادها ظهورا وانتشارا، فقد عز المسلمون منذ أسلم حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب، واستطاعوا أن يستعلنوا بصلاتهم بعد أن

كانوا يسرون بها، وأن يصلوا عيانا في حرم الكعبة بعد أن كانوا يستخفون في شعاب الجبال، واستطاعوا كذلك أن يجهروا بالقرآن على مسمع من قريش بعد أن كانوا يتخافتون به.

حينها لجأت إلى سلاح آخر غير سلاح من أسلحة التعذيب والتخويف، فاستخدمت سلاح المقاطعة). فاجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني عبد المطلب، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم. فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، وعلقوها في جوف الكعبة. فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب، فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب إلى قريش، فظاهرهم، وهنا تجلت عظمة أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها فلم تخطى عن رسول الله ودعوته ولم يرهبها سلاح المقاطعة الذي أشهرته قريش في وجه الدعوة الجديدة، فرغم كبر سنها، إلا أنها خرجت مع الرسول عليه الصلاة والسلام و بني هاشم وبني عبد المطلب إلى شعاب مكة عندما فرض عليهم الحصار، واستمر ثلاث سنوات، فتركت خديجة دارها، وانتقلت مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى شعب أبي طالب، تقاسي ما يقاسي زوجها وما يقاسي أتباعه معه. ولم تتوان رغم تجاوزها الستين في أن تقوم لمحمد صلى الله عليه وسلم بما كانت تقوم له من قبل. فظلت هي هي المواسية المشجعة المؤازرة وزير الصدق الذي عاون

الخطب المجموعة في المواعظ المسموعة - الجزء الثاني

محمداً، وأخذ بيده منذ بدء دعوته، فعاشت مع الرسول في حياة الجهاد، والكفاح، والدعوة، والمجاهدة، والحصار، فرضى الله عنه وأرضاه، وجمعنا بها مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في جنات ونهر، قلت ما سمعتم فاستغفر والله يا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع إخوانه أما بعد:

أيها المؤمنون: وكانت إلى جانب مودتها أم المؤمنين خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم ونصرته له، فقد كانت ولودا فقد أنجبت للنبي -عليه السلام- كل أولاده إلا ابنه إبراهيم الذي أنجبتة مارية القبطية، وأولاد النبي من السيدة خديجة هم: **القاسم:** وهو أول أولاد الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولادة ووفاة؛ فقد توفي صغيرا، وكان الرسول يكنى به، وورد أنه توفي في مكة، إلا أنه لم يذكر إن كان توفي قبل البعثة، أم بعدها. ومن أولادها **عبدالله:** وقد ولد بعد البعثة؛ ولذلك لقب بالطاهر والطيب، وتوفي وهو صغير. ومن أولادها زينب: وهي كبرى بنات النبي -عليه السلام-، تزوجت من ابن خالتها أبي العاص بن الربيع، وأنجبت منه عليا وأمامه، وأعلنت إسلامها، وهاجرت مع النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة، وتوفيت في السنة الثامنة من الهجرة. ومن أولادها **رقية:** ولدت حين بلغ الرسول -صلى الله عليه وسلم- ثلاثا وثلاثين سنة من عمره، وقد تزوجت من عتبة بن أبي لهب، إلا أنه فارقها قبل الدخول بها بعد نزول قول الله -تعالى-: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ

﴿١﴾ مَا أَعْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَاتُهُ

حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ [المسد: ١ - ٥]، ومن

ثم تزوجها عثمان بن عفان، وهاجرت معه إلى الحبشة، وأنجبت منه عبدالله وكني به، ومات عبدالله بعد أن بلغ العامين، كما هاجرت رقية إلى المدينة المنورة، وتوفيت في شهر رمضان بعد مرور سبعة عشر شهرا من هجرة الرسول؛ على إثر مرض أصابها، ومن أولادها أم كلثوم: أسلمت أم كلثوم حين أسلمت والدتها السيدة خديجة، وبايعت رسول الله، وهاجرت إلى المدينة، وقد تزوجت من عثمان بن عفان في السنة الثالثة للهجرة بعد وفاة أختها رقية، وكان عتيبة بن أبي لهب قد طلقها قبل الدخول بها، ولم تتجب من عثمان، وتوفيت في شهر شعبان من السنة التاسعة للهجرة. ومن أولادها فاطمة: وهي صغرى بنات الرسول - صلى الله عليه وسلم - على الصحيح من الأقوال، وقيل إن أم كلثوم هي الصغرى، ولدت فاطمة قبل البعثة، وتزوجت من علي بن أبي طالب في شهر ذي القعدة أو قبله بقليل في السنة الثانية للهجرة بعد غزوة بدر، وأنجبت منه الحسن، والحسين، وأم كلثوم، وزينب، وكانت فاطمة أول أهلها وفاة بعد أبيها، وروي عن أم المؤمنين عائشة في صحيح البخاري أنها قالت: "دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة عليها السلام في شكواه الذي قبض فيه، فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت، فسألنا عن ذلك فقالت: سارني النبي صلى

الله عليه وسلم أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني أنني أول أهله يتبعه فضحكت"

أيها المؤمنون: أما وفاء النبي لأُم المؤمنين خديجة رضى الله عنها فقد كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- شديد الوفاء لها، فذكان يصرح بمحبته لها، ففي صحيح مسلم حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة وإني لم أدركها قالت ... قالت فأغضبته يوما فقلت خديجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني قد رزقت حبها" ومن حب الرسول عليه السلام للسيدة خديجة ووفائه لها أنه كان يرسل من لحم الشاة التي يذبحها إلى صديقات خديجة تكريماً لزوجته خديجة، وروت عائشة -رضي الله عنها- في ذلك: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة، فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة" رواه مسلم، وفي صحيح مسلم أيضاً عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال: "اللهم هالة بنت خويلد فغرت فقلت وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر فأبدلك الله خيراً منها"، وكان صلى الله عليه وسلم يذكر فضائلها وأن الله رزقه منها الأولاد، ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على

خديجة ... ربما قلت له كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: "إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد"، وكان صلى الله عليه وسلم يذكر موافقها معه من بداية الدعوة، ومواساتها له في كل مراحل حياته ودعوته المختلفة، فقد روى الإمام أحمد بسند حسن عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء قالت فغرت يوماً فقلت ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها قال: "ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس. وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بماله إذ حرمني الناس ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء"

أيها المؤمنون: وتقيراً لموافقها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و نصرته لدين الله عزوجل فقد استحققت البشارة بالجنة من رب العالمين سبحانه وتعالى ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة أنه قال: "أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله: هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه، ولا نصب"، والمقصود بالقصب: اللؤلؤ المجوف الواسع، ومعنى "لا صخب فيه، ولا نصب" أي لا ضجيج فيه ولا تعب، وقد توفيت - رضي الله عنها - في رمضان قبل الهجرة بأعوام ثلاثة، في نفس العام الذي توفي فيه أبو طالب: عام الحزن كما سماه رسول

الله صلى الله عليه وسلم ، حيث فقد فيه المعين والسند، بعد رب العالمين .
ودفنت بالحجون، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرتها التي دفنت
فيها، وكان موتها قبل أن تشرع صلاة الجناز.

أيها المؤمنون: وإذا كان إلى جانب كل رجل عظيم امرأة يعتمد عليها في
جهاده، وفي الوصول إلى أهدافه، فقد كانت خديجة تلك السيدة العظيمة التي
ناصرت النبوة، وعاونت على رفع راية الإسلام، وجاهدت في سبيل الدعوة
الإسلامية. لم تخذل زوجها يوما من الأيام، بل كانت الأولى في كل شيء،
في سماحة الخلق، وجمال الطلعة، ووفاء الزوجة، وشرف النسب وكرم المحتد
والإيمان الثابت والنفس المخلصة والقلب السليم، وقد سخرت كل ذلك لنصرة
هذا الدين والدعوة إليه فكانت مثالا للزوجة الصالحة، وللأم الحانية، وللمسلمة
الصادقة، فما أخرى نساء المسلمين في عصر ومصر أن يقتدوا بسيرها
ويقتفوا آثارها، في زمان قلت فيه القدوات، من المؤمنين والمؤمنات. وصدق
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: « كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل
من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وإن فضل عائشة
على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » رواه البخاري ومسلم.
الدعاء.....

الحقوق الزوجية

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

أيها الناس: إننا في زمان فسدت فيه الأخلاق، وساءت فيه العشرة الزوجية بين معظم الأزواج، والإسلام لم يغفل عن هذا الجانب، فقد وضع حقوقا وواجبات على الزوجين، وهذه الحقوق منها ما هو مشترك بين الزوجين، ومنها ما هو حق للزوج على زوجته، ومنها ما هو حق للزوجة على زوجها؛ وذلك لأن الحياة الزوجية بحقوقها وواجباتها والتزاماتها لتمثل بناءا ضخما جميلا يعجب الناس منظره، وإن أي نقص في أي حق من الحقوق الزوجية، سواء كان حقا مشتركا أو خاصا، يسبب شرخا عظيما في بناء الأسرة المسلمة، وهذا النقص لا يعود أثره على الزوجين فقط، بل إن هذا التقصير أو النقص في هذه الحقوق سيكون أثره على الأبناء والبنات، فإن الولد إذا كان يصبح ويمسي على شجار وخلاف بين والديه، فيرى الابن أباه لا يقوم بحق أمه حق القيام، وترى البنت أمها لا تقوم بحق والدها حق القيام، لا شك

أن هذا سيورث عندهما تصورا خاطئا وسيئا ويجعل الأب والأم في قفص الاتهام دائما من قبل الابن أو البنت، وإن الزوجين إذا التزما منهج الإسلام الكامل في الحقوق الزوجية عاشا في ظلال الزوجية الوارف سعداء آمنين. لا تعكرهما أحزان المشاكل؛ ولا تقلقهما حادثات الليالي.

أيها المؤمنون: والحقوق الزوجية ثلاثة:

١- حق الزوجة على زوجها.

٢- حق الزوج على زوجته.

٣- حقوق مشتركة بينهما.

وسنبداً بذكر بحقوق الزوجة على زوجها؛ لأن بعض النساء قد يقلن: أنتم الرجال تؤكدون على حقوقكم دائما وتهملون حقوقنا؛ لذلك سنبداً بذكر حقوق الزوجة على زوجها فنقول: إن الزوجة فراش زوجها، وموضع سره، وأسيرة بيته، إنها موطن المودة والرحمة التي قال الله عنها: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، وهي موضع قضاء وطره، وإعفاف نفسه، إنها طاهية طعامه، وكانسة منزله، ومنظفة ملابسه، ومرتبة حاله، ومربية أولاده، لهذا أوجب لها الشارع الحكيم جملة من الحقوق على زوجها، ومن حقوقها على زوجها ما يلي:

الحق الأول: توفيتها مهرها كاملا امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: ٤] فالخطاب في هذه الآية موجه للأولياء وللأزواج، فلا يجوز للزوج ولا لغيره من أب أو أخ أن يأخذ من مهرها شيئا إلا برضاها، والله قد أعطاها حرية التملك، فللمرأة في الشرع أن تملك وأن تتصرف في مالها كما تريد، فإذا أخذت مال زوجتك بغير رضاها كأنك تأخذ مال غيرك بغير وجه حق، ولا يبرر لك كونك زوجها أن تعتدي على مالها، فإذا طابت نفس المرأة عن شيء من المهر، أو عن شيء من مالها من باب التطوع والمشاركة الوجدانية في الأسرة وفي تكاليفها فلا بأس، وهذا الذي ينبغي أن يكون، فعندما تعطي الزوجة جزء من مالها لزوجها بدون ضغط أو إكراه من أحد، وتساهم بذلك في نفقات البيت، فإن ذلك من أسباب دوام العشرة الزوجية، أما حينما تكون مادية بحتة ولا تساهم في شيء من نفقات البيت، مع وجود الأموال بين يديها، هنا قد يتغير قبل الزوج عليها وبالتالي تتولد المشاكل الزوجية بينهما. صحيح أنه لا يجوز للزوج أن يأخذ في مال زوجته بغير رضاها، وهي غير مكلفة شرعا بالنفقة على أسرتها، لكن من الناحية الأدبية ينبغي أن يكون لها مشاركة في تكاليف الحياة مع زوجها، وخاصة وهي تراه يتعب، ويصرف كل دخله على الأسرة، وبهذه المشاركة تدوم الحياة والألفة والسعادة على الأسرة

عندما يكون هناك نوع من التضامن، والتعاون، والتكاتف على القيام بشئون الأسرة وإسعادها.

الحق الثاني:: المعاشرة بالمعروف: لأن الله أمر بهذا وقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا

﴿ [النساء: ١٩] ، والمعروف: هو الذي يتفق مع مبادئ الشرع؛ من الكلمة الطيبة، والعبارة الرقيقة، والبسمة الحانية، والتعامل الحسن، والبحث عن أفضل ما عندك لزوجتك؛ عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، فالذي ليس فيه خير لأهله ليس فيه خير للناس؛ لأن بعض الناس تجده ذا أخلاق حسنة وتعامل جيد، مع الناس، لكنه إذا دخل بيته ترك كل هذه الأخلاق عند الباب، وأساء أخلاقه مع أهله داخل بيته، وهذا كله من سوء الخلق، ومن سوء العشرة، ومنها التغاضي عن بعض زلاتها وعدم تعقب أمورها صغيرها وكبيرها، وعدم التوبيخ والتعنيف في كل شيء، فعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل له قط أف: "ولا قال لشيء فعلته لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله لا فعلت كذا" رواه البخاري ومسلم، مومن حسن العشرة أن تحترم رأيها فلا لا يهينها سواء بحضرة أحد أم لا. ومن حسن العشرة إذا صدر منك الخطأ أن تعتذر منها كما تحب أنت أن نعتذر منك إذا أخطأت عليك، وهذا لا ينقص من شخصك أبدا بل يزيدك

مكانة ومحبة عندها، ومن حسن العشرة التوسيع بالنفقة عليها وعلى عيالها لمن كان له القدرة على ذلك، ومنها استشارتها في أمور البيت وخطبة البنات وزواج الأبناء، وقد أخذ النبي بمشورة أم سلمة يوم الحديبية، ومن ذلك أن يكرمها في أهلها عن طريق الثناء عليهم بحق أمامها ومبادلتهم الزيارات ودعوتهم في المناسبات، ومنها أن يمازحها ويلطفها، ويدع لها فرصا لما يحلو لها من مرح ومزاح، وأن يكون وجهه طلقا بشوشا، وأن إذا رآها متزينة له لابسة لباسا جديدا أن يمدحها ويبين لها إعجابه فيها، فإن النساء يعجبهن المدح.. ومن المعاشرة بالمعروف: أن يتزين لها كما يحب أن تتزين له، ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف، ومنها أن يشاركها في خدمة بيتها إن وجد فراغا، ففي صحيح البخاري عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي يكون في مهنة أهله -يعني خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة".

أيها المؤمنون: اعلّموا أن حسن العشرة مع الزوجة، لا يعني أن يتساهل المرء في حق من حقوق الله، وعليه أن لا يوافق هواها إذا أدى بها عن دائرة المعروف وأخرجها إلى دائرة المكروه والمحرم، بل عليه أن يقفل باب المنكرات في بيته فإنه مسؤول عن ذلك. قال الله -تعالى-: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِتٍ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَأَوْلَدِهِمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ

عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ [التغابن: ١٤ - ١٥]، وفي الصحيحين عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيته والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته قال وحسبت أن قد قال والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته "

الحق الثالث: النفقة عليها: وهذه النفقة تتناول نفقة الطعام والكسوة، والعلاج والسكن لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا

وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وجعل الله عز وجل من مسؤوليات الرجل الإنفاق

فقال وقال عز وجل: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ اللَّهُ قَلْبَهُمْ فَحَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ

اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، فما دام أنك القوام عليها فعليك أن تدفع النفقة، و

يكون الإنفاق على حسب قدرة الرجل، قال الله عز وجل: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن

سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ

اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، والنفقة على المرأة أمر نسبي يخضع

لظروف معيشة المجتمع، ولظروف دخل الرجل، فكلما كان في دخله زيادة

فيجب عليه أن يوسع على أهله، ومن ضيق عليه في رزقه، فتكون، نفقته

على قدر دخله وعلى قدر موارده، وعلى المرأة ألا تحمل زوجها ما لا يطيق،
وآلا تقارن به الآخرين، وتقول: أنت لست مثل فلان ولا علان، وبيت آل
فلان لديهم كذا وكذا ، فال فلان قد يكون دخله مرتفع وزوجها دخلته
متواضع، فما ذا يفعل هل يذهب ويسرق لكي أصبح مثل آل فلان؟ هذا لا
يجوز في شريعة الله عز وجل، وإنما ينفق الرجل مما أتاه الله عزوجل.

الحق الرابع: حق تعليمها أمور دينها: من أجل وقايتها من النار امتثالاً
لقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا . قال علي في قوله
تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا
مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم:

٦]، وكذلك يخبر أهله بوقت الصلاة وأمر أهلك بالصلاة ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ
بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلنَّوَى ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢

]. وقد قال الله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا
بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [يونس: ٨٧] ،

والمقصود اتخاذ البيت مكانا للعبادة . قال ابن عباس: أمروا أن يتخذوها
مساجد، قال ابن كثير: " وكان هذا - والله أعلم - لما اشتد بهم البلاء من
قبل فرعون وقومه ، وضيقوا عليهم، أمروا بكثرة الصلاة كما قال الله تعالى :
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة:

[١٥٣] ، وبهذا يبين أهمية العبادة في البيوت وخصوصا في أوقات انتشار الفساد. وتذكر في هذا المقام أيضا محراب مريم وهو مكان عبادتها الذي قال الله فيه : ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرَأَتُ إِنِّي لَلْهَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] " وتعليم الأهل أمور دينهم في البيوت أمر يغفل عنه كثير من الأزواج، ويتعامل مع زوجته على أنها عالمة بأمور دينها، حتى لو كانت عالم بذلك، فلا بد من تذكيرها بأمور الدين؛ لأن الله قال: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤] وتعليم المرأة أمور دينها، يقضي على كثير من المشاكل الأسرية، وكم من معضلة وقعت في الأسر بسبب جهل المرأة بهذه المسألة، ولو كانت تعلمت أمور دينها ما وقعت، ولو كانت على علم بأمر الله فيها ما أوقعت نفسها ولا زوجها في هذه المشاكل، فمن حقها علن زوجها أن تعلمها أمر دينها، وأن تعلمها ما يصلح حالها في الدنيا والآخرة، وإذا كان الزوج لا يستطيع تعليم امرأته فلييسر لها أسباب التعليم عند غيره من أماكن التعليم الهادف، فتتعلم ما أوجب الله عليها ومعرفة ما نهاها الله عنه، والمصيبة إذا كان الزوج لا يعلم امرأته أمور دينها ولا يسمح لها بتعلم ذلك؛ فهي الطامة الكبرى، وخاصة إذا كان الزوج متساهلا في أمور دينه، وأهله يتعلمون منه ذلك، لأن الزوج قدوة لأهل بيته في أمور دينهم، والقدوة من أخطر وسائل التربية، عن فضيل بن عياض قال: رأى مالك بن دينار رجلا يسيء صلاته، فقال: ما أرحمني

بعياله، فقيل له: يا أبا يحيى يسيء هذا صلاته وترحم عياله؟ قال: إنه كبيرهم ومنه يتعلمون،

الحق الخامس: أن يغار عليها في دينها وعرضها، إن الغيرة أخص صفات الرجل الشهم الكريم، وإن تمكنها منه يدل دلالة فعلية على رسوخه في مقام الرجولة الحقة والشريفة، وليست الغيرة تعني سوء الظن بالمرأة والتفتيش بعدها في كل صغيرة وكبيرة، عن جابر بن عتيك: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يبغض الله: فأما التي يحبها الله؛ فالغيرة في الريبة.

وأما الغيرة التي يبغضها الله؛ فالغيرة في غير ريبة" رواه أبوداود وحسنه الألباني، وقد نظم الإسلام أمر الغيرة بمنهج قويم: أن يأمرها بالحجاب حين الخروج من البيت، أن تغض بصرها عن الرجال الأجانب، ألا تبدي زينتها إلا للزوج أو المحارم، ألا تخالط الرجال الأجانب ولو أذن بذلك زوجها، أن لا يعرضها للفتنة كأن يطيل غيابه عنها، أو يشتري لها أدوات الفحش والخنا.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع إخوانه أما بعد:

فيا عباد الله: فكما أن للزوجة حقاً على زوجها، فللزوجة حق على زوجها ، ومن هذه الحقوق.

الحق الأول: طاعته بالمعروف: على المرأة أن تطيع زوجها فيما يأمرها به في حدود الشرع وبحسب طاقتها واستطاعتها. وهذه الطاعة أمر طبيعي تقتضيه الحياة المشتركة بين الزوج والزوجة، ولا شك أن طاعة المرأة لزوجها يحفظ كيان الأسرة من التصدع والانحيار، وتبعث إلى محبة الزوج القلبية لزوجته، وتعمق رابطة التآلف والمودة بين أعضاء الأسرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله : "إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت" رواه ابن حبان بسند صحيح، فطاعة الزوج شيء مقدم على كل أمر ما لم يتعارض مع أمر الله، حتى أمر الوالد وأمر الوالدة، فلو أمرها أبوها بأمر وأمرتها أمها بأمر، وزوجها قال: لا. فلا تقدم أمر أحد على أمر زوجها، ولتعلم المرأة المسلمة أن الإصرار على مخالفة الزوج يوغر صدره، ويجرح

كرامته، ويسيء إلى قوامته، والمرأة المسلمة الصالحة إذا أغضبت زوجها يوما من الأيام فإنها سرعان ما تبادر إلى إرضائه وتطيب خاطره، والاعتذار إليه مما صدر منها. ولا تنتظره حتى يبدأها بالاعتذار، فطاعة الزوج ليست أمرا اختياريًا، ولا أمرا مزاجيا بمزاج المرأة تطيع أو لا تطيع، لا. إذا قالت الزوجة -مثلا- لزوجها: أريد أن أذهب إلى الجيران، فقال: لا انتهى الأمر ولا تلح عليه كثيرا في هذا الجانب؛ لأن ذلك قد يوغر صدره عليها، وقد يوجب المشاكل الأسرية بينهما، إن على المرأة العاقلة إذا أرادت أن تطلب من زوجها طلبا فلتجعل طلبها عن طريق العرض، فتقول له مثلا ما رأيك يا أبا فلان أن نفعل كذا كذا، فهذه الطريقة ربما تكون أدعى للقبول من الزوج، وقد تقول بعض النساء: لماذا أطيع زوجي؟ نقول لها: لأن الله أمرك بهذا، وحدود الطاعة أن تكون بالمعروف، أما في المعصية فلا، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

الحق الثاني: مراعاة كرامته وشعوره: فلا يرى منها في البيت إلا ما يحب، ولا يسمع منها إلا ما يرضى، ولا يستشعر منها إلا ما يفرح. والزوج في الحقيقة إذا لم يجد في بيته الزوجة الأنيقة النظيفة اللطيفة ذات البسمة الصادقة، والحديث الصادق، والأخلاق العالية، واليد الحانية والرحيمة فأين يجد ذلك؟ وأشقى الناس من رأى الشقاء في بيته وهو بين أهله وأولاده، وأسعد الناس من رأى السعادة في بيته وهو بين أهله وأولاده، عن سعد بن أبي

وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أربع من السعادة المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنيء، وأربع من الشقاء الجار السوء والمرأة السوء والمركب السوء والمسكن الضيق" رواه ابن حبان في صحيحه

الحق الثالث: المحافظة على عرضه وماله: قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَتُ

قَنِينَتُ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]، وحفظها للغيب أن تحفظه في ماله وعرضه. فقد روى أبو داود والنسائي بسند فيه ضعف عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها طاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله".

الحق الرابع: قيامها ببر أهل زوجها: وهذه من أعظم الحقوق على الزوجة، وهي أقرب الطرق لكسب قلب الزوج، فالزوج يحب من امرأته أن تقوم بحق والديه، وحق إخوانه وأخواته، ومعاملتهم المعاملة الحسنة، فإن ذلك يفرح الزوج ويؤنسه، ويقوي رابطة الزوجية.

الحق الخامس: أن تشكر له ما يجلب لها من طعام وشراب وثياب وغير ذلك مما هو في قدرته. وتدعو له بالعوض والإخلاف ولا تكفر نعمته عليها، ومن حقه عليها ألا تطالبه مما وراء الحاجة وما هو فوق طاقتها فترهقه من أمره عسرا بل عليها أن تتحلى بالقناعة والرضى بما قسم الله لها من الخير.

الحق السادس: قيامها بحق الزوج وتدبير المنزل وتربية الأولاد. قال أنس :
كان أصحاب رسول الله إذا زفوا امرأة إلى زوجها يأمرونها بخدمة الزوج
ورعاية حقه، وتربية أولاده.

تلكم أهم الحقوق التي تجب على الزوجة مراعاتها والقيام بها، أما الحقوق
المشتركة بين الزوجين فأجملها:

١- التعاون على جلب السرور ودفع الشر والحزن ما أمكن.

٢- التعاون على طاعة الله والتذكير بتقوى الله.

٣- استشعارهما بالمسؤولية المشتركة في بناء الأسرة وتربية الأولاد.

٤- إلا يفشي أحدهما سر صاحبه، وألا يذكر قرينه بسوء بين الناس سواء
كان الشخص قريباً أم بعيداً. حتى والديك أو والديها فإن المشاكل البيتية تحل
بسهولة ويسر ما لم تخرج المشكلة خارج البيت حينها يصعب حلها وتتعدد
أكثر وأكثر.

عند أبي داود بسند صحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: "ألا هل عست امرأة أن تخبر القوم بما يكون من
زوجها إذا خلا بها؟! ألا هل عسى رجل أن يخبر القوم بما يكون منه إذا
خلا بأهله؟ ! فقامت منهن امرأة سفعاء الخدين فقالت : والله ! إنهم
ليفعلون، وإنهن ليفعلن! قال : فلا تفعلوا ذلك، أفلا أنبئكم ما مثل ذلك ؟ !
مثل شيطان أتى شيطانة بالطريق؛ فوقع بها والناس ينظرون!".

أيها الأزواج: تلکم أبرز حقوق الزوجين في الإسلام، فإذا قمتم بها كما أمر الله تعالى، كانت المحبة رائدکم، والتعاون سبيلکم، وإرضاء الله سبحانه وتعالى غایتکم. وتربية أولادکم على الإسلام هدفا أساسيا من إهدائکم، بل عاش الواحد منکم مع زوجه في الحياة كنفس واحدة في التصافي والتفاهم والمودة. وفي الأخير أذكركم أن الله تعالى أبی أن تكون هذه الدنيا كاملة في لذتها وفرحها ومتعتها وزینتها، فلا بد أن يحصل شيء ما من الكدر والضيق، ولعل من حکمة الله تعالى في ذلك أن يتذكر المسلم بنقصان نعيم الدنيا كمال نعيم الآخرة. والله اسأل أن يوفق الزوجين على القيام بحقوقهما. عسى أن يعيشا معا في ظل الإسلام حياة زوجية سعيدة.

الدعاء.....

الطلاق .. هادم للبيوت

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

أيها المؤمنون: وإن المتأمل في كتاب الله الكريم يجد أن الله عز وجل قد فصل فيه أحكام الأسرة، والعلاقات الزوجية تفصيلا دقيقا لم يفصله في الصلاة والزكاة والصيام، وقد أفرد فيه سورا تتحدث عن هذه القضايا فهذه سورة تسمى بسورة "الطلاق" وسبققتها، في الحديث عن أحكام الأسرة وبيان العلاقات الزوجية سورة البقرة والنساء والأحزاب وغيرها من سور متفرقة في القرآن الكريم؛ وما ذلك إلا ليعلم كل من الزوجين أن الذي يحكم بينهما، ويضع ضوابط نظام الحياة الزوجية والعلاقات الأسرية، إنما هو الله جل جلاله، فلا يحق لأحد الزوجين الإعراض عن أمر الله سبحانه وتعالى بأي حجة من الحجج، قال الله عز وجل ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ومما فصله القرآن الكريم مسائل الزواج وما يتعلق به؛ وذلك لأن الله شرع الزواج لإسعاد عباده و تلبية لحاجاتهم الإنسانية، واستدامة لسلالتهم البشرية، و جعله من آياته الدالة على قدرته ورحمته وحكمته يقول

سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا

وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١]

[، وأعظم الله من شأن الزواج فسماه ميثاقا غليظا؛ كما قال

سبحانه: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ

مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١]، ولقد حمى الإسلام الزواج بسياج من

النصائح والإرشادات، وحصن من الأوامر والتوجيهات، حتى لا تطرأ على

الحياة الزوجية أمور تجعلها في خطر عظيم وشر جسيم، فيتصدع البنيان،

وتخر الأركان، وتتهدم البيوت.

عباد الله: إن العشرة الزوجية ضرب خاص من المحبة في النفس، ليس له

في أنواعه مثل، فهو الذي يسكن به الزوجان، وهو الذي يلتقي به بشران،

فيكون كل منهما متما لوجود الآخر، ينتجان بالتقائهما بشرا مثلهما، قال

تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ

وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفِيَالِبَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل: ٧٢]

[، ولو أحب الأزواج أنفسهم حبا صادقا، وسكن بعضهم إلى

بعض، لود كل منها الآخر؛ لأن المودة بين الزوجين سبب من أسباب سعادة

المجتمع، وسعادة المجتمع سبب من أسباب سعادة الأمة ، فمن لا خير فيه

لأهله لا خير فيه لأمته، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" أخرجه الترمذي بإسناد صحيح.

عباد الله: قبل الإقدام على الزواج يدعو الإسلام لحسن اختيار الزوجة؛ لأنها ستشاطر زوجها الحياة الزوجية، وستساهم في سعادته أو شقائه، وحدد لها الإسلام مواصفات وعلى رأسها الدين والخلق، ومن المعلوم بداهة أنه لا يرغب في الظفر بذات الدين والخلق، إلا من كان قلبه معلقاً بالدين، وكانت نفسه من النفوس الزكية، ومن هذه حاله، فلا غرو أن يرزق المودة بينه وبين زوجته؛ لأنها من ثمرات المشاكلة في السجايا والصفات الفاضلة، وعلى العكس من ذلك، المشاكلة في الصفات الرديئة، والسجايا الدنيئة، فهي لا تثمر محبة، ولا تورث تودداً قال صلى الله عليه وسلم كما في الحديث المتفق على صحته "فاظفر بذات الدين تربت يداك"، فهذه هي الزوجة التي يحث الشارع على تحصيلها والرضا بها، ويدعو على من أراد غيرها، وزهد فيها ورغب عنها، بأن تلتصق يداها في التراب.

عباد الله: جعل الإسلام المرأة الصالحة من خير متاع الدنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير متاع الدنيا المرأة الصالحة" رواه مسلم؛ ذلك أنه لا شيء يخفف أثقال الحياة، وأوزار المتاعب، عن كاهل الزوجين، ولا شيء يعزي الإنسان عن مصابه في نفسه وغيره مثل المرأة للرجل، والرجل للمرأة؛ فيشعر المصاب منهما بأن له نفساً أخرى، تمدّه بالقوة، وتشاطره مصيبتَه،

فهذه أم المؤمنين خديجة . رضي الله عنها . زوج النبي، كانت له في المحنة قلبا عظيما، وما زالت معه صلى الله عليه وسلم بمالها تواسيه، وبكلامها تسليه، فلما رجع من الغار خائفا وهو يقول " زملوني زملوني" فقالت " كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك تصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق" متفق عليه، وهذه أم سليم بنت ملحان الأنصارية امرأة عاقلة من نساء الصحابة رضي الله وهي أم أنس بن مالك، حدث عنها ولدها أنس قائلًا: مرض أخ لي من أبي طلحة، يدعى أبا عمير، فبينما أبو طلحة في المسجد، مات الصبي، فهيات أم سليم أمره، وقالت: لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه، فرجع من المسجد، وقد تطيب له وتصنعت، فقال: ما فعل ابني؟ قالت: هو أسكن مما كان، وقدمت له عشاءه، فتعشى هو وأصحابه، ثم أتتا ليلتهما على أتم وأوفق ما يكون، فلما كان آخر الليل قالت: يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل فلان، استعاروا عارية فتمتعوا بها، فلما طلبت إليهم شق عليهم، قال أبو طلحة: ما أنصفوا. قالت: فإن ابنك فلانا، كان عارية من الله فقبضه إليه، فاسترجع وحمد الله وقال: والله لا أدعك تغلبيني على الصبر. حتى إذا أصبح، غدا على رسول الله فلما رآه قال: "بارك الله لكما في ليلتكما" متفق عليه، لله أكبر! بمثل هذا فلتكن العشرة وبمثل هذا فلتكن الحياة الهائلة السعيدة، في النفس والولد والمال، إنه متى كان الدين بين كل زوج وزوجته، فمهما اختلفا وتدابرا،

وتعقدت نفسيهما، فإن كل عقدة من العقد لا تجيء إلا ومعها طريقة حلها، وقد دعا الإسلام للوصية بالنساء فقال صلى الله عليه وسلم: "استوصوا بالنساء خيرا" متفق عليه، وبعد كل هذه التوجيهات الإسلامية فما أحق الرجل يسيء معاشرته امرأته! وما أحق المرأة تسيء معاملته زوجها.

أيها المؤمنون: واعلموا أن أعظم ما يهدد الحياة الزوجية: التساهل بأمر الطلاق، فكم هدم الطلاق من بيوت، وفرق من أسر، وقطع من أرحام، وجلب من آثام! وإن الناظر في ظاهرة الطلاق ليرى عجا عجابا، إذ أصبح الطلاق ألعب في أيدي العابثين، ومساغا سهلا في أفواه المتهورين؛ الذين لا يعرفون للحياة الزوجية معنى، ولا يقيمون لها وزنا، يتزوجون اليوم ويطلقون غدا. استخفافا بهذه الرابطة الربانية، وللأسف الشديد تساهل كثير من الأزواج بألفاظ الطلاق، فتجد بعضهم يحلف بالطلاق على كل صغيرة وكبيرة، فيقول: علي الطلاق لا أفعل كذا وكذا، وقد يقع منه الطلاق مرارا وتكرارا وهو لا يهتم بما يقول وما يفعل، ولا يسأل عما قاله، فتكون معاشرته لزوجته بالحرام، وأي مصيبة أعظم من هذا. وقد يقع في طلاق الكناية، مثل قوله لزوجته بعد شجار يحصل بينهما اذهبي إلى أهلك، فإن نوى الطلاق كان طلاقا وإن لم ينو لا يقع طلاقا، أوقد يظاهر زوجته فيقول: حرام علي زوجتي، أو يقول: أنتي علي مثل أمي، ومن يتساهل في أمور كهذه يقع بعد ذلك بالحر والضييق، فيذهب يبحث عن الفتاوى هنا وهناك وهذا من اللعب بمثل هذه الألفاظ التي

تبنى عليها أحكام شرعية، فينبغي التنبه لذلك، والاحتراز من إطلاق مثل هذه الألفاظ.

أيها المؤمنون: إن الطلاق كلمة يهدم بها صرح الأسر والبيوت، إنها كلمة تنقل صاحبها من سعادة وهناء، إلى محنة وشقاء، إنها كلمة أبكت عيوننا، وأجهشت قلوبنا، وروعت أفئدة، إنها كلمة صغيرة الحجم، لكنها جليلة الخطب، إنها كلمة ترعد الفرائص بوقعها، وتقلب الفرح ترحا والبسمة غصة، إنها كلمة الطلاق، وما أدراك ما الطلاق؟! كلمة الوداع والفرق، والنزاع والشقاق، فله كم هدمت من بيوت للمسلمين! وكم قطعت من أواصر للأرحام والمحبين! يالها من ساعة رهيبة، ولحظة أسيفة، يوم تسمع المرأة طلاقها، فتكفكف دموعها، وتودع زوجها! يالها من لحظة تجف فيها المآقي، حين تقف المرأة على باب دارها، لتلقي النظرات الأخيرة، نظرات الوداع على عش الزوجية، المليء بالذكريات الجميلة، يا لها من لحظة عصيبة، حين تقتلع السعادة أطنابها، من رحاب ذلك البيت المسلم المبارك.

أيها المؤمنون: إن أسعد اللحظات عند الشيطان، عندما يرى أسرة مسلمة وقع فيها الطلاق، فيتشرد الأطفال، ويتمزق شمل الأسرة؛ لهذا كان الطلاق أبغض الحلال عند الله الطلاق، وما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق، في حين أن أحب شيء إلى إبليس هو الطلاق، فإن أحب أعوانه إليه، وأقربهم منه منزلة، من ينجح في التفريق بين الزوجين بالطلاق، فيسلم إبليس

جائزته لمن نجح من شياطينه في هذا العمل البغيض إلى الله تعالى، روى الإمام مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويقول نعم أنت فيلتزمه" فانظروا عباد الله: كيف يفرح إبليس بالتفريق بين الزوجين حتى أن أتباعه الذين قد ينجحون في إشعال فتن وإراقة دماء لا يعتبرهم قد قدموا عملاً مرضياً له بقدر ما يرضيه ذلك الشيطان الذي نجح في التفريق بين زوجين فصار مقرباً منه؛ وذلك لأن فراق الرجل لأهله أقبح شيء، والشيطان يفرح بالطلاق لما يترتب عليه من مفسد.

عباد الله: بناء الأسرة فوق كل بناء ، وأهم من كل بناء؛ لأنه بناء مقدس. لهذا عمل الإسلام على حماية هذا البناء قبل أن يتصدع البناء، فجعل الإسلام الطلاق في يد الرجل؛ لأنه أقدر من المرأة على ضبط الأمور، وأكثر تؤدة. من أجل الحد من كثرة الطلاق والتسرع فيه، ودعا إلى معالجة النشوز في الأسرة قبل أن يستفحل ويصل تصل الأمور إلى الطلاق، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بالخوف في أكثر من موضع فمجرد الخوف يستدعي الإسراع في إنقاذ الأسرة من الوقوع في الطلاق، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضَرُّوهُنَّ فَإِنَّ أَطْعَنَكُمْ فَلَا تُبْغُوا عَلَيْهِنَّ

سَيِّئًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [النساء: ٣٤] فمجرد الخوف يستدعي الأخذ بأسباب لعلاج النشوز المرأة، كما لو امتنعت من فراشه أو خرجت من دارة بغير إذنه، أو ظهر منها ما يهدد دوام الزوجية واستمرارها فيشرع في هذه الحالة معالجة النشوز بالوعظ أولا لهذا قال تعالى: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ الوعظ خطاب للعاطفة والمرأة أكثر عاطفة من الرجل من هنا كان خطاب العاطفة للمرأة أقرب للمشاعر، وأهدى للنفس فمن النساء من يكفيها الوعظ فترجع عن نشوزها، فإن تمادت في نشوزها شرع الإسلام الخطوة الثانية لعلاج النشوز وهي الهجر فقال تعالى: ﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ والهجر في المضجع لا في الكلام؛ لأن الهجر في الكلام منهي عنه إذا زاد عن ثلاثة أيام، أما الهجر في المضجع فقد يستمر شهرا، والهجر في المضجع يجعل الذين يعيشون معها لا يشعرون بشيء، وخصوصا الأولاد حفاظا عليهم من العقد النفسية، وهجرها في المضجع عقوبة للزوجين معا من الناحية الجسدية ولكنه من الناحية النفسية للمرأة أشد؛ لأنها على يقين من ضعفها، لذلك تستخدم فتنتها مع الزوج بدلا من القوة، وهي مطمئنة أن سلاح الفتنة أقوى، فإذا قاربت الرجل مضاجعة له، وهي في أشد حالاتها إغراء، ثم لم يستجب لها فسوف ترى الرجل في أقدر حالاته، ويكون جديرا بهيبته وإذعانها . فهذا تأديب نفسي وليس تأديبا جسديا لها، فإن لم ينفع هذا العلاج شرع الإسلام الضرب قال تعالى: ﴿وَأَصْرِبُوهُنَّ﴾ والمقصود بالضرب

هنا الضرب الغير مبرح لقوله صلى الله عليه وسلم "فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف" رواه مسلم، قد اشترط العلماء أن يكون الضرب مشروطا بالسلامة وله أن يستعمله أو يتركه، وحدده ابن عباس بأن يكون بالمسواك، فهو تأديب معنوي أكثر منه جسدي

أيها المؤمنون: إن الغرض من خطوات التأديب هذه ا هو استمرار الحياة الزوجية وعلاج المشكلات الأسرية، إذا لم تتجح وسائل العلاج الثلاثة السابقة، الوعظ والهجر في المضجع والضرب الغير مبرح، هنا يجب على حكماء الأسرة من أقرباء الزوج أو الزوجة أن يتدخلوا لحل الشقاق والخلاف الحاصل بين الزوجين حفاظا على الأسرة؛ وذلك حتى لا نحقق لإبليس أكبر ما يأمله، . قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا

مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ [النساء: ٣٥]

النساء: ٣٥]. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فينبغي أن يتدخل الحكماء لإنهاء هذه الحالة من الشقاق. وقد يكون النشوز من قبل الرجل فإذا خافت المرأة من زوجها نشوزا أو إعراضا فلتعالج نفسها وبيتها بالمصالحة مع زوجها، دفعا للطلاق قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

أيها المؤمنون: وقد كان صلى الله عليه وسلم يعتتي بعلاج المشكلات الزوجية ويتوسط في حلها، ويصغي لكل من جاء يطلب منه مشورة في ذلك، روى الإمام أحمد في مسنده بسند فيه مقال عن خولة بنت ثعلبة قالت: أنزل الله عز وجل والله في وفي أوس بن صامت صدر سورة المجادلة قالت: كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه وضجر قالت: فدخل على يوما فراجعته بشيء فغضب فقال: أنت على كظهر أمي قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل على فإذا هو يريدني على نفسي قالت فقلت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت: فواثني وامتعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابها، ثم خرجت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه فجعلت أشكو إليه صلى الله عليه وسلم ما ألقى من سوء خلقه قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يا خويلة بن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه" قالت فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه ثم سرى عنه فقال لي يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك ثم قرأ علي ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] إلى قوله تعالى: ﴿وَاللَّكَفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٤]

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مريه فليعتق رقبة قالت فقلت والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال: " فليصم شهرين متتابعين " قالت فقلت والله يا رسول الله انه شيخ كبير ما به من صيام قال: " فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر " قالت قلت والله يا رسول الله ما ذاك عنده قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فانا سنعيه بعرق من تمر قالت فقلت وأنا يا رسول الله سأعيه بعرق آخر قال: " قد أصبت وأحسن فتصدقني عنه ثم استوصي بآبن عمك خيرا " قالت ففعلت " فكانت هذه المرأة حريصة على حل هذه المشكلة وتخشى على ضياع أطفالها فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستشيريه فيما حصل، قلت ما سمعتم فاستغفروا الله يا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه، وأشهد أن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وجميع إخوانه أما بعد:

عباد الله: إن أسباب الطلاق كثيرة ومنها ما يعود إلى أسباب يمكن تلافيها قبل وقوعها، ومن ذلك على سبيل المثال: التعجل في اختيار الزوج أو الزوجين، فلا يتحرى الرجل عن الفتاة، ولا ولي الفتاة عن الرجل، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول للزوج الراغب في الزواج «فاظفر بذات الدين تربت يداك» رواه البخاري، ويقول صلى الله عليه وسلم لولي الفتاة المخطوبة: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» رواه الترمذي بسند حسن غريب، فينتج عن عدم اعتبار الدين والخلق أساسا لقيام العلاقة الزوجية، أن يكتشف الرجل في أهل بيته بعد الزواج خلاا أخلاقيا كبيرا في دينها أو خُلُقها، أو تكتشف هي فيه فعل فواحش الذنوب أو تعاطي المحرمات وفعل الموبقات، ثم يكون مصير تلك الأسرة إلى الانهدام السريع.

ومن أسباب الطلاق مخالفة الشرع في مسألة النظرة الشرعية، فبعض الآباء يرفض النظرة الشرعية للفتاة قبل عقد النكاح فإذا تمت الدخلة فقد يرى الرجل

ما لا يناسبه، أو ترى المرأة ما لا يناسبها أو يلائمها فتحدث النفرة بين الزوجين، ثم تزداد حتى يقع الطلاق. ومنها مخالفة الشرع في مسألة أخذ إذن الفتاة في التزويج، والشرع قد دعا إلى ذلك ففي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "البكر تستأذن قلت إن البكر تستحيي قال إذنهما صماتها" فبعض الأسر ترغب الفتاة على الزواج من فلان بن فلان، فتقدم العادة على الشرع، فتكون العاقبة وخيمة، ويقع الطلاق وتحدث الندامة ولكن بعد فوات الأوان. ومن أسباب الطلاق الغضب، ففي حالة الغضب قد يفقد الإنسان أعصابه ويتقوه بكلمة الطلاق دون أن يدرك عواقبها حال غضبه فيحول الغضب حياته وحياة أولاده إلى جحيم إذا أوقع الطلاق في حالة غضبه، ففكر مليا بما سيجره هذا القرار عليك وعلى أولادك وأطفالك الذين سيعيشون متشردين قلقين بين بيت أهل الأب وأهل الأم، وما يسمعون ويرون من المشكلات والخصومات والنزاعات التي لا تنتهي، ومنها إرهاب المرأة الرجل بكثرة المصاريف والطلبات والنفقات التي تثقل كاهله وهي في غالبها ليست ضرورة وإنما من باب التكميل أو الإسراف وحب المظاهر وتقليد الآخرين. ومنها تدخل أهل الزوجين في شؤونهما وتحريض أحد الطرفين على الآخر، ومنها سوء تعامل الزوجة مع أهل الزوج وبناء العلاقة على أساس من العداوة والبغضاء، أو تعامل أم الزوج وأخواته مع زوجة الابن أو زوجة الأخ على هذا الأساس. ومنها ما

يكون بسبب الطيش وخفة العقل وقصر النظر والتهاون في شأن عقد الزوجية، الذي وصف الله بأنه ميثاقا غليظا، ولو ذهبنا نتتبع الأسباب لطال المقام، لكن فيما ذكر تنبيه على ما لم يذكر.

عباد الله: إن الفائدة من سرد هذه الأسباب أن تكون منبهة على العلاج والدواء، فإن المرض إذا عرف إذا عرف سببه أمكن علاجه بإذن الله، والبعد عن هذه الأسباب، واجتنابها والتحلي بما يضادها مما يوافق الشرع كالخلق الكريم كفيل إن شاء بعلاج هذه المشكلة.

أيها المؤمنون: إن قرار الطلاق ينبغي أن يؤجل إلى أن تنفذ كل وسائل الإصلاح والعلاج، والحلول الممكنة تلافيا لآثاره السيئة، فإن عجز الرجل بعد استخدامه كل هذه الخطوات الاستباقية لمنع الطلاق، ونفذ صبره ألقى على زوجته طلقة واحدة، في طهر لما يجامعها فيه أو أن تكون حاملا، ويشهد على ذلك، وبعد طلاقها لا يخرجها من البيت، ولا يجوز لها أن تخرج، بل تقضي عدتها في بيت الزوج فهي لا تزال زوجته، يرثها وترثه، وله حق إرجاعها دون إذنها، أو إذن وليها، مع الإشهاد على ذلك. يقول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطلاق: ١]، إن الحكمة في عدم خروج المرأة من بيت

زوجها بعد الطلاق الرجعي هي احتمال رجوع الزوج إلى صوابه، وندمه على الطلاق، فيرجع زوجته وتعود الحياة إلى الأسرة من جديد، أما ما اعتاده أكثر النساء عندما تسمع بطلاقها لا ترفع إلى فمها كوب ماء إلا في بيت أهلها، فإن هذا من الخطأ الواضح، بل عليها البقاء في بيت الزوجية تلبس، وتترين لزوجها لعله أن يراجعها.

ومن شروط وقع الطلاق الصحيح أن لا يطلقها في وقت الحيض والنفاس، لأنه وقت لا يمكن فيه تمام استمتاع الرجل بالمرأة بخلاف شأنها في الطهر؛ ولأنها في تلك الأثناء تكون في حالة نفسية يشوبها شيء من الاضطراب والعصبية والتغير وتعكر المزاج فهو مظنة التقصير في حقوق زوجها وسوء معاملتها له، ونهى عن الطلاق بعد الجماع؛ لأنه قد يتبين حملها فيترجع الزوج عن قراره الذي عزم عليه إذا علم أن في رحمها ولدا سيخرج إلى الدنيا يحمل اسمه وينتظر الفرحة به، ونهى عن طلاق الثلاث دفعة واحدة حتى يكون هناك طريق للرجعة وتصحيح الأخطاء والندم على ما فات من التقصير، وألزم الإسلام المرأة بطاعة الزوج بالمعروف، ونهى صلى الله عليه وسلم المرأة أن تطلب من زوجها الطلاق دون أسباب أو مبررات شرعية، فعلى المرأة الصبر على الزوج، وعدم التسرع بطلب الطلاق، قال صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة" رواه أحمد وغيره بسند صحيح، قال الشوكاني رحمه الله:

"وفيه دليل على أن سؤال المرأة الطلاق من زوجها محرم عليها تحريماً شديداً؛ وكفى بذنب يبلغ بصاحبه إلى ذلك المبلغ منادياً على فضاخته وشدته. أيها المؤمنون: جعل الإسلام الطلاق آخر الحلول، وهو من الحلول التي لا يَنَازِع أحد في جدواها، وحاجة الزوجين إليها، حينما يتعذر العيش تحت ظل واحد، وإذا بلغ النفور بينهما مبلغاً، يصعب معه التودد، فالواجب أن يتفرقا بالمعروف والإحسان، وسيغنى الله كلا من فضله كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]

[، جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتردين عليه حقيقته قالت نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة، ربا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إماما. اللهم أصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور.

الدعاء.....

فهرس الموضوعات

الاستهلال.....	٣
الإهداء.....	٤
المقدمة.....	٥
المجموعة الأولى: خطب شهر محرم.....	١١
١- الهجرة النبوية أمل وألم.....	١٢
٢- دروس من الهجرة النبوية.....	٢٣
٣- يوم الجمعة.....	٣٤
٤- في ظلال السبع المثاني.....	٤٦
المجموعة الثانية: خطب شهر صفر.....	٦١
١- الحمد لله.....	٦٢
٢- حمدني عبدي.....	٧٣
٣- تأملات في سورة ﴿ق﴾.....	٨٦
٤- البعث والنشور.....	١٠٢
المجموعة الثالث: خطب ربيع أول.....	١١٨
١- عبادات النبي صلى الله عليه وسلم.....	١١٩
٢- شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم.....	١٣٣
٣- متابعة النبي صلى الله عليه وسلم.....	١٤٨

- ٤- إنما الأعمال بالنيات..... ١٥٨
- المجموعة الرابعة: خطب ربيع ثاني ١٧٤
- ١- ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ﴾ ١٧٥
- ٢- ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ﴾ ١٨٨
- ٣- أولياء الله تعالى..... ٢٠٠
- ٤- ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ٢٢٤
- المجموعة الخامسة: خطب جمادى الأولى ٢٤٥
- ١- رفقا بالقوارير..... ٢٤٦
- ٢- صلاة الفجر..... ٢٥٩
- ٣- ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ ٢٧٤
- ٤- ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ ٢٩٢
- المجموعة السادسة: خطب جمادى الآخر .. ٣١٢
- ١- الزواج في الإسلام ٣١٣
- ٢- المرأة الصالحة..... ٣٢٨
- ٣- الحقوق الزوجية..... ٣٤٣
- ٤- الطلاق ... هادم البيوت..... ٣٥٧